بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة مؤتة
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

وجــوه مــن الدرس الصوتــي فــي كتــاب سيبويــه

إعداد الطالب
أحمد طالب علي الخلوف

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد القادر مرعي الخليل

١٤٢٢هـ-٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة مؤتة

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

وجوه من الدرس الصوتي في كتاب سيبويه

إعداد

أحمد طالب علي الخلوف

بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها/ جامعة اليرموك ١٩٨٩

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد القادر مرعي الخليل

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/تخصص دراسات لغوية

تاريخ تقديم الرسالة: ٢٠٠١/٧/١٥

تاريخ المناقشة: ٢٠٠١/٨/١٢

لجنـــــة المناقشـــــة

الأستاذ الدكتور: عبد القادر مرعي الخليل .... رئيساً

الأستاذ الدكتور: يحيى عبابنة .... عضوا

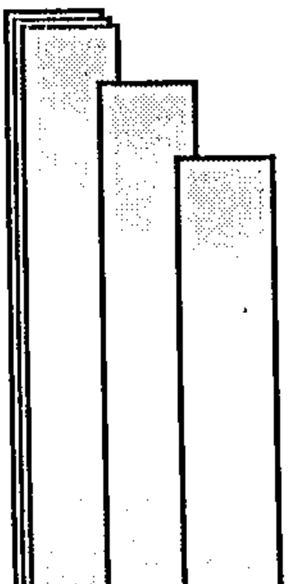
الدكتور: محمد أمين الروابدة .... عضوا

الإهــــداء

إلى أمي وأبي اللذين ما توانيا في تقديم كل العون والمساعدة لي

وإلى كل معلم ينير الدرب والطريق لطلابه

أقدم لهم هذه الثمرة من جهدي



الرموز الصوتية المستعملة في البحث

١- الهمزة	’
٢- الباء	b
٣- التاء	t
٤- الثاء	ṯ
٥- الجيم	ğ
٦- الحاء	ḥ
٧- الخاء	ẖ
٨- الدال	d
٩- الذال	ḏ
١٠- الراء	r
١١- الزاي	z
١٢- السين	s
١٣- الشين	š
١٤- الصاد	ṣ
١٥- الضاد	ḍ
١٦- الطاء	ṭ
١٧- الظاء	ẓ
١٨- العين	<
١٩- الغين	ġ
٢٠- الفاء	f

٢١- القاف	ḳ
٢٢- الكاف	k
٢٣- اللام	l
٢٤- الميم	m
٢٥- النون	n
٢٦- الكسرة القصيرة	i
٢٧- الكسرة الطويلة	ī
٢٨- الفتحة القصيرة	a
٢٩- الفتحة الطويلة	ā
٣٠- الضمة القصيرة	u
٣١- الضمة الطويلة	ū
٣٢- الإمالة الكبرى	e
٣٣- الإمالة الصغرى	E

التمهيـــــد:

الأصـــوات العربيـــة ومخارجهـــا وصفـــاتهـــا عنـــد سيبويـــه

أولاً: الأصوات

* الأصوات الأصول
* الأصوات الفروع المستحسنة
* الأصوات الفروع غير المستحسنة ممن ترتضى عربيته.

ثانياً: مخارج الأصوات.

ثالثاً: صفات الأصوات:

* الجهر والهمس.
* الشدّة والرخاوة.
* الأصوات الشديدة التي يجري فيها الصوت لعلّة فيها.
* الإطباق والانفتاح والصفير والتفشي والاستطالة.

أ- الأصوات الأصول

استخدم سيبويه مصطلح الحرف بدلاً من الصوت، ففي معرض حديثه عن الأصوات والمخارج استخدم مصطلح الحرف حيث يقول:" فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً"[١] ، وعند الحديث عن الحروف الفروع المستحسنة وغير المستحسنة " وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هنّ فروع"، وقوله" وهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون"[٢]. وفي حديثه عن مخارج الحروف استخدم المصطلح عينه" ولحروف العربية ستة عشر مخرجاً"[٣] ويبدو لي أن الحرف هو الرمز الكتابي للصوت، أما الصوت فهو الأثر الحسي المسموع بعد عملية النطق، ويبرهن على ذلك أن سيبويه استخدم هذا المصطلح عندما تحدث عن صفات الحروف حيث يقول:" فالمجهورة حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"[٤]، فالصوت هو الأثر المسموع خلال عملية النطق.

والحال كذلك حينما تحدث عن المنحرف والشديد والمكرر وغيرها من الصفات يقول سيبويه في المنحرف:" وهو حرف شديد جرى فيه الصوت..."[٥].

ويفرق عبد القادر مرعي بين الصوت والنفس حيث يعّرف الصوت بقوله:" وهو الهواء الذي يحمل الذبذبات الصوتية"[٦]، أما النفس فـ" هو الهواء الخارج من الرئتين ولا يحمل ذبذبة صوتية"[٧].

وذكر سيبويه الحروف الأصول وهي تسعة وعشرون حرفاً، إذْ يقول:" فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء،

---

(١) سيبويه، لكتاب ٤/٤٣١.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٣٢.

(٣) المصدر نفسه ٤/٤٣٣.

(٤) المصدر نفسه ٤/٤٣٤.

(٥) المصدر نفسه ٤/٤٣٥.

(٦) عبد القادر مرعي، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في صوء اللغة المعاصرة، ٩٢.

(٧) المصدر نفسه ٩٢.

والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو"[١] .

ابتدأ سيبويه الدرج الصوتي للعربية بالهمزة؛ لأنها أقرب حرف للجوف، للاعتقاد أن بداية النفس من الجوف وأول الحروف التي تصادف الجوف هي الحروف الثلاثة الأولى، لأن سيبويه يعدها من المخرج ذاته، إلا أنها تختلف في بعض الصفات وليس المخرج.

وقد استعمل سيبويه كلمة الحرف التي تعبر عن الرمز المكتوب، ويرى أ.شاده أنه استعملها للمكتوب والمنطوق، واعتذر عن هذا بأن كثيرا من علماء أوروبا ظلوا إلى عهد قريب يسلكون المسلك نفسه[٢]، أما ابن دريد[٣] فاسقط الألف، لأنها ساكنة لا تتعرف بالإعراب، ووافقه في ذلك مكي بن أبي طالب القيسي[٤].

واختلف علماء العرب القدماء في عدد الحروف الأصول- وإن كان جلهم ينحون نحو سيبويه- فأبو العباس المبرد عدها ثمانية وعشرين في حين أسقط الهمزة كونها لا تثبت على صورة واحدة، إلا أنه عاد وأضاف الهمزة عند حديثه عن مخارجها[٥].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣١.

(٢) انظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٨١، نقلا عن محاضرة أ. شاده.

(٣) ابن دريد، الجمهرة ١/٨.

(٤) مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات ١/١٣٩.

(٥) المبرد، المقتضب ١/١٩٢.

لكن ابن عصفور أفسد قول المبرد عن إسقاط الهمزة من الحروف إذ قال في الممتع:" والذي ذهب إليه أبو العباس فاسدٌ، لأن الهمزة لو لم تكن حرفا لكان (أخذ)، و(أكل) وأمثالها على حرفين، وهذا باطل، لأن أقل أصول الكلمة ثلاثة أحرف، فاء، وعين، ولام"[1].

ويرى المحدثون أن الصوامت ثمانية وعشرون فونيماً[2] ، وهي ما ذكرت عند سيبويه باستثناء الألف التي تعتبر من المنظور الحديث صائتاً طويلاً. والرأي الأخير لابن دريد ومكي بن أبي طالب القيسي يتفق مع علماء اللغة المعاصرين في جعل الحروف الصوامت ثمانية وعشرين صوتاً. وأميل إلى رأي المحدثين في ذلك لأن الألف لا تأتي إلا صائتاً طويلاً ولا يمكن تحريكها، إذ تتعذر الحركات عليها، أما الياء والواو فإنهما تشبهان الصوامت إذا حركتا فيصيران إلى شبه الحركة.

(١) الممتع ٣٦٣/٢.

(٢) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية ١٠٦-١٠٨.

ب- الأصوات الفـــروع المستحسنـــة

وهذه الأصوات تُستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهـــي ســتة:" النــون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كـالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز في قولهم الصـلاة والزكاة والحياة"[١].

وحاول العلماء القدماء وصف هذه الحروف من أمثال السيرافي فـــي شـرحه لكتاب سيبويه وابن الحاجب النحوي. فالنون الخفيفة أو الخفيّة هي النــون السـاكنة ومخرجها من الخيشوم، وشرطها أن يكون بعدها حرف من حـــروف الفــم وهـــي القاف، والكاف، والجيم، والشين، والصاد، والزاي، والسين، والطاء، والدال، والتاء، والظاء، والذال، والفاء، والثاء. وإذا كانت النون ساكنة وبعدها حرف من حـــروف الحلق فمخرجها من الفم، وسموا النون الساكنة بالخفيفة أو الخفيّة لخفتها وخفائها"[٢]

أما همزة "بين بين" فهي التي تجعل بين الهمزة وبين الحرف الذي من حركتها، فهي بين الهمزة والواو إذا كانت مضمومة وبينها وبين الألف إذا كـــانت مفتوحـــة، وبينها وبين الياء إذا كانت مكسورة[٣].

أما همزة "بين بين" من وجهة نظر حديثة، وكما يراها عبد الصبــور شـاهين فهي ليست همزة، إذْ إن الهمزة ليس لها سوى صورة واحدة فحسب وهي ما أطلــق عليه"الحبسة الحنجرية" فإذا اختلّتْ هذه الحبسة فقدت الهمزة وجودهـــا، ومـــا هـــذه الهمزة "بين بين" غير سقوط الهمزة أساساً، واتصال الحركتين قبلها وبعدها مباشـرة، بحيث يتكون لدينا المزدوج بالمعنى الكامل، وفي هذه الصورة للمـــزدوج يضعــف وجود الانزلاق الذي تنشأ عنه أنصاف الحركات(الواو والياء)" [٤].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٢.

(٢) السيرافي، شرح كتاب سيبويه ٣/٣٦٦-٣٧٩.

(٣) السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ٣/٣٧٩.

(٤) عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٠٥.

والشيء ذاته عمد إليه إبراهيم أنيس فقد نفى همزة بين بيـــن، إذْ قـــال:" أمـــا التكييف الصوتي لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفاً علميـــاً مؤكـــدا، وإذا صحّ النطق الذي سمعته من أفواه المعاصرين من القراء تكـــون هـــذه الحالـــة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام، تاركة وراءها حركة، فالذي نســـمعه حينئـــذ لا يمت إلى الهمزة بصلة، بل هو صوت ليّن قصير، يسمى عادة حركة الهمزة، مـــن فتحة، أو ضمة، أو كسرة، ويترتب على هذا النطق التقاء صوتي لين قصيرين، وهو ما يسميه المحدثون "Hiatus" ويغلب في معظم اللغات التي تؤدي مثل هذه الحالة، إلـى صوت ليّن انتقالي ينشأ من الحركتين، أو صوتي اللين القصيرين"[١].

أما الألف التي تمال إمالة شديدة فقد وصفها علماء العربية القدماء بأنها الألـــف التي تخرج إلى شبه الياء كألف عالم، وألف التفخيم هي التي تخرج إلى تفخيم ليـــس في الألف الأصلية كألف الصلاة[٢].

وقد أفرد سيبويه باباً خاصاً عن الإمالة تحدث فيه عن الحالات التي تكون معها الإمالة، وما يمتنع إمالته من الألفات، وسأتكلم عن هذه القضية بتفاصيلها كافةً عنـــد الحديث عن الصوائت من المنظور الصوتي الحديث.

وأما ألف التفخيم فهي خاصة بأهل الحجاز، ووصفها تمـــام حسّـــان بقولـــه:" تستدير في نطقها الشفتان قليلاً مع اتساع الفم نتيجة لحركة الأسفل، ويرتفع مؤخـــر اللسان قليلاً فيصير الفم في مجموعة حجرة رنين صالحة لإنتاج القيمة الصوتيـــة"[٣]. وربما يكون ما كتب به رسم القرآن الكريم بالواو بدل الألف في الصلاة على هـــذه اللهجة الحجازية[٤].

---

(١) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٧٣.

(٢) ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل ٢/٤٨٣.

(٣) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ٥٣.

(٤) خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب ٣٣.

وقد وصف علماء اللغة المحدثون هذين الصوتين وصفا دقيقا، "فإذا كانت الألف تنتج في حال كون اللسان مستويا في قاع الفم مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك مع اهتزاز الوترين الصوتيين، وتنتج الكسرة في حال ترك مقدمة اللسان تصعد نحو وسط الحنك الأعلى، بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء مع إحداث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فإن بين وضعي اللسان في صوتي الفتحة والكسرة، أي بين وضعه في قاع الفم وارتفاع مقدمته نحو وسط الحنك تحدث الألف الممالة"[1].

وبين وضع اللسان في صوت الفتحة، ووضعه في صوت الضمة؛ أي بين وضع اللسان في قاع الفم وارتفاع مؤخرته نحو سقف الحنك، بحيث تحدث الضمة الخالصة(الواو) أوضاعا كثيرة أبرزها صوت ألف التفخيم أو الضمة الممالة[2].

والشين التي كالجيم صوت يكون بين الشين والجيم نحو: أشدق ولا يعرف في القراءات المشهورة قراءة شين بين الشين والجيم[3]. وهي أيضا الشين المنطوقة نطق (J) الإنكليزي المسموعة في زماننا في لهجة أهل الشام وفي بعض أرياف العراق، ويبدو أنها خاصة بالشين المجاور لصوت الدال في نحو: أشدق ومشدود وسواهما لدواعي المماثلة[4].

أما الصاد التي كالزاي فهي قولك: الزراط في السراط، وأزدر في أصدر، ويزدقون في يصدقون، وهي مأخوذ بها في القرآن الكريم، أي أن هذا الصوت ينطق بإشمام الصاد زايا[5]. وهذه الصاد مجهورة مفخمة ترد في الصاد الساكنة التي تليها الدال، وقد وصفها ابن دريد في جمهرته حيث قال: فإذا سكنت الصاد ضعفت

(١) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٩٢-٩٣.

(٢) المصدر نفسه ٩٣.

(٣) ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل ٢/٤٨٣.

(٤) إبراهيم، عطية، في البحث الصوتي عند العرب ٣٣.

(٥) ابن الحاجب، الإيضاح ٢/٤٨٣.

فيحولونها في بعض اللغات زايا، فإذا تحركت ردوها إلى لفظهم مثل قولهم: فـــلان يزدق في كلامه، فإذا قالوا: صدق، قالوها بالصاد لتحركها، وقد قرئ:" حتى يـــزدر الرعاء" بالزاي[١]. كما قالوا:" الحزد في معنى القصد، وحزدت ناتج عـــن المماثلـــة الصوتية بين الصاد المهموسة والصوت المجهور الـــذي يليـــها، إذ تتـــأثر الصـــاد بالصوت المجهور فتتحول إلى صوت مجهور من مخرجها وهو الـــزاي، أو إلـــى صوت يكون بين الصاد والزاي. وينتج هذا الصوت بالطريقة نفسها التي تنتج فيـــها الصاد، أي بارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق ووضع طرف اللسان باتجاه الأســـنان، مع رفع الطبق ليسد المجرى الأنفي، ولكن التفخيم في هذا الصوت يكون أقل ممـــا يكون في الصاد الخالصة، ويكون أقل ترقيقا من الزاي الخالصة[٢].

(١) ابن دريد، الجمهرة ١٣/١.

(٢) د.عبد القادر مرعي، المصطلح الصوتي ٥١٣.

ج- الأصوات الفروع غير المستحسنة ممن ترضى عربيته

أ- الكاف التي بين الجيم والكاف:

أورد ابن عصفور مثلاً لها في نطقهم الفعل الماضي كمل على شكل جمل[١]، وربما كان ذلك ضرباً مما يعرف بالكشكشة الشائعة في الكلام الدارج في العراق ممن قلب كاف الخطاب للمؤنث جيما[٢]. ويرى ابن الحاجب أنه لا يتحقق واحد من هذين الصوتين، أي أنهما يصعب نطقهما، وذلك لأن إشراب الكاف صوت الجيم متعكر، وكذلك العكس[٣].

ب- الجيم التي كالشين:

ويكثر هذا الصوت في الجيم إذا سكّنت، وكان بعدها دال أو تاء مثل: اجتمعوا والأجدر، إذ يقولون فيهما: اشتمعوا، والأشدر، فيقربون الجيم من الشين لأنهما من مخرج واحد، والشين أسلس وأبين وأفشى فإذا صعب إخراجها لشدة الجيم، وتلفظ الجيم شيناً، لأنه لا يوجد من التنافر بين الشين والدال والتاء ما بين الجيم وهذين الحرفين كما في : اجتمعوا، وأجدر. فالتنافر بين الشين والدال والتاء أقلّ من التنافر بين الجيم والدال والتاء[٤].

ويبدو أن صوت الجيم التي كالشين يشبه صوت الشين المجهورة "ج"، وينتج هذا الصوت عن طريق ارتفاع مقدمة اللسان في اتجاه الغار فيلتصق به، مما يحجز الهواء المار، ولكن الحاجز لا يزول فجأة كما في الأصوات الشديدة، وإنما ينفصل ببطء تاركاً احتكاكاً كالذي نسمعهُ مع صوت الجيم المجهورة[٥].

---

(١) أبو المنصور الجواليقي، المُعرب ٣٢٦/١.

(٢) خليل ابراهيم العطية، البحث الصوتي عند العرب ٣٤.

(٣) ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل ٤٨٣/٢.

(٤) السيرافي، شرح الكتاب ٣٧٩/٣.

(٥) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٥١.

ج- الضاد الضعيفة:

وصف سيبويه هذه الضاد بقوله:" تتكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف، لأنها من حافة اللسان مطبقة، لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه"(١)

عدّها أبو سعيد السيرافي:" أنها لغة قوم ليس في لغتهم ضاد، فإذا احتاجوا إلى التكلم بها في العربية اعتضلت عليهم، فربما أخرجوها ظاء لإخراجهم إياها من طرف اللسان وأطرف الثنايا، وربما تكلفوا إخراجها من مخرج الضاد فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء"(٢). والمتأمل في نص ابي سعيد السيرافي يجد أن هذه الحروف (الأصوات) ليست عربية المنشأ وإنما هي دخيلة من الأقوام الذين دخلوا في الحضارة العربية ولم يكونوا عرباً لذلك لم يرضها سيبويه من العربي" الذي ترتضى عربية" وعلى النقيض من ذلك فهي مقبولة ممن ليسوا عربا.

د- الصاد التي كالسين:

هذا الصوت يكون بين الصاد والسين فيكون أقل تفخيماً من الصاد، وقد شاع استخدام هذا الحرف في كلام العرب. وفي القرآن الكريم أمثلة على ذلك حيث عدّها أبو الطيب اللغوي من قبيل الإبدال ومن أمثلة ذلك السراط والصراط، والسقر والصقر، والوسخ والوصخ، وداره سقب داري وصقب داري(٣).

وينتج هذا الصوت عن طريق وضع طرف اللسان باتجاه الأسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا، مع رفع الطبق ليسد المجرى الأنفي وترتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق ولكن بصورة أقل من ارتفاعها مع الصاد، ويتم كل هذا مع عدم اهتزاز الأوتار الصوتية، ويشيع هذا النطق في اللهجات القديمة والحديثة- وفي لغة غير

(١) سيبويه، الكتاب ٤٣٢/٤.

(٢) الاسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب ٢٥٥/٣.

(٣) أبو الطيب اللغوي، الإبدال ١٧٢/٢-١٧٦.

الناطقين بالعربية فينطقون الصاد سيناً لعدم وجود صوت الصاد في لغتهم حيث يصعب عليهم نطق الأصوات المفخّمة.

هـ- الطاء التي كالتاء:

وقد أفاد السيوطي أنها:" تسمع من عجم أهل المشرق كثيراً لفقدهم الطاء في لسانهم"[١]. وكل من الطاء والتاء من المخرج ذاته فهما صوت أسناني لثوي انفجاري(شديد مهموس. والفرق بينهما أن الطاء مطبق مفخم، والتاء ليست كذلك. ومن أمثلة ذلك تيب في طيب، وتريف في طريف[٢].

وينتج هذا الصوت بالطريقة نفسها التي تنطق بها الطاء عن طريق التصاق مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا ورفع الطبق ليسد التجويف الأنفي مع ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق ولكن بصورة أقل من ارتفاعها مع الطاء الفصيحة[٣] وتشيع في لغة غير الناطقين بالعربية لعدم وجود الطاء في لغتهم.

و- الباء التي كالفاء:

ومثلوا لها قولهم: فور بدل بور، ويبدو أنها كانت كثيرة في لغة الفرس ولعل العرب أخذوها عنهم[٤]. وهذه إشارة أخرى إلى أن هذه الأصوات ليست عربية.

والباء هنا هو كالصوت الإنكليزي (P) وهو الصوت الشفوي الانفجاري المهموس ونظيره صوت الباء العربية. ويتم نطق هذا الصوت بضم الشفتين ورفع الطبق ليغلق ما بين الحلق والتجويف الأنفي، ولكن الإغلاق لا يكون تاماً بحيث يسمح للهواء بالمرور، مما يحدث احتكاكا مسموعا[٥].

---

(١) السيوطي، همع الهوامع ٢/ ٢٣٠.

(٢) عبد القادر مرعي، المصطلح الصوتي ٥٣.

(٣) المصدر نفسه ٥٤.

(٤) الاستراباذي، شرح الشافية ٣/ ٢٥٦، والسيوطي، الهمع ٢/ ٢٣٠، وانظر خليل عطية، في البحث الصوتي ٣٧.

(٥) عبد القادر مرعي، المصطلح الصوتي ٥٤.

وبعد هذا العرض للأصوات أصولها وفروعها وما استحسن منـــها ومـــا لـــم يستحسن أورد جملة من الملاحظات:

١- ذكر سيبويه الأصوات الأصول ومخارجها وأفرد أبوابا خاصة لبعض الأصوات المستحسنة مثل الألف التي تمال إمالة شديدة، في حين لم يتعرض للأصـــوات غير المستحسنة خلا ذكرها فقط.

٢- لم يستخدم سيبويه رموزا كتابية للأصوات المستحسنة وغـــير المستحســـنة، إذ كانت هذه الأصوات تنطق وليس لها رموز كتابية.

٣- ومن وجهة نظري أعتقد أن هذه الحروف(الحروف الفروع غير المستحسنة) مـا هي إلا أصوات أعجمية أدخلها الأعاجم في أصوات اللغـــة، حيـــث إن عـــدم مقدرتهم على نطق بعض الأصوات العربية ولد هذه الأصوات، ويبين ذلك مـــا ذكره بعض علماء العرب الذين أشاروا إلى أعجمية بعض الأحرف مثل ابـــن الحاجب الذي اعتبر الباء التي كالفاء فارسية أخذها العرب عنهم، والطاء التـــي كالتاء أيضا التي عدها السيوطي أعجمية.

ومما يدعم ويبرهن وجهة النظر هذه قول سيبويه الحـــروف الفـــروع غـــير المستحسنة ممن ترضى عربيته[1] أي الذي لا ترضى عربيته تكـــون مقبولـــة عنده وأحس أنه الأعجمي.

٤- ليس المقصود بالجيم التي كالشين والصاد التي كالسين والطاء التي كالتـــاء أن الجيم تنطق شينا والصاد سينا والطاء تاء وإنما المقصود من ذلك أن أصواتـــا تنشأ بين هذين الصوتين صفة ومخرجا.

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٢.

ثانيــا: مخـــارج الأصوات

قسم سيبويه مخارج الأصوات ستة عشر مخرجا:

" ولحروف العربية ستة عشر مخرجا: فللحلق منها ثلاثة. فأقصاها مخرجـــــا: الهمزة والهاء والألف. ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء. وأدناها مخرجا مـــن الفم: الغين والخاء. ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القـــاف. ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلـــى مخـــرج الكاف.

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين واليـــاء ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما بينها وبين ما يليـــها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون.

ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلـــى الـــلام مخرج الراء.

ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء.

ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي، والسين والصاد.

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء، والذال، والثاء.

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء، ومما بين الشـــفتين مخرج الباء، والميم والواو.

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة"(١).

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٣-٤٣٤.

وقد وافق سيبويه في هذا التقسيم كثير من علماء العربية القدماء منهم ابن السراج[١]، وابن جني[٢]، والسكاكي[٣]، وابن يعيش[٤]، والسيوطي[٥]، وقد وافق ابن جني في سر الصناعة ما جاء به سيبويه فقد قال:" فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، وهو الصحيح، فأما ترتيبها في كتاب العين، ففيه خطل واضطراب، ومخالفة لما قدمناه آنفا مما رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته"[٦].

وفي حين اختلفت الهجائية عند علماء آخرين، إذ يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي أقدم العلماء الذين وضعوا الهجائية غير الصوتية العربية وكان "ذواقة إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو: اب، ات، اث، اج، اح، اخ،.. فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب فيها الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها وهو الميم"[٧].

وقد عد الواو والألف والياء والهمزة أحرفا هوائية. وقد ضبط نهج الخليل في تقسيم مخارج الحروف مجموعة من أصحاب المعاجم أذكر منهم: أبا منصور الأزهري في معجمه(تهذيب اللغة)، والصاحب اسماعيل بن عباد في معجمه (المحيط في اللغة)، وكذلك ابن سيده الأندلسي في معجمه (المحيط والمحيط الأعظم). ولم يشذ عن هذا النهج في المعاجم إلا أبو علي القالي في معجمه (البارع) [٨].

(١) ابن السراج، الأصول في النحو ٣/٤٠٠-٤٠١.

(٢) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/٤٧-٤٨.

(٣) السكاكي، مفتاح العلوم ٥.

(٤) ابن يعيش، شرح المفصل ١/١٢٤-١٢٥.

(٥) السيوطي، همع الهوامع ٢/٢٢٧.

(٦) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/٥٠-٥١.

(٧) الفراهيدي، مقدمة العين ١/٤٧.

(٨)د.عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية ٩٩-١٦١.

وعد بعض علماء العربية القدماء المخارج أربعة عشر مخرجا مثل: قطرب والجرمي والفراء وابن دريد، وابن كيسان. إذ جعلوا اللام والنون والراء من مخرج واحد وهو طرف اللسان، إذ اعتبروا هذه الحروف من حيز واحد على الرغم من تباين مخارجها(١).

وذهب ابن الطحان إلى أن عدد المخارج خمسة عشر مخرجا في، ثلاثة مواطن وهي: الحلق، واللسان، والشفتان(٢).

وذهب فريق آخر إلى أن المخارج سبعة عشر مخرجا إذ جعلوا للحروف الجوفية مخرجا مستقلا(٣).

أما المحدثون فلهم تقسيماتهم المخرجية، فيرى بعضهم مثل عبد القادر عبد الجليل، أن المخارج عشرة وهي:

١. الشفتان: الباء، والميم، والواو.
٢. الشفة والأسنان: الفاء.
٣. الأسنان وحد اللسان: الذال، والثاء، والظاء.
٤. الأسنان واللثة مع حد اللسان: الدال، والضاد، والتاء، والطاء، والزاي، والسين، والصاد.
٥. اللثة: اللام، والراء، والنون.
٦. الغار: الشين، والجيم، والياء.
٧. الطبق اللين: الكاف، والغين، والخاء.
٨. اللهاة: القاف.
٩. الحلق: العين، والحاء.
١٠. الحنجرة: الهاء، والهمزة. (٤)

وبعضهم يراها أحد عشر(٥)، وبعضهم ثمانية(٦).

---

(١) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ١/١٩٩.

(٢) ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها ٧٩-٨٣.

(٣) مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١/١٣٩.

(٤) د.عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية ١٤٠-١٤١.

(٥) المصدر نفسه ١٣٩-١٤٠.

(٦) جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية ٢٢-٢٣.

وجل الذي قدمه علماء العربية في مخارج الأصوات صحيح -كما قال برجشتراسر- بيد أن الكثرة في تقسيمات هذه المخارج أمر لا يقره علماء الصوت المحدثون، بل يؤكدون ضرورة الاجتزاء بالمخارج العشرة [1].

ويرى بعض الدارسين المحدثين أن كلام سيبويه عن مخارج الحروف يشوبه الغموض في كثير من الأحيان[2]، إذ إن مخارجه كثيرة بالقياس إلى المخارج العشرة التي يجمع عليها المحدثون. إلا أنني أرى أن سيبويه في زيادته للمخارج يريد أن يكون دقيقا جدا في وصف المخرج، ولا يكون عموميا في وضعه للمخارج، مما حدا به أن يجعلها ستة عشر مخرجا.

وبعد هذه المقارنة في مخارج الحروف بين القدماء أنفسهم تارة، وبينهم وبين المحدثين تارة أخرى، أود أن أعرض لمخارج الحروف التي ذكرها سيبويه:

فأصوات الحلق حدد لها سيبويه ثلاثة مخارج، ولكل مخرج زوج من الحروف، فمن أقصى الحلق: الهمزة، والهاء، ومن وسطه: العين، والحاء، ومن أدناه: الغين والخاء. فقد رأى بعض المتأخرين أن الهمزة تسبق الهاء والعين تسبق الحاء، والغين تسبق الخاء، الخلاف هو أن بعض المتأخرين ذهب إلى أن هذا الترتيب ضمني فالأول هو الأسبق وليسا متساويين في المرتبة"[3].

ويبدو أن هؤلاء المتأخرين أحسوا فرقا عند نطقهم لكل زوج من هذه الأزواج، فاعتقد بعضهم أن الحرف الأول هو الأقرب باتجاه الجوف ثم الثاني، وبعضهم أحس العكس، وإنما الاختلاف في النطق ناشئ عن الصفات التي يتمتع بها كل حرف من تلك الأزواج، وهذا ما أكدته التجارب الحديثة، فلكل صوتين من هذه الأصوات حيز معين يحلان فيه معا دون ترتيب لأحدهما على الآخر، فالهمزة حرف مجهور في

(١) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية ٧.

(٢) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٣٢.

(٣) ابن الجزري، النشر ١/٢٠٠.

حين أن الهاء حرف مهموس، والعين مجهور، والحاء مهموس، والأمر كذلك في الغين والخاء.

ويرى ابن جني ما يراه المحدثون في أن الحاء من مخرج العين، حيث يقول:"ولولا بحة في الحاء لكانت عينا... ولأجل البحة التي في الحاء ما يكررها الشارق في تنحنحه، وحكي أن رجلا من العرب بايع أن يشرب علبة لبن ولا يتنحنح، فشرب بعضه، فلما كظه الأمر قال: كبش أملح، فقيل له: ما هذا؟ تنحنحت. فقال: من تنحنح فلا أفلح، فكرر الحاء مستروحا إليها لما فيها من البحة التي يجري معها النفس، وليست كالعين التي تحصر النفس، وذلك لأن الحاء مهموسة ومضارعة بالحلقية والهمس للهاء الخفية وليست فيها مضارعة العين ولا جهرها"(١).

أما فيما يخص الألف والهمزة، فقد أسهب ابن جني في ذكرهما حيث أكد:" أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة، وإنما كتبت الهمزة واوا مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، ولو أريد تحقيقها ألبتة، لوجب أن تكتب ألفا على كل حال"(٢). ويبدو أن ابن جني كان يعد الألف اسما للصوت المنطوق به الهمزة، فالألف في رأيه رمز للمكتوب، والهمزة رمز للمنطوق. ومقتضى ذلك أنه ما كان يصح في تعداد أصوات الحلق، أن نذكر الهمزة والألف معا، بل كان الواجب الالتقاء بالهمزة التي هي رمز للصوت(٣).

وقد ذكر سيبويه وابن جني ألف المد وعداها نوعا آخر من أنواع الألف، إلا أن صورتها هي صورة الهمزة، فيذكر ابن جني:" فأما المد التي في نحو: قام وسار وكتاب وحمار، فصورتها أيضا صورة الهمزة المحققة التي في أحمد وإبراهيم وأترجة، إلا أن هذه الألف لا تكون إلا ساكنة، فصورتها وصورة الهمزة المتحركة

---

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/٢٤٣.

(٢) المصدر نفسه ٤٦.

(٣) إبراهيم أنيس، الأصوات العربية ٨٤.

أ- أصوات تتكون بالتقاء طرف اللسان بالثنايا من الداخل.

ب-أصوات تتكون بالتقاء طرف اللسان بالثنايا أو أصولها، أي اللحم المنفرزة فيه من الداخل.

ج- أصوات تتكون بالتقاء طرف اللسان وأوله بأول الحنك الأعلى أي في تلك المنطقة التي تنطبق عليها ما ذكرته المعاجم عن كلمة النطع.

وتبدو دقة سيبويه في صورة أوضح حين يصف لنا مخرج اللام فيقول:" إنها من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية"[١]. في حين أن المحدثين هنا يكتفون بقولهم:" إن اللام تتكون باتصال طرف اللسان بأصول الثنايا"[٢].

وبعد هذا العرض لمخارج الحروف عند سيبويه ومقارنة المخارج بين سيبويه وسلفه وخلفه من العلماء تارة وبينه وبين المحدثين تارة أخرى أورد مجموعة من الملاحظات:

١- معظم الذين أتوا بعد سيبويه وعلماء العربية القدماء حذوا حذوه وانتحوا منهجه الصوتي.

٢- يعود سبب كثرة المخارج عند سيبويه إلى توخي الدقة في وصف مخرج الحرف، ومما يدعم هذا -أنه كان يطيل أحيانا في وصف الحرف- فمثلا يصف مخرج اللام بقوله:" إنها من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية"[٣].

٣- اختلف القدماء مع المحدثين في عدد المخارج إذ يجعلها المحدثون تسعة أو عشرة أو أحد عشر في حين عدها سيبويه ستة عشر مخرجا.

٤- يرتب سيبويه المخارج بدءا بالحلق وانتهاء بالشفة في حين يبدأ معظم المحدثين بالشفة وينتهون بالحنجرة. وأظن أن سيبويه بدأ بالحلق لأنه يعتقد أن الهواء في الجوف أول ما يتحول إلى صوت يكون في أحرف الحلق وأولها الهمزة فهي أقرب ما تكون إلى الجوف ثم ينتهي بالنون التي يعتبرها الأبعد.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤٣٣.

(٢) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٨٧.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤٣٣/٤.

ثالثا: صفات الأصوات

الجهر والهمس

وصف سيبويه الأصوات المجهورة بقوله:" المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"[١].

وعرف المهموس بقوله:" وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهور لم تقدر عليه، فإذا أردت إجراء الحروف فأنت ترفع صوتك إن شئت بحروف اللين والمد، أو بما فيها منها وإن شئت أخفيت"[٢].

وقد ذهب إلى هذا التعريف معظم علماء العربية القدماء أمثال المبرد[٣]، وابن السراج[٤]، وابن جني[٥]، والسكاكي[٦]، وابن يعيش[٧]، وغيرهم من العلماء.

والحروف المهموسة مجموعة في "سكت فحثه شخص"[٨]، وما عداها مجهورة.

ولم يخرج عن هذين التعريفين بألفاظهما وعباراتهما سوى القلة من العلماء منهم ابن كيسان الذي عرفه بأنه:" ما لزم موضعه إلى قضاء حروفه وحبس النفس أن يجري معه فصار مجهورا، لأنه يخالطه شيء"، والمهموس:" حرف لأن مخرجه

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٤.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٤٣٣.

(٣) المبرد، المقتضب، ١/١٩٤.

(٤) ابن السراج، الأصول في النحو ٣/٤٠١.

(٥) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/٦٠.

(٦) السكاكي، مفتاح العلوم ٤.

(٧) ابن يعيش، شرح المفصل ١٠/١٢٩.

(٨) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٣٢٠.

دون المجهور وجرى معه النفس، وكان دون المجهور في وقع الصوت"[١]. وعرف السكاكي الجهر:" انحصار في مخرج الحرف"، والهمس:" جري ذلك فيه"[٢]

وعلق إبراهيم أنيس على عبارة سيبويه بالقول:" إنها تتضمن آراء قيمة في الدراسة الصوتية تتفق مع أحدث النظريات الحديثة، إلى حد كبير، فسيبويه يرشدنا هنا إلى وسيلة أخرى لتمييز المجهور من المهموس، وذلك عن طريق إخفاء الصوت وأنه يمكن هذا الإخفاء مع المهموسات دون أن تفقد معالمها، أما الإخفاء مع المجهورات، فيترتب عليه أن الحرف تضيع صفته المميزة، فلا نسمع الدال دالا حينئذ، وإنما نسمع صوتا آخر هو التاء"[٣].

أما إشارة العلماء القدماء إلى جريان الصوت ومنعه فهذا تأكيد لمعرفتهم بدور الرئتين في العملية الصوتية، وإذا كان سيبويه قد اكتفى بالإشارة إلى خروج الصوت من الصدر، فإن ابن جني أشار إلى الصدى[٤]، الذي لا يخرج عن كونه إحساس المرء بذبذبات الوترين الصوتيين في أثناء النطق بالصوت المجهور أثناء جريان النفس من الرئتين.

أما تعريف سيبويه:" إن المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت فيه" فإن في هذا التعريف ملحوظتين؛ الأولى: المقصود من قوله:" أشبع الاعتماد" فأراد أن يصف المجهور بأنه صوت متمكن مشبع فيه وضوح وفيه قوة، فالمجهور أوضح في السمع من نظيره المهموس، فليس للاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي، ألا ترى أن سيبويه ذكر في حالة النون والميم أن الاعتماد لهما يكون في الفم والخياشيم؛ بمعنى أنه تتم في الفم عملية

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ١٣/١.

(٢) السكاكي، مفتاح العلوم ٣٩.

(٣) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٩.

(٤) ابن جني، سر صناعة الإعراب ٣٩/١.

عضلية أخرى. فالنون تتكون بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا التقاء محكمـــا، ويلتزم الناطق بها هذا الوضع، غير أنه في الوقت نفسه يهبط أقصى الحنك فينفتـــح طريق الأنف لتسرب الهواء منه. كذلك مما يدل على أن الاعتماد ومعنـــاه العمليـــة العضلية المطلوبة في إصدار الصوت أن سيبويه اعتبر أن في المـــهموس اعتمـــادا أيضا لكنه ضعيف[1]، حيث يقول:" فأما المهموس فحرف أضعـــف الاعتمـــاد فـــي موضعه".

وقد استخدم سيبويه كلمة"موضع" ولم يستخدم مخرج فلربما أنه كان يشعر بقوة الصوت وإشباعه في كل مجرى الصوت لحظة صدوره إلى انطلاقه خارج الفـــم أو ربما يقصد بالموقع هنا الوترين العلويين على الرغم من عدم تصريحه بهذا.

الثانية:" منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه" فيبدو أن الحـــس بالصوت بالنسبة لسيبويه جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتين لدرجة اقترابهما من الإنطباق حتى" ينقضي الاعتماد" أي تنتهي العملية العضلية المطلوبـــة في إصدار الصوت المجهور. أما المهموس فقد عبر عنه سيبويه" بضعف الاعتمـــاد" أي عدم تمكن الصوت حيث يكون طريق النفس مفتوحا، بحيث يسمح بانسيابه حـــرا طليقا. وتلك هي الصفة التي أوضحها لنا المحدثون بالنسبة للمجـــهور والمـــهموس حيث قالوا: إنه مع المجهور يقترب الوتران الصوتيان أحدهما مـــن الآخـــر، ممـــا يضطر هواء النفس إلى الاندفاع من بينهما بقوة تحرك الوترين الصوتيين، وتجعلهما يتذبذبان حتى تنتهي العملية الصوتية المطلوبة، وفي الحرف المهموس فإن الوتريـــن الصوتيين يبتعد أحدهما عن الآخر فينطلق النفس مـــن بينـــهما دون الحاجـــة إلـــى تحريكهما وإحداث ذبذبات بهما[2].

ومن المؤكد أن حركة مرور الهواء وانسيابه أثناء نطق الصوت المهموس تكاد تقترب في سهولتها من حركة التنفس، ولو أن المرء حاول أن يجعل هواء نفسه يمر

(١)إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٩٢.

(٢)المصدر نفسه ٦٣.

في حالة الجهر بالقدر نفسه الذي يكون عليه في حالة الهمس لما استطاع ذلك، وكل ما يحدث هو أن الحجاب الحاجز والرئتين تضغطان قدرا معينا من الهواء ليمر من بين الأوتار الصوتية المشدودة من أجل الجهر بالصوت.[١]

ويمكن التمييز بين المجهور والمهموس بالطرق التالية:

١- نضع الإصبع فوق تفاحة أدم ثم ننطق بأحد أصوات الجهر ساكنا متصدرا بهمزة وصل فنشعر باهتزاز الوترين الصوتيين.

٢- حينما نضع أصابعنا في آذاننا ثم ننطق بالصوت المجهور نحس برنين في رؤوسنا.

٣- حينما نضع راحتنا على الجبهة ثم ننطق بالصوت المجهور نحس برنين ناتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين[٢].

وعلى النقيض من ذلك نحس بالمهموس حيث لا نسمع أي اهتزاز ملحوظ للوترين الصوتيين.

وهناك أجهزة حديثة تقيس بشكل دقيق وضع الوترين الصوتيين أثناء الجهر والهمس ومنها: مجهر الحنجرة، وآلة تشونديير، وجهاز الرسم الحنجري[٣].

وقد وضع يسبرسن مدرجا ذات ست درجات لمستويات الجهر، بدءا بأكثر الأصوات جهرا وانتهاء بالأصوات المهموسة:

١- الفتحة والألف. ٢- الكسرة والضمة.

٣- الراء. ٤- الأصوات الأنفية كالميم والنون.

٥- الدال والذال والباء[٤].

وقد عد سيبويه صوت الهمزة مجهورا، واختلف فيه المحدثون ففريق وصفه بالجهر لأنه ينطق بإغلاق الوترين إغلاقا تاما يمنع مرور الهواء فيحتبس خلفها الهواء ثم يفتحان فجأة فينطلق الهواء، وعده آخرون صوتا لا بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأن وضع الوترين معه لا يسمح بشيء من ذلك وعده آخرون صوتا مهموسا[٥].

---

(١) د.عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ٢٠٣.

(٢) د.إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٢١.

(٣) علي عبد الواحد وافي، علم اللغة ١١٠-١١١.

(٤) د.موفق الحمداني، اللغة وعلم النفس ٨٢، وانظر المصطلح الصوتي ١٠٦.

(٥) خليل عطية، في البحث الصوتي عند العرب ٤٤-٤٥.

الشدة والرخاوة

عرف سيبويه الصوت الشديد بقوله:"ومن الحروف الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء".

وعرف الرخو بقوله:" ومنها الرخوة وهي: الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء، وذلك إذا قلت: الطس وانقض وأشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت"(١).

ولو عقدنا مقارنة بين تعريف سيبويه للمجهور وتعريفه للشديد لوجدنا دقة في التعريف، فقد عرف سيبويه المجهور بأنه:" حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت معه".

ومن خلال المقارنة نلحظ اختلافا في التعريفين هو:

١- استخدام سيبويه مصطلح النفس في المجهور والصوت في الشديد، فالنفس في المجهور يمتنع ولا يظهر حرا طليقا، أما الشديد فعند المخرج يمنع الصوت فلا نسمع شيئا طالما كان الانحباس في المخرج قائما. ومنع النفس لا يكون إلا في الحنجرة في حين أن منع الصوت يكون في مخرج الحرف.

٢- في تعريف المجهور" أن يجري معه" يبدو لي أن الضمير في "معه" يعود إلى الموضع، والموضع ليس كالمخرج وربما يكون المقصود بالموضع هو الأوتار الصوتية، أما في تعريف الشديد فقال "فيه" أي في المخرج؛ أي نقطة تحول النفس إلى صوت.

٣- استخدم مع المجهور"أشبع الاعتماد في موضعه" حيث كان يستشعر بهذا الإشباع وبهذا التوتر الناجم عن اهتزاز الوترين الصوتيين في كل مجرى

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٤-٤٣٥، انظر المبرد، المقتضب ١/١٩٤، وابن السراج، الأصول في النحو ٣/٤٠٢، وابن جني، سر صناعة الإعراب ١/٦١، وابن عصفور، الممتع في التصريف ٢/٦٧٣-٦٧٤.

الصوت منذ صدوره من الرئتين إلى لحظة انطلاقه إلى الوسط المادي(الـهواء). ولم يستخدم "أشبع الاعتماد" في تعريف الشديد.

لذا يبدو أن سيبويه لم يكن يتخبط في تعريفاته ولم يناقض نفسه بل حرص وبكل دقة على أن يوضح لنا الفرق بعبارات مختصرة وعلمية بحاجة إلى تفسير.

وقد وضح بعض علماء العربية القدماء الفرق بين الشديد والمجهور فهذا الرضي الاسترباذي يقول:" والفرق بين الشديدة وبين المجهورة أن الشديدة لا يجري الصوت عند النطق بها، بل إنك تسمع به في آن ثم ينقطع. والمجهورة لا اعتبار فيها بعدم جرى النفس عند التصويت، فعلامة المجهورة رفع الصوت، أما الشديدة فجري الصوت"(١). والجديد في هذا استخدام في آن، وهذا ما يثبته العلماء المحدثون حيث عدوا الشديد من الأصوات الآنية التي يمكن ترديدها لانتهائها بانتهاء العائق الحادث من التقاء عضوي النطق، بعكس الأصوات الرخوة التي يستمر فيها الترديد لأنها من الأصوات المتواصلة وهناك اصطلاحات محدثة أخرى أطلقت على الصوت الشديد مثل الانفجاري" plossive"، أو "الوقفي" "stop"، فالصوت الانفجاري هو(الذي يتكون نتيجة لحدوث انغلاق تام مفاجئ فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا. كما أطلق العلماء المحدثون على الصوت الرخو اسم الصوت "الاحتكاكي" "Africative" وهو الصوت الذي لا ينغلق مجرى الهواء عند النطق به انغلاقا تاما، وإنما يضيق المجرى مما يحدث احتكاكا بجانبي المجرى، فيحدث نوعا من الصفير، وعلى قدر نسبة الصفير في الصوت تكون رخاوته(٢).

وأضاف علماء العربية القدماء صفة ثالثة للصوت- غير الشديد وغير الرخوه- دعوه متوسطا تارة " وما بينهما" تارة أخرى. جمعوا أصواتها في لفظ"لم نرع" تارة و"لم يروعنا" تارة أخرى. أما سيبويه فلم يعتمد سوى العين حرفا

---

(١) الاستراباذي، شرح الشافية ٣/ ٢٦٠.

(٢)عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة ١١٨-١١٩، وانظر اندريه مارتينه، اللسانيات المعاصرة ٤٨، ودي سوسير، فصول في علم اللغة العام ٨٦، وقسطندي شوملي؟مدخل إلى علم اللغة الحديث ٦٤، ودافيد كريستل، التعريف بعلم اللغة ١٠٣.

متوسطا. فإذا جمعنا الأصوات الشديدة مع الرخوة فهي واحد وعشرون صوتا، ويبقى من أصوات العربية الأصول ثمانية أصوات وهي ل، م، ي، ر، و، ع، ن، ا، فاعتقد الأقدمون أن هذه الأصوات هي المتوسطة لذلك جمعوها في (لم يروعنا). إلا أن سيبويه لم يذكر إلا العين من هذه الأحرف المتبقية من مجموع الشديد والرخو: "أما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء"[1].

فأين الأحرف السبعة الأخرى التي لم يذكرها سيبويه لا مع الشديد ولا الرخو ولا المتوسطة؟ يبدو لي أن الصفات الأخرى هي المنحرف والغنة والمكرر واللين والهاوي حيث إن المنحرف(اللام) والغنة(الميم والنون)،والمكرر (الراء)، واللين (الواو والياء)، والهاوي(الألف)- قد عدها سيبويه شديدة إلا أن الصوت يجري فيها لعلة ذكرها مع كل صفة فإذا جمعنا هذه الأصوات مع الشديدة والرخوة لم يتبق سوى العين، وهي التي عدها سيبويه بين الرخوة والشديد[2].

أما المحدثون فقد اختلفوا في صفة صوت العين حيث عده بعضهم رخوا وآخرون متوسطا، وزمرة منهم تركوا البت فيه إلى ما ستكشفه التجارب في المستقبل[3].

ومن بين المحدثين الذين عدوه متوسطا (برجشتراسر) الذي يرى أن هذا الحرف متنوع النطق يظهر تارة متمادا وأخرى أنيا، والدوي الممازج لها أحيانا قوي وأحيانا ضعيف[4].

والشيء ذاته يراه عبد الصبور شاهين فهذا الصوت قد يتعرض أحيانا لنوع من التماد والاحتكاك الموجود في الحاء، كما أنه يوجد فيه توتر أكثر من خواتها

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ٤/٤٣٥.

(٣) البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ٦٨.

(٤) برجشتراسر، التطور النحوي ١٥.

المجهورات، ولكنها زيادة لا تصل إلى درجة الشدة"[1]. ويرى د.عبد القادر مرعي أن هذا الصوت رخو(احتكاكي)، لأن صفته الاحتكاكية تغلب عليه حيث يحتك الهواء بأقصى الحلق أثناء نطقه[2].

وبعد هذا العرض للمجهور والمهموس والشديد والرخو أبرز جملة من الملاحظات:

١- استطاع سيبويه أن يميز بين الشديد والمجهور والمهموس والرخو بعبارات قصيرة تحمل مضامين علمية.

٢- اقترب سيبويه من المحدثين في هاتين الصفتين واختلف في النطق بالضاد، إذ عدها صوتا رخوا، في حين عدها المحدثون شديدا، وقد فسر المحدثون ذلك بأن الضاد عند سيبويه هي الضاد الضعيفة التي قال فيها سيبويه:" تتكلف من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف"[3]، إلا أنني لا أرى ما يراه المحدثون؛ لأن سيبويه لم يذكر إلا صفات الأحرف الأصول ولم يذكر الفروع حسنها ولا رديئها، ووصف مخرج الضاد الفصيح بقوله:" ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد"[4].

وربما كان هذا الصوت رخوا يقترب في نطقه من الظاء إلا أن اللسان يدخل قليلا إلى الداخل ويسمح بمرور قدر بسيط من الهواء مما جعله صوتا احتكاكيا رخوا، ثم تطور هذا الصوت إلى أن وصل في نطقه الطريقة نفسها التي ننطقها الآن.

واختلف المحدثون أيضا في صوت الجيم، فقد عده سيبويه شديدا في حين عده المحدثون مركبا مزدوجا. وقد وصف هذا الصوت تمام حسان بقوله:"... لا

---

(١) د.عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي ٢٠٧.

(٢) عبد القدر مرعي، المصطلح الصوتي ١١٢.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٢.

(٤) المصدر نفسه ٤/٤٣٣.

يصاحبه هذا الانفصال المفاجئ بل يصاحبه انفصال بطيء، وفي هذا الانفصال البطيء مرحلة بين الإمداد المطلق، والانفتاح المطلق، شبيهة كل الشبه بالتضيق الذي وصفناه حين الكلام عن الأصوات الرخوة... ومعنى ذلك إن هذا الصوت العربي يجمع بين عنصر الشدة، وعنصر الرخاوة، فهو مركب بهما، ولهذا سميناه صوتا مركبا، ذلك هو صوت الجيم"[1].

٣- فرق سيبويه بين المخرج والموضع والنفس والصوت، وأراه يقصد بالموضع الوترين الصوتيين، في حين أن المخرج هو النقطة التي يتم فيها التقاء عضوين أو جزئين التقاء تاما أو غير تام. أما النفس فهو الهواء الخارج من الرئتين دون ذبذات، في حين أن الصوت الهواء الذي يحمل الذبذبات الصوتية.

٤- لم يتعرف سيبويه الوترين الصوتيين لعدم وجود أجهزة قادرة- في ذلك الوقت- على اكتشافهما، إلا أنه استطاع بحسه أن يكتشف حالة التوتر التي تتم في الموضع في قوله:" حرف اشبع الاعتماد في موضعه".

٥- لم يذكر سيبويه إلا حرف العين من الأحرف المتوسطة، في حين اعتبرها معظم علماء العربية ثمانية مجموعة في (لم يروعنا)، حيث عد الحروف السبعة الباقية شديدة يجري فيها الصوت لعلة ذكرها.

---

(١) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ٨٧، ط ١.

الأصوات الشديدة التي يجري فيها الصوت لعلة فيها

١- **المنحرف**: فقد وصفه سيبويه بقوله:" وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو اللام. وإن شئت مددت فيها الصوت. وليس كالرخوة؛ لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك"[١].

إذ عد سيبويه حرف اللام حرفا شديدا، في الوقت نفسه لم يذكره عند الحديث عن الحروف الشديدة، ولم يذكره في معرض حديثه عن الرخوة، إلا أنه عاد وعدها شديدة ولكن مع جريان الصوت فيها، وعلة جري الصوت كما ذكرها، هي انحراف اللسان مع الصوت في حين يفسر بعد هذا الحرف عن الرخاوة، وذلك لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه إذ لا يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من أعلى مستدق اللسان.

وأشار إلى هذه الصفة ابن عصفور بقوله:" وتنقسم أيضا إلى منحرف وغير منحرف، فالمنحرف اللام، وما عداها ليس بمنحرف"[٢].

وقد زاد الكوفيون "الراء" إليه، فهما(اللام والراء) عندهم صوتان منحرفان[٣].

واللام من وجهة حديثة صوت لثوي يتم نطقه باتصال طرف اللسان باللثة، وارتفاع الطبق الذي يؤدي إلى إغلاق المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق. ومعنى الانحراف: خروج الهواء من أحد جانبي اللسان أو كليهما معا، ويسمى عند المحدثين "Lateral"[٤].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٥.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف ٤٢٩.

(٣) السيوطي، همع الهوامع ٢/٢٣٠.

(٤) د.خليل عطية، البحث الصوتي عند العرب ٦٠.

٢- الغنة: وصفها سيبويه بقوله:" ومنها حرف شديد يجري معه الصوت(لأن ذلك الصوت غنة) من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحروف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت، وهو النون وكذلك الميم"[١].

لذلك عد سيبويه هذين الحرفين شديدين لكنهما يحملان صفة أخرى غير الشدة هي الغنة، تلك العلة التي جعلت الصوت يجري من الأنف وليس من موضع اللسان.

وقد أشار إليه ابن عصفور بقوله:" فالأغن الميم والنون. والغنة صوت في الخياشيم، وما عدا ذلك فليس بأغن"[٢].

٣- المكرر: وصفه سيبويه بقوله:" وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصوت كالرخوة، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه. وهو الراء"[٣].

فهذا الصوت هو شديد لو أننا منعنا تكريره وجردناه من هذه الصفة لا نطبق على تعريف الشديد، إلا أن علة التكرير هي التي جعلت الصوت يجري فيه.

وقد وصفه ابن جني:" ومنها المكرر وهو الراء- وذلك أنك إذا وقفت عليها رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير، وذلك أحتسب في الإمالة بحرفين"[٤].

ويراد بالتكرير ملاحظة الضربات المتلاحقة التي تصحب نطق الراء، ولذلك يسميه المحدثون "Rolled"[٥].

ويعرفه ماريوباي:" أما الراء فهي في معظم اللغات مكررة أو ترددية(Trill) أو (Flare) يتم نطقها في مقدمة اللسان مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية يطلق

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٥.

(٢) ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف ٤٢٩-٤٣٠.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٥.

(٤) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/٦٣، وانظر الزمخشري، المفصل ١٠/١٢٠.

(٥) د.خليل عطية، البحث الصوتي عند العرب ٦٠.

عليه أحيانا اسم المهتز Vibrant لأن إنتاجها يصاحبه دائما ذبذبة في الأوتار الصوتية، أو اللسان، أو اللهاة"[١].

ويقول فيه رمضان عبد التواب:" وأما الراء فإنها صوت تكراري مجهور، يتم نطقه بأن يترك اللسان مسترخيا في طريق الهواء من الرئتين، فيرفرف اللسان ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة، وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري، هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية عند نطق هذا الصوت"[٢].

٤- **الحروف اللينة**: يقول فيها سيبويه:" وهي الواو والياء، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما كقولك: وأي، والواو. وإن شئت أجريت الصوت ومددت"[٣].

فهذان الصوتان شديدان إلا أن الصوت يجري فيهما لعلة وهي اتساع مخرجهما لهواء الصوت.

فقد فصل سيبويه الألف عن الواو والياء، لأنه كان يرى الألف متسعة بشكل كبير أكثر من الواو والياء لذلك وضع له صفة خاصة وهي" الهاوي"، وهذا ينبع من دقة سيبويه في توصيل صفة الحروف، وكأنه ينطق به حينما يصفه.

٥- **الهاوي**: قال عنه سيبويه:" وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف"[٤].

فالحرف الهاوي هو حرف شديد، غير أن الصوت يجري فيه، وذلك لعلة اتساع المخرج، فكأن اتساع مجرى الصوت فيه وامتداده في الفم جعله يهوي في الفضاء، لا يستند اللسان معه إلى شيء ولا يتحرك نحو شيء، ولا يحتك الهواء معه بشيء، وهو يختلف عن الواو والياء في أن الواو تضم شفتيك معه، وفي الياء ترفع لسانك قبل الحنك. إذ إن هذه الأصوات الثلاثة(اللينة) هي أصوات انطلاقية لا يحدث فيها انحباس ولا احتكاك وإنما يجري فيها الصوت بيسر وسهولة.

---

(١) ماريوباي، أسس علم اللغة ٨٦هـ.

(٢) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٤٨.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٥.

(٤) المصدر نفسه ٤/٤٣٥-٤٣٦.

الإطباق والانفتاح والصفير والتفشي والاستطالة

قال سيبويه في الإطباق:" فأما المطبقة فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء... وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك في مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك، فالصوت محصور فيما بين اللسان في الحنك إلى موضع الحروف"(١).

ثم تكلم سيبويه عن هذه الأحرف الأربعة وأنها تماثل أحرفا أخرى في مخرجها نفسه، إلا أن الإطباق هو الذي يجعلها تتميز عن هذه الحروف، فقال:" ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها"(٢).

وعرفه أيضا ابن جني بقوله:" أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها تزول الضاد إذا عدمت الإطباق إليه"(٣).

وهذا ما ذهب إليه الرضي الأستراباذي والزجاج وابن السراج وسواهم من لغويي العرب(٤).

وقد ذكر سيبويه مصطلحات الصفير والتفشي والاستطالة في طيات باب الإدغام، وليس في مستهل هذا الباب، حينما تحدث عن الإدغام وعلله، فقد قال في الحروف المتفشية والمستطيلة:" والشين لا تدغم في الجيم، لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء فصارت منزلتها منها نحوا من منزلة الفاء مع الباء، فاجتمع هذا فيها والتفشي"(٥).

وقوله في الاستطالة أيضا:" ولا تدغم في الصاد والسين والزاي لاستطالتها يعني الضاد كما امتنعت السين ولا تدغم الصاد وأختاها قبلها لما ذكرت لك"(٦).

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/٦١.

(٤) الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٦٣، انظر الزجاجي، الجمل في النحو ٤١٣، وابن السراج، الأصول في النحو ٣/٤٠٣.

(٥) سيبويه، الكتاب ٤/٤٤٨.

(٦) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٦.

ولم يذكر سيبويه تعريفا بينا لهذه الصفات إذ إنها وردت في سياق حديثه عن الإدغام، لكن معظم العلماء عرفوها، فقد عرفها ابن عصفور بقوله:" فالمستطيل الضاد لأنها استطالت في مخرجها على حسب ما ذكر في المخارج، وغير المستطيل ما عداها"[١].

أما المتفشية فقد تناولها ابن الطحان بالتعريف قائلا:" انتشار خروج الريح وانبساطه، حتى يتخيل أن الشين انفرشت، حتى لحقت لمنشأ الظاء، وهي أخص بهذه الصفة من الهاء"[٢].

ويعرف مالمبرج التفشي بقوله:" هو أن يشغل اللسان أثناء النطق بالصوت مساحة أكبر ما بين الغار واللثة، وهو وصف صادق على الشين، ولولا التفشي لصارت الشين سينا، كما يحدث لدى بعض ذوي العيوب النطقية، ولا سيما الأطفال الذين لا يجدون عناية ممن حولهم من الكبار"[٣].

وذكر سيبويه أيضا مصطلح الصفير في أثناء حديثه عن الإدغام:" وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن، لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع"[٤].

وعد سيبويه هذه الحروف-حروف الصفير- فيها علو وارتفاع تختلف عن باقي الحروف في هذه الصفة.

وعرفها ابن الطحان بقوله:" والصفير حدة الصوت، كالصوت الخارج عن ضغط ثقب"[٥].

ويتفق المحدثون مع الأقدمين في وصف هذه الأصوات، فقد وصفها مالمبرج:"وهو كون الصوت شديدا لوضوح في السمع نتيجة الاحتكاك الشديد في المخرج، وهو وصف صادق على ثلاثة صوامت: السين، والزاي، والصاد"[٦].

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف ٤٢٩.

(٢) ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها ٩٤.

(٣) مالمبرج، علم الأصوات ١٢٠، ترجمة عبد الصبور شاهين.

(٤) سيبويه، الكتاب ٤٦٤/٤.

(٥) ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها ٩٤.

(٦) مالمبرج، علم الأصوات ١٢.

الفصـــــل الأوّل

دراسة الأصوات الصامتة تركيبيّاً ووظيفياً عند سيبويه:

الهمز

الإبدال

الإدغام

الهمـــــــــز

أولاً: تعريف الهمز

ثانياً: طرق التخلص من الهمز.

أ- تخفيف الهمز(همزة بين بين)

ب- إبدال الهمز

ج- حذف الهمز

ثالثاً: اللغات في الهمزتين المتعاقبتين إذا كانت كل همـــزة فـــي كلمة.

رابعاً: اللغات في الهمزتين المتعاقبتين في كلمة واحدة.

أولا: تعريـــف الهمـــــز

تعد الهمزة بحسب طبيعة نطقها من أصعب الأصوات إخراجا، وذلك بسبب ما يتطلبه نطقها من جهد عضلي يسببه شد الوترين الصوتيين وانطباقهما على بعضها بإحكام، إلى جانب الإحتقان والتوتر الناشئين عن قطع النفس فترة من الزمن، إلى جانب ضغط الرئتين على الهواء، ثم الانفتاح السريع للأوتار الصوتية.

لقد ألمح القدماء لهذه الخاصية حيث أحسوا بذلك الجهد الذي يتطلبه نطق الهمزة فوصفوها بأنها:" نبرة في الصدر تخرج باجتهاد"(١).

وعرفها ابن سينا بأنها:"حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير" (٢).

ويذهب خليل إبراهيم العطية إلى القول:(سمي بالهت حينا- والنبر أحيانا، ثم شاع مصطلح الهمز، وكل هذه المصطلحات دالة على الضغط الذي يستشعره المتكلم عند تحقيق الهمزة المستبان من التقاء الأوتار الصوتية في الحنجرة وملاحظة صفتها الانفجارية، حتى سميت الهمزة بالحبسة الحنجرية أو الوقفية Glottol stop) (٣).

ولعله بسبب صعوبة نطق الهمزة يرى المخزومي أن القبائل اختلفت في نطقها فمالت البدوية إلى تحقيقها والحضرية إلى تسهيلها(٤).

وعد علماء العربية القدماء الهمزة من الأصوات الحلقية الشديدة المجهورة(٥). ولكنها عند بعض المحدثين من اللغويين صوت محايدNeutral consonant أي لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور(٦) . وعده كانتينو صوتا مهموسا(٧).

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٨.

(٢) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف ٧٢.

(٣) د. خليل إبراهيم العطية، أبو زيد الأنصاري وكتابه الهمز ٣٢.

(٤) د. أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث ١٨٣-١٨٤.

(٥) الكتاب ٤/٤٣٣.

(٦) د. كمال بشر، علم اللغة العام الأصوات ط٥ ١٩٧٩م،ص١١٢.

(٧) محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، الكويت ١٩٧٣م، ص٢٣.

وبسبب صعوبة نطق الهمزة مالت بعض اللهجات العربية قديماً إلى التخلص منها، وخاصة قريش، والحجاز عامة، ففي الأثر عن علي كَرم الله وجهه- أنه قال:(نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر، ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي صلى الله عليه وسلم ما همزنا) (1).

ويمكن التخلص من الهمز بطرق ثلاث: التخفيف والإبدال والحذف. وسأعرض هذه الطرق عند سيبويه مع محاولة دراستها من منظور علم الأصوات الحديث.

(1) الأستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب ٣/٣٢.

ثانياً: طرق التخلص من الهمز:

أ- تخفيف الهمز (همزة بين بين)

استعمل سيبويه مصطلح همزة بين بين إذْ يقول:" وأما التخفيف فتصير الهمزة فيه بين بين"[١]، وفي شرح السيرافي في باب الهمزة يقول:" ومعنى قولنا بين بين في هذا الموضع وفي كل موضع يرد بعده من الهمز أن تجعلها من مخرج الهمزة ومخرج الحرف الذي منه حركة الهمز، فإذا كانت مفتوحة جعلناها متوسطة في إخراجها بين الهمزة وبين الألف..."[٢].

أما همزة " بين بين" من وجهة نظر حديثة كما يراها عبد الصبور شاهين، فهي ليست همزة، إذْ إن الهمزة ليس لها سوى صورة واحدة فحسب، وهي ما أُطلق عليه "الحبسة الحنجرية"، فإذا اختلت هذه الحبسة فقدت الهمزة وجودها. وما هذه الهمزة (بين بين)، غير "سقوط الهمزة أساساً، واتصال الحركتين قبلها وبعدها مباشرة، بحيث يتكون لدينا المزدوج بالمعنى الكامل، وفي هذه الصورة للمزدوج يضعف وجود الانزلاق الذي تتشأ عنه أنصاف الحركات(الواو والياء)" [٣].

أما مواضع همزة " بين بين" كما تحدث عنها سيبويه فهي كما يلي:

-إذا كانت الهمزة وما قبلها يحملان الحركة نفسها:

أ- إذا كانت الهمزة مفتوحة وما قبلها مفتوح: فإنك تجعلها إذا أردتَ تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة[٤].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤١.

(٢) انظر سيبويه، الكتاب، الحاشية ٣/٥٤١.

(٣) د. عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٠٥.

(٤) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤١.

وبين سيبويه كيفية الأداء النطقي لهذه الهمزة حيث يقول:" غير أنك تضعّف الصوت ولا تُتمه وتخفي؛ لأنك تقربها من هذه الألف. وذلك قولك: سأل في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم، وقد قرأ قبلُ "بين بين"[١].

ومثالهُ قراءة نافع وأبي عمرو[٢]:" تأكل مِنْسَاتَهُ"، بدون همز.

والذي يحدث في سأل عند تخفيفها، إلى همزة" بين بين" هو سقوط الهمزة، فتلتقي الحركتان القصيرتان اللتان تكتنفانها فتشكل منهما حركة طويلة، وذلك على النحو التالي:

سأل: sa'ala ← saala ← sāla

والحركة الطويلة مهما مُدّتْ تبقى حركة طويلة.

وهناك الطريقة الأخرى في نطق"همزة بين بين" وقوامها سقوط الهمزة أيضاً من النطق، ولكن لا تتصل الحركتان القصيرتان اتصالا مباشراً، وإنما تكون هناك وُقَيْفَةٌ، تفصل بينهما في النطق، ومن ثم لا يتشكل من مجموع الحركتين القصيرتين حركة طويلة كما رأينا في الطريقة الأولى، وهذه الطريقة من تخفيف الهمزة هي ما اصطلح على تسميته بـ "همزة بين بين" التي يصفها السلف بأنها همزة تنطق نطقاً وسطاً بين الهمزة وبين الصوت الذي منه حركتها[٣]، أي بأن يجعل لفظها بين الهمزة والألف التي كانت مفتوحة وبين الهمزة والياء إن كانت مكسورة، وبين الهمزة والواو إن كانت مضمومة[٤]، فالسلف يتصورون أن هنالك صوتاً ينطق في مثل هذه الحالة إلا أن المستمع إلى مجيدي القرّاء لا يجد ثمة همزة على الإطلاق إنما سقطت الهمزة ثم كانت وقيفةٌ فاصلة بين الحركتين القصيرتين اللتين تكتنفانها.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤١-٥٤٢.

(٢) ابن مجاهد، السبعة في القراءات ٥٢٧.

(٣) انظر فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ٤٧٦-٤٧٧.

(٤) أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأماني، ١٢٨.

ولقد أحس القدماء بوجود فارق بين تخفيف الهمزة علـــى الطريقــة الأولـــى وتخفيفها على الطريقة الثانية[١].

ب- "إذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها ضمة.. فإنك تصيرها بين بين؛ وذلـك قولك: هذا درهم أختك"[٢]، ومثاله أيضا رؤوس حيث تسقط الهمزة وتبقى حركتـــها فتتشكل مع الحركة السابقة لها حركة ضم طويلة على النحو التالي:

رؤوس: ru'ū s ⟵ r u ūs ⟵ ru ūs

والطريقة الثانية هي التسهيل "بين بين" والذي ينطق في هذه الحالة هو(خفقـــة في الصدر) [٣]، وليس همزة القطع فتتم وقيفة على الهمزة يمكن أن نمثلها بالآتي:

ru'ūs ⟵ ru-ūs

والخط القصير بين الحركتين "-" يشير إلى الوقيفة في النطق بين الحركتين[٤].

ج- " إذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها كسرة (i) فهذا أمرها أيضا وذلك قولك من عند إبلك[٥].

والذي يحصل هو سقوط الهمزة ثم تتشكل حركتان متتابعتـــان همـــا حركتـــا الكسر تحولان إلى حركة طويلة (الياء)، ويمكن تمثيلها صوتيا على النحو التالي:

من عند إبلك:

min<indi'ibilik ⟵ min<indiibilik

فقط سقطت الهمزة لتتوالى حركتان قصيرتان (ii) وهاتان الحركتان القصيرتان لا يجوز تتابعهما لذلك حولتا إلى كسرة طويلة (ī).

---

(١) انظر فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ٤٧٧.

(٢) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٢.

(٣) سمير ستيتية، الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير، مجلة جامعة أم القرى ١٧٢.

(٤) فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ٤٧٦.

(٥) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٢.

أمّا الطريقة الأخرى فلا تتشكل فيها حركة طويلة من مجموع الحركتين المتتابعتين، وإنما يوقف بينهما وقفةً تكاد لا تذكر وهذا كما -يبدو- هو ما يسمى همزة بين بين.

٢- إذا كانت الهمزة تختلف في حركتها عما سبقها:

أ- "إذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة...، وذلك قولك: يئِسَ، وسئِم"(١). ومثيله قوله تعالى: "وإذْ قال إبراهيم"(٢).

وتنشأ الياء من تتابع أي حركة مع الكسرة سواءٌ أكان الكسر للهمزة أو ما قبلها حيث ينشأ انزلاق حركي مكونا صوت الياء، ففي يئِس ya'isa تسقط الهمزة. ثم ينشأ انزلاق حركي مكوناً صوت الياء حتى يتمّ تصحيح المقاطع على النحو التالي: ya/ yi/ sa.

وكذلك سئِم sa'ima تسقط الهمزة لتصبح saima ثم يحدث انزلاق بين الفتحة والكسرة فتنشأ الياء حتى يتم تصحيح المقاطع على النحو التالي sa/ yi/ma ومن الأمثلة: أيضاً سائِل ورئيس يمكن تمثيلها كالتالي

سائلٌ: sā'ilun ← sāilun ← sāyilun

رئيس: ra'īs ← raīs ← rayīs

ب- إذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والواو الساكنة، والمضمومة قصتها وقصة الواو قصة المكسورة والياء، فكل همزة تقرب من الحرف الذي حركتها منه"(٣).

ثم بين سيبويه العلة من جعلها بين بين وليس إبدالها حتى لا تحول الهمزة عن بابها ولنعلم أن أصلها الهمز وفي ذلك يقول:" فإنما جعلت هذه الحروف بين بين

(١) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٢.
(٢) سورة النساء، الآية ٧٤.
(٣) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٢.

ولم تجعل ألفات ولا ياءات ولا واوات؛ لأن أصلها الهمز، فكرهوا أن يخففوا علـــى غير ذلك فتحول عن بابها، فجعلوها بين بين ليعلموا أن أصلها عندهم الهمز"[1]

ومن الأمثلة على ذلك يؤم حيث تسقط الهمزة وتتابع حركتان قصيرتان الفتحـة والضمة ثم يحدث انزلاق حركي مكونا صوت الواو حتى يتم تصحيح المقاطع كمـا في المخطط الصوتي الآتي:

يؤم: ya'ummu ← yaummu ← yawummu

ج- إذا كانت الهمزة مكسورة وقبلها ضمة فإن الانزلاق يحدث إلى الياء ومثال ذلك: من عند أمك[2]. وما يحدث هو حذف الهمزة فتتوالى حركتان قصيرتان الكسرة والضمة ثم يحدث انزلاق إلى الياء لتصير حسب المخطط الصوتي الآتي:

عند أمك:

<indi'ummika ← <indiummika ← <indiyummika

---

(1) المصدر نفسه ٣/٥٤٢.

(٢) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٢.

ب- إبدال الهمـــز

فرق سيبويه بين همزة "بين بين" وبين إبدال الهمزة حرفا من حروف العلـة، إذ إن همزة "بين بين" تكون بين الهمزة وبين الحركة التي فيها حركة الهمزة في حيـن أن إبدال الهمز تختفي فيه الهمزة تماما، وهذا ما لم يؤيده علم الأصوات الحديـث، ومن المواضع التي ذكرها سيبويه في إبدال الهمزة ألفا أو واوا أو ياء ما يلي:

١- إذا كانت الهمزة مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور: فإنك تبدل مكانها ياء في التخفيف، وذلك قولك في المئر : مير(١).

والذي جعل سيبويه يبدل ويتجنب همزة بين بين هو أن الهمزة مفتوحـة- أي أنه جعل همزة بين بين الهمزة والفتحة وهذا لا يستقيم بوجود حركة الكسـر التـي تسبق الهمزة، لذلك تعذر على سيبويه أن يجعلها بين بين فأبدلها ياء لتماثل حركـة الكسر التي تسبقها.

وحالة الإبدال هذه يمكن تمثيلها من الوجهة الصوتية الحديثة حيـث تسـقط الهمزة ثم تتابع الحركتان الفتحة والكسرة ثم يفصـل بشـبه الصـامت (y) بينـهما لتصحيح المقطع على النحو التالي:

مئر: mi'arun ⟵ miarun ⟵ miyarun

٢- إذا كانت الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة تبدل الهمزة واوا وذلك قولك في: التؤدة: تودة: وفي الجؤن: جون(٢). وعلل سيبويه عدم المقدرة على جعلها بين بيـن بقوله:" وإنما منعك أن تجعل الهمزة ههنا بين بين من قبل أنها مفتوحة،فلم تستطع أن تنحو بها نحو الألف وقبلها كسرة أو ضمة، كما أن الألف لا يكون ما قبلها مكسـورا ولا مضموما، فكذلك لم يجئ ما يقرب منها في هذه الحال"(٣).

---

(١) سيبويه، الكتاب ٥٤٣/٣.

(٢) المصدر نفسه ٥٤٣/٣.

(٣) المصدر نفسه ٥٤٣/٣.

ولم يجعل سيبويه هذه الهمزة بين بين من قبل أن الهمزة مفتوحة، فإذا أراد أن يجعلها بين بين، فإنها ستكون بين الهمزة والفتحة وهذا لا يستقيم بوجود الضمة التي تسبق الهمزة لذلك ومن قبيل المماثلة الصوتية أبدلها واوا.

ويمكن تمثيل هذا الإبدال صوتيا:

جؤن: ğu'anun ← ğuanun ← ğuwanun

حيث سقطت الهمزة فتتابعت حركتان قصيرتان الضمة والفتحة ثم حدث انزلاق إلى الواو لتصبح جون.

٣- **إذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة تبدل ألفا**، وذلك قولك في رأس وبأس وقرأت: راس، وباس وقرات [١].

ولم يعد سيبويه هذه الهمزة بين بين لأن همزة بين بين تكون بين الهمزة وبين حركة الهمزة، وفي بأس، ورأس وقرأت لا يوجد حركة وأن الهمزة ساكنة، لذلك كان الإبدال.

ومن المنظور الحديث، فإن الهمزة إذا كانت ساكنة وأردنا التخفيف فإننا نسقط الهمزة ونعوض عنها بمد حركة الصامت الذي قبلها[٢]، وذلك على النحو التالي:

رأس: ra'sun ← rasun ← rāsun

بأس: ba'sun ← basun ← bāsun

قرأت: ḳara'tu ← ḳaratu ← ḳarātu

حيث سقطت الهمزة في الكلمات الثلاث ثم عوض عنها بمد حركة ما قبل الهمزة وهي الفتحة لتصبح حركة طويلة.

٤- **إذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها ضمة تبدل الهمزة واوا**: وذلك قولك في الجؤنة، والبؤس، والمؤمن: الجونة، والبوس، والمومن[٣].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٥٤٣/٣.

(٢) فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ٤٧٥.

(٣) سيبويه، الكتاب ٥٤٣/٣.

ولم يعد سيبويه هذه الهمزة بين بين، لأن همزة بين بين تكون بين الهمزة وحركتها، وحركة الهمزة ساقطة بوجود السكون لذلك كان لا بد من الإبدال.

ومما حذفت فيه الهمزة وعوض عنها حرف مد من جنس الحركة التي قبلها قراءة الزهري ويعقوب:" ومن يوت الحكمة"[١]، بمد الضمة التي على الياء وتحويلها واوا تعويضا عن الهمزة المحذوفة في يؤت[٢].

فمد الضمة بعد الياء وتحويلها واوا جاء تعويضا عن الهمزة المحذوفة التي كانت أداة للنبر، فانتقل النبر إلى الياء التي صارت بداية المقطع المنبور "يو" الذي صار مزدوجا صوتيا يشكل مقطعا طويلا مفتوحا[٣].

ويمكن تمثيل ذلك صوتيا:

البؤس: 'albu'su ⟵ 'albusu ⟵ 'albūsu

يؤت: yu'ta ⟵ yuta ⟵ yūta

٥- **إذا كانت الهمزة ساكنة مسبوقة بكسرة تبدل ياء**، وذلك قولك: الذئب والمئرة: ذيب وميرة[٤]. وعلل سيبويه ذلك بقوله:" فإنما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها"[٥]. وعلل أيضا امتناع أن تكون هذه الهمزة "بين بين" بأن الحروف الساكنة حروف ميتة إذ يقول:" وإنما يمنعك أن تجعل هذه السواكن" بين بين" أنها حروف ميتة، وقد بلغت غاية ليس بعدها تضعيف، ولا يوصل إلى ذلك ولا تحذف؛ لأنه لم يجئ أمر تحذف له السواكن، فألزموه البدل كما ألزموا المفتوح الذي قبله كسرة أو ضمة البدل"[٦].

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٦٩.

(٢) ابن جني المحتسب ١/١٤٣. وانظر الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة٥٣.

(٣) صاحب جعفر، الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز ١٨.

(٤) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٤.

(٥) المصدر نفسه ٣/٥٤٤.

(٦) المصدر نفسه ٣/٥٤٤.

وقرأ ابن أبي عبلة والحسن وابن عامر:((أنبيهم)) [١]، بالياء من قوله تعـالى:" قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم"[٢].

ويمكن تمثيل الأداء الصوتي في المعادلة التالية:

ذئب: d̲i'b ⟵ d̲ib ⟵ d̲īb

مئرة: mi'ratun ⟵ miratun ⟵ mīratun

أنبئهم: 'anbi'hum ⟵ 'anbihum ⟵ 'anbīhum

(١) ابن جني المحتسب ١/١١

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٣.

أدعو إيلكم ← أدعو بلكم

<ūb ← <ū'ib

وإذا أردنا أن نجعلها همزة بين بين أو بحذف الهمزة وتعويضها بمد حركتها حينها يتشكل المزدوج المرفوض من الصائت الطويل(الياء) مع الصائت الطويل (الواو) لذلك كان لا بد من الحذف دون مد الحركة، وكذلك في المزدوج الذي يتشكل في "أدعو إيلكم" وذلك من الصائت الطويل(الواو) مع الصائت الطويل الياء.

٥- إذا سبقت الهمزة بفعل ينتهي بالياء، مثل:

هو يرم خوانه، حيث تحذف الهمزة ولا تطرح الكسرة على الياء، ولكن تحذف الياء لالتقاء الياء الساكنة مع الخاء الساكنة[١].

فبعد حذف الهمزة يتشكل لدينا ثلاث كسرات متتابعة iii تقع بين صامتين لذلك تخلصت العربية من هذا المقطع المرفوض في بنية الكلمة عن طريق حذف الصائت الطويل(ii).

ويمكن تمثيل ذلك صوتيا:

يرمي إخوانه:

yarmihwānahu ← yarmiiihwānahu ← yarmii'ihwānahu

ب- حذف الهمزة المتحركة المسبوقة بساكن أو صائت طويل مع إلقاء حركتها على ما قبلها بعد تضعيفه، ومن مواضعها:

١- عندما تكون الهمزة متحركة مسبوقة بالواو في كلمتين منفصلتين

ومثاله: أو نت[٢]، يريدون : أو أنت.

فقد ضعفت شبه الحركة(الواو) وألقيت حركة الهمزة على الواو.

ويمكن تمثيل ذلك صوتيا:

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣/٥٥٦.

(٢) المصدر نفسه ٣/٥٥٦.

أو أنت: 'aw'anta ←—— 'awanta ←—— 'awwanta

إذ وقعت الهمزة بين شبه حركة وحركة قصيرة.

٢- عندما تكون الهمزة متحركة مسبوقة بالواو في كلمة واحدة؛ ومثالها:
سوة وضو، فيمن أراد: سوأة، وضوء، ومثال ذلك قراءة الزهري[١]: "سوة" في قوله تعالى: "فأواري سوأة أخي" [٢].

ويمكن تمثيل ذلك على النحو التالي:

سوأة ←—— سوة

saw'atun ←—— sawwatun

إذ حذفت الهمزة وعوض عنها بشبه الحركة w

٣- عندما تكون الهمزة متحركة مسبوقة بالياء في كلمتين منفصلتين،
ومثالها: أنا أرمي باك، وغلامي بيك. يريدون: أنا أرمي أباك، وغلامي أبيك.

فقد حذفت الهمزة وضعف ما قبلها حاملا حركتها:

أرمي أباك:

'armii'abāka ←—— 'armiiabāka ←—— 'armiyyabāka

٤- أن تكون الهمزة متحركة مسبوقة بصحيح ساكن ولم أجد هذا الموضع عند سيبويه ووجدته في كتب القراءات ومثاله قراءة أبي جعفر والزهري وشيبة[٣]: "جزا" في قوله تعالى: "ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا" فقد سقطت الهمزة وضعفت الزاي مع اكتساب حركة الهمزة.

ويمكن تمثيل ذلك بالكتابة الصوتية:

جزءا ←—— جزا

ğuz'an ←—— ğuzzan

---

(١) ابو حيان، البحر المحيط ٤٦٧/٣.

(٢) سورة المائدة، آية ٣١.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط ٣٠٠/٢.

ثالثا: اللغات في الهمزتين المتعاقبتين في الكلمة الواحدة

١- تحقيق الهمزة الأولى وإبدال الثانية، فقد أورد سيبويه ذلك على لسان الخليل إذ يقول:" إني رأيتهم حيث أرادوا أن يبدلوا إحدى الهمزتين اللتين تلتقيان في كلمة واحدة أبدلوا الآخرة وذلك: جايء وآدم. ورأيت أبا عمرو أخذ بهن في قوله عز وجل:" يا ويلتا أألد وأنا عجوز"[١]، وحقق الأولى[٢].

والأمر كذلك بالنسبة لهمزة الاستفهام غير المسبوقة بشيء فلا بد من تحقيقها يقول سيبويه:" وإن جاءت ألف الاستفهام وليس قبلها شيء لم يكن من تحقيقها بد وخففوا الثانية على لغتهم"[٣].

فليس هذا عند المحدثين من باب همزة بين بين أو إبدالها، بل هو حذف للهمزة وتعويض عنها بحرف مد مجانس للحركة التي قبلها، وليس الأمر همزة بين بين ولا قلبا ولا إبدالا؛ لأن القلب والإبدال خاص بالأصوات المتقاربة المخارج المشتركة في بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدة والرخاوة، وليس بين الهمزة وأحرف المد تقارب في المخرج ولا في الصفة، والإبدال إنما يقتصر على النقل والسماع وليس هو قياسا[٤]. ويمكن تمثيل هذا الأداء الصوتي بالكتابة الصوتية:

أألد: ’a’alidu ←——— ’aalidu ←——— ’ālidu

فقد حذفت الهمزة الثانية فالتقت حركتان قصيرتان هما: حركة الهمزة الأولى والحركة المتبقية من الهمزة المحذوفة فأبدلتا.

٢- إبدال الأولى وتحقيق الثانية: يقول سيبويه: " وقياس من خفف الأولى أن يقول: "يا ويلتا اْألد"[٥] ، فقد حذفت الهمزة الأولى- من المنظور الحديث- فبقيت

---

(١) سورة هود، آية ٧٢.

(٢) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ٣/٥٥١.

(٤) صاحب جعفر، الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز ١٦.

(٥) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٩.

حركة الفتح التي بعد الهمزة الأولى ثم مطلت الحركة لتصبح صائتا طويلا يمكن تمثيله بالمعادلة التالية:

ألد: ’a’alidu ← a’alidu ← ā’alidu

٣- تحقيق الهمزتين مع إدخال ألف بينهما، يقول سيبويه:" ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفا إذا التقتا، وذلك أنهم كرهوا التقاء همزتين ففصلوا، كما قالوا: اخشينان ففصلوا بالألف كراهية التقاء هذه الحروف المضاعفة"(١). حيث قاس سيبويه تتابع الهمزتين على تتابع الألفين في اخشينان، فالعلة في إدخال الألف هي كراهية توالي الأمثال.

ومن الأمثلة على ذلك قول ذي الرمة:

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل

وبين النقا آأنت أم أم سالم(٢).

وما حدث من الوجهة الصوتية الحديثة هو تحويل حركة الهمزة الأولى إلى صائت طويل كما في المعادلة التالية:

أأنت: ’a’anta ← ’aa’anta ← ’ā’anta

٤- تحقيق الهمزتين دون إدخال ألف، يقول سيبويه: " وأما الذين لا يخففون الهمزة فيحققونهما جميعا ولا يدخلون بينهما ألفا"(٣)، ومن الأمثلة على ذلك قولنا: أأنت دون تخفيف.

والتحقيق سمة غير حضرية، فالتميميون هم الذين كانوا يحققون الهمز(٤). ومثال ذلك قولنا:

---

(١) المصدر نفسه ٥٥١/٣.

(٢) ديوانه ٦٢٢، والمبرد، المقتضب ١٦٣/١، والمبرد، لكامل ٦٤٢، والقالي، الأمالي ٥٨/٢، وابن جني، الخصائص ٤٥٨/٢، وابن الأنباري ٣٢٠/١، والإنصاف ٤٨٢، وابن يعيش، شرح المفصل ٩٤/١، ١٩٩/٩، والاستراباذي، شرح شواهد الشافية ٣٤٧، والسيوطي، الهمع ١٧٢/١.

(٣) سيبويه، الكتاب ٥٥١/٣

(٤) عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٨٠.

أأنت 'a'anta

أألد 'a'alidu

٥- **تحقيق الأولى وإبدال الأخرى**، يقول سيبويه:" واعلم أن الهمزتين إذا التقتا في كلمة واحدة لم يكن بد من بدل الآخرة، ولا تخفف لأنهما إذا كانتا في حرف واحد لزم التقاء الهمزتين الحرف"[١].

"فمن ذلك قولك في فاعل من جئت جايء، أبدلت مكانها الياء لأن ما قبلها مكسور، فأبدلت مكانها الحرف الذي منه الحركة التي قبلها، كما فعلت ذلك بالهمزة الساكنة حين خففت"[٢]، "ومن ذلك أيضا: آدم، أبدلوا مكانها الألف، لأن ما قبلها مفتوح"[٣].

وما حدث هو سقوط الهمزة الثانية كما في المعادلة التالية:

أأدم آدم: 'a'adam ←—— 'aadam ←—— 'ādam

(١) سيبويه، الكتاب ٣/٥٥٢.

(٢) المصدر نفسه ٣/٥٥٢.

(٣) المصدر نفسه ٣/٥٤٩.

رابعا: اللغات في الهمزتين المتعاقبتين في كلمتين منفصلتين

١ – تخفيف الأولى وتحقيق الهمزة الثانية، وهذا قول أبي عمرو وذلك في قوله تعالى:" فقد جا أشراطها"، و" يا زكريا إنا نبشرك" من قوله تعالى:" فقد جاء أشراطها"[١]، و" يا زكرياء إنا نبشرك"[٢]. وعن ذلك يقول سيبويه: ((واعلم أن الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما من كلمة، فإن أهل التحقيق يخففون إحداهما ويستثقلون تحقيقهما لما ذكرت لك، كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة. فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة، وهو قول أبي عمرو. وذلك قولك:" فقد جا أشراطها" و"يا زكريا إنا نبشرك"))[٣].

وفي هذه الحالة تسقط الهمزة الأولى من الهمزتين المتعاقبتين[٤]. وسقوط الهمزة في هذه الرواية لا تقتضيه مماثلة بين صوتين مفردين، ولكن المماثلة تكون بين كمية المقاطع المتتالية، فقبل الحذف كانت الهمزة الأولى تشكل مع فتحتها مقطعا قصيرا مفتوحا، وكان هذا المقطع محصورا بين مقطعين، كمية كل واحد منهما أكبر من كميته. فلما سقط المقطع القصير كله(أي الهمزة وفتحتها)، أصبح ثمة توازن وتماثل بين كمية المقطع الطويل المفتوح(جا)، والمقطع الذي يليه وهو مقطع مديد (أش)[٥].

يمكن أن نمثل ذلك صوتيا كالآتي:

جاء أشراطها:

ğā'a'ašratuhā ⟵ ğā'ašratuhā

حيث سقطت الهمزة مع حركتها.

---

(١) سورة محمد، الآية ١٨.

(٢) سورة مريم، الآية ٧.

(٣) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٨-٥٤٩.

(٤) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ١/٣٨٣.

(٥) سمير ستيتية، تحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير مقرئ مكة المكرمة، مجلة جامعة أم القرى، العدد التاسع ١٤١٤ صفحة ١٧١.

٢- **تحقيق الأولى وتخفيف الثانية**[١]، ومثال ذلك قوله تعالى:" فقد جاء اشراطها"[٢]، ومثاله أيضا قول الشاعر:

كل غراء اذا ما برزت ترهب العين عليها والحسد[٣].

وأورد ابن الجزري هذا الموضوع من الهمز وفيه تجعل الهمزة الثانية- من الهمزتين المتعاقبتين- "بين بين"[٤]. ومعنى بين بين في عرفهم أن تجعل الهمزة بين الهمزة والحركة. وهذا قريب مما قاله سيبويه:" اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة، فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي، لأنك تقر بها من هذه الألف"[٥].

ويبدو أن همزة القطع لا يعود لها وجود وإنما تنطق حركتها، فالمنطوق في حال التسهيل بين بين" وهو(خفقة في الصدر)، وليس همزة القطع، ويمكن أن يحمل على كلام سيبويه أن المقاطع في حال التسهيل "بين بين" تكون على نسق المقاطع قبل التسهيل[٦]، وهذا معنى قوله:" ونكون بزنتها محققة".

ويمكن تمثيل ذلك بالآتي:

جاء أشراطها:

ǧā’āšratuha ← ǧā’aašratuha ← ǧā’a’ašratuha

٣- **تخفيف الهمزتين كلتيهما**، كقول أهل الحجاز: اقرأ آية. يقول سيبويه:"وأما أهل الحجاز فيقولون: اقرأ آية، لأن أهل الحجاز يخففونهما جميعا يجعلون همزة اقرأ ألفا ساكنة، ويخففون همزة آية. ألا ترى أن لو لم تكن إلا همزة واحدة خففوها، فكأنه قال: اقرأ، ثم جاء بآية ونحوها"[٧].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٩.

(٢) سورة محمد، الآية ١٨.

(٣) البيت مجهول القائل، انظر سيبويه، الكتاب ٣/٥٤٩.

(٤) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ١/٣٨٤.

(٥) سيبويه، الكتاب ٣/٥٤١-٥٤٢.

(٦) سمير ستيتية، تحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير ١٧٢.

(٧) سيبويه، الكتاب ٣/٥٥٠.

ويبدو لي أن هذه الوقفة فرار من التقاء الألفين فلو نطقت الهمزتان المخففتـــان متعاقبتين لأصبح هناك توال للألف الساكنة مع الهمزة المخففة الثانية.

وما حدث هو سقوط الهمزة الأولى مع مطل حركة الراء التي تسبقها لتصـــير صائتا طويلا. وسقوط الهمزة الثانية مع مطل حركتها لتصير اقرا آية.

ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة التالية:

اقرأ آية:

'ikra''âyatan ⟵ ikra'âyatan' ⟵ ikrâ'âyatan'

الإبـــــدال

١- تعريف الإبدال.

٢-إبدال الصامت من الصامت في الوصل.

٣- إبدال الصامت من الصامت في الوقف.

٤- إبدال الصائت من الصامت في الوصل.

٥- إبدال الصائت من الصامت في الوقف.

٦- إبدال الصامت من الصائت في الوصل.

٧- إبدال الصامت من الصائت في الوقف.

تعريف الإبدال

عرف الإبدال بأنه " جعل حرف مكان غيره"[١]، وعبّر عنه ابن جني بالإدغام الأصغر وهو" تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك"[٢]. ويرجع مصطلح البدل إلى أبي عمرو، وهو ما عُرف عند النحاة فيما بعد بالإبدال والبدل للشيء وغيره والخلف فيه، والأصل في التبديل تغيير الشيء عن حاله والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر[٣].

وقد استخدمت مصطلحات أخرى للدلالة على البدل ومن هذه المصطلحات التقريب حيث استخدمه المبرد والخليل ويونس فقال فيه المبردّ:" والعوض في جميع هذا جائز، لأنك قد حذفت منه، تقول في منطلق إذا عوضت مطيليق، وفي مقتدر مقيدير"[٤].

ومصطلح القلب يرجع إلى أبي عمرو والخليل، والقلب تحويل الشيء عن وجهه[٥]. ومصطلح التقريب يعني عند علماء العربية القدماء تقريب الصوت من الصوت، كتقريب السين من الحرف المستعلي إذا وقعت قبله بقلبها صاداً كقولهم في سقت: صقت[٦].

وقد سار معظم المحدثين على النهج نفسه الذي اختطه الأقدمون في تحديد الاصطلاحات وعرّفه ضاحي عبد الباقي بأنه النطق بصوت أو أكثر مكان غيره في الكلمة[٧].

وقد استخدم المحدثون مصطلحات أخرى للدلالة على الإبدال منها المماثلة والتأثر والتعاقب، والمعاقبة والتغير، والتعدّل[٨].

---

(١) الاستراباذي، شرح الشافية، ٣/١٩٧.

(٢) ابن جني، الخصائص ٢/١٤١.

(٣) اللسان ب د ل ١/٢٣١.

(٤) المبرد، المقتضب ٢/٢٤٩.

(٥) اللسان ق ل ٥٥/١٤-٣٧١٣.

(٦) ابن جني، الخصائص ٢/١٤٢.

(٧) ضاحي عبد الباقي، لغة تميم دراسة تاريخية وصفية ٦٨.

(٨) عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي ٣١،٤.

ويعتبر الإبدال مماثلة صوتية جزئية حيث إن الصوت يبدل صوتاً آخر ولكنه غير مدغم نتيجة تأثيره بصوت يسبقه أو يلحقه.

وعرّف بروسناهن "Brosnahan" المماثلة بأنها التعديلات التكيفية للصوت حين مجاورته للأصوات الأخرى(١).

ويعرفها أحمد مختار أنها:" تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلا جزئياً أو كلياً"(٢).

وقد سماه سيبويه:" باب حروف البدل في غير أن تدغم حرفاً في حرف وترفع لسانك من موضع واحد"(٣). ويقصد سيبويه أن هذا الإبدال لا يحدث فيه أي نوع من الإدغام حيث تبدل هذه الأصوات بعضها من بعض دون حدوث تضعيف لذلك الحرف، ومن خلال استقراء منهج سيبويه في هذا الباب أجد أن أقسمه إلى المباحث التالية:

---

(١) Brosnahan, Introduction to phonetics P.132 انظر د.عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية ٢٨٣.

(٢) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي ٣٧٨.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٢٣٧.

إبدال الصامت من الصامت في حالة الوصل

١- إبدال الهاء من الهمزة وأبدلت أيضاً من الهمزة في أثرتُ الترابَ، وأرحت الماشية، وأرقت الماء، وأردتُ الشيء، وفيما يتصرف منها، فقالوا: هثرت وهرحت وهردت، وأهثير وأهرج وأهريق، وأهريد..."[١].

وأبدلت من همزة الاستفهام، فيقولون هزيدٌ منطلق؟[٢] يريدون: أزيدٌ منطلق؟ وأنشد الفرّاء[٣]:

وأتى صواحبها فقُلن: هذا الذي منح المودةَ غيرنا، وجفانا؟

يريد أذا الذي.

وقد أورد بعض العلماء هذه الظاهرة على أنها لهجة دون إيراد أصحابها[٤]، وعزا آخرون هذه اللهجة إلى طيء[٥]، وأهل اليمن[٦]، وبني تغلب[٧].

وعلى هذه اللهجة قرأ (أبو سوّار) الغَنَوي:" هيّاك"، و"هيّاك" في قوله تعالى:" إياك نعبد وإياك نستعين"[٨].

ويبدو لي أنها لهجة مطردة عند أهلها حيث ذكر ابن عصفور في الممتع كثيراً من الأمثلة، إلا أن لها تخريجاً صوتياً إذْ إن الهمزة صوت انفجاري يحتاج إلى جهد في نطقه، تحوّل إلى مماثلة في المخرج وهو أقصى الحلق كما ذكره سيبويه وهذا الصوت الجديد هو صوت الهاء الذي يحمل صفة الرخاوة والهمس، وهذه الصفة

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف ٢٦٥.

(٢)الاستراباذي، شرح الشافية ٣/٢٢٣-٢٢٤.

(٣)أنشده اللحياني عن الكسائي لجميل بن معمر، اللسان والتاج (ذا)، وانظر الزمخشري، المفصل ٢/٢٦٢ وابن يعيش، شرح المفصل ١٠/٤٣، ورسائل الملائكة ٩٣، والاستراباذي، شرح الشافية ٣/٢٢٤، والبغدادي، شرح شواهد الشافية ٤٤٧، حيث قال البغدادي:" وقائله مجهول، ويشبه أن يكون من شعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي، فإن في غالب شعره أن النساء يعشقنه.

(٤)ابن السكيت، الإبدال ٨٨-٨٩. وانظر ابن دريد، الجمهرة ٣/٤٧٢.

(٥)انظر الزمخشري،المفصل ٣٦٩، وابن يعيش، شرحه ١٠/٤٣. وشرح الشافية للجاربردي ٣٢٢، وشرح الشافية لنقره كار ٢٢٦، وابن منظور، اللسان (هـ ق) ١٥/٤٨٣.

(٦) وانظر الزبيدي، تاج العروس ٧/٩٥.

(٧)انظر الزبيدي، تاج العروس (هـ رق) ٧/٩٦.

(٨)الفاتحة، آية ٥.

تختلف عن صفة الهمزة الشديدة المجهورة إلا أن مخرجهما واحد، وعلى مبدأ التيسير في النطق فقد أبدلت الهمزة هاء.

٢- إبدال الدال من التاء في صيغة افتعل: إذا كانت بعد الزاي في ازدجر ونحوها[١]. أو حين إسنادها إلى التاء المتحركة من مثل فُزدُ، يريدون فزتُ[٢].

وقد أبدلت من تاء افتعل بأطراد، إذا كانت الفاء زاياً[٣]. فتقول في افتعل من الزّين: ازدان، ومن الزُلفى: ازدلف، ومن الزّجر: ازدجر، ومن الزيارة: ازدار، والأصل"ازتان" و"ازتجر" و"ازتلف" و"ازتجر"، فرفضوا الأصل وأبدلوا من التاء دالاً.

"والسبب في ذلك أن الزاي مجهورة والتاء مهموسة، والتاء شديدة والزاي رخوة، فتباعد ما بين الزاي والتاء، فقربوا أحد الحرفين من الآخر ليقرب النطق بهما، فأبدلوا الدال من التاء لأنها أُخت التاء في المخرج و[الشدة]، وأُخت الزاي في الجهر"[٤].

ويعتبرها المحدثون ضرباً من ضروب التأثير أو المماثلة الجزئية حيث أثرت الزاي في ازدجر في صيغة (از تجر) بالتاء، والتاء تختلف عن الزاي في صفتي الجهر والرخاوة فالزاي مجهورة ورخوة في حين أن التاء مهموسة وشديدة، ولغاية المماثلة الجزئية في حالة الاتصال فقد قلبت التاء دالاً، والدال تماثل الزاي في صفة الجهر مما يحدث نوعاً من المماثلة الجزئية.

والحال كذلك في فُزْت فتقلب التاء دالاً لتصبح فزد، ويعوذ هذا الإبدال إلى عملية التماثل في صفة المخرج ما بين الزاي والدال، وبما أن الصوت الأول أثر في

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ٤/٢٤٠.

(٣) ابن جني، سر الصناعة ١/٢٠٠.

(٤) ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف ٢٣٦.

الثاني فالتأثير مقبل، وحيث إنه لا يوجد فاصل بينهما فالتأثير متصل، ومن الأمثلة على جهر المهموس لاتصاله بالمجهور مباشرة.

وبالنسبة لكل من اذدكر ومذدكر فقد ذهب سيبويه إلى أنه لم يأت شيء منه عن العرب، قال في الكتاب:" وإنما منعهم من أن يقولوا: مذدكر كما قالوا: مزدان أن كل واحد منهما يدغم في صاحبه"[١]. وجهر التاء في افتعل من كل ما فاؤه زاي أو ذال أو دال قانون عام. ولا يتخلف في هذه الصيغة. بيد أنه في غير هذه الصيغة، فالذي يكون في بداية المقطع هو الذي يؤثر على الذي يقفل المقطع كما في فزت والتي تتحول إلى فزدّ.

٣- إبدال الطاء من التاء في وزن افتعل مثل "اضطهد" واصطبر إذا حلت التاء بعد الطاء أو بعد الصاد وبعد الظاء من قبل : اظْطَلم، أو عند اسنادها إلى التاء المتحركة بعد هذه الحروف، وهي لغة لتميم، قالوا: فَحَصْطَ برجلك وحِصْطَ، يريدون حِصْتَ وفَحَصْتَ، والطاء كالصاد أيضاً[٢].

ولم يذكر سيبويه " ما يدخل في الحرف لأنه بمنزلة ما يدخل في الحرف وهو من موضعه"[٣]. ولكنه أشار إلى قُدْت حيث تبدل الدال تاءً ثم تدغم في التاء المتحركة دون الحديث عن كيفية إبدالها ثم إدغامها؛ لأن هذا الأمر يقع في باب الإدغام أو ما يسمى في الاصطلاح الحديث المماثلة الكلية.

"وأبدلت الطاء من التاء لا غير باطّراد البتة، ولا يجوز غير ذلك، من تاء"افتعل" إذا كانت الفاء صاداً أو ضاداً، أو طاءً أو ظاءً. فتقول في "افتعل" من الصّبر: اصطبر، ومن الضرب: اضطرب، ومن الطهر: اطّهر..."[٤].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤٦٩/٤-٤٧٠.

(٢) المصدر نفسه ٢٤٠/٤.

(٣) المصدر نفسه ٢٤٠/٤.

(٤) ابن عصفور، الممتع ٢٣٨.

والتباعد الذي بين التاء وبين هذه الحروف- الصاد والضاد والطاء والظاء- أنّ التاء منفتحة مُنْسفلة، وهذه الحروف مطبقة مستعلية، فأبدلوا من التاء أختها في المخرج وأخت هذه الحروف في الاستعلاء والإطباق، وهي الطاء[1].

وأُبدلتِ بغير اطراد من تاء الضمير بعد الطاء والصاد، فقالوا: فَحصْطُ وخبطُ وحفظطُ وحصطُ، يريدون: فحصتُ، وخبطتُ، وحفظتُ، وحِصتُ. والعلة في الإبدال كالعلة في افتعل من التباعد بين التاء وبين الصاد والطاء، فقرّبوا ليسهل النطق[2].

ويعلل من الوجهة الصوتية الحديثة في المماثلة الجزئية المقبلة المتصلة تتابع الحروف الثلاثة المطبقة وهي الصاد والضاد والظاء، مع صوت التاء هو تتابع ثقيل مكروه في النطق لأنه يجمع بين صوتين متقاربين في مخارجهما، ومتنافرين في صفاتهما، فالمطبق غاية في الاستعلاء والتفخيم. والتاء غاية في الاستفال والترقيق، فالصفات متدافعة وتخلصًا من هذا التتابع المستثقلِ قربت التاء من المطبق عن طريق إطباقها على سبيل المماثلة الجزئية[3].

فصيغة افتعل إذا كانت فاؤها أحد حروف الإطباق فإنها تقلب طاءً باطراد حيث يؤثر الأول في الثاني ويقلبه إلى مماثل له في الصفة وهي الإطباق.

٤- **إبدال الميم من النون** نحو: عنبر، وشنباء، ونحوها، إذا سكنت وبعدها باء، أي تنطق عمبر وشمباء[4].

وأبدلت الميم من النون باطراد وذلك لأن النون أخت الميم وقد أدغمت في الميم فأرادوا إعلالها أيضاً مع الباء كما أعلُّوها مع الميم بالإدغام.

وقد أبدلت من نون البنان، فقالوا: البنام. قال:

---

(١) ابن عصفور، الممتع ٢٣٨.

(٢) نفسه ٢٣٨.

(٣) د. فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربي، رسالة دكتوراة، ص ٢٢٨.

(٤) سيبويه، الكتاب ٤/٢٤٠.

يا هالَ ذاتَ المنطق التّمتام   وكفّكِ المخضّبِ البنام[١]

وقد علل سيبويه عدم جعل النون باءً وذلك لبعدها في المخرج وأنها ليست فيها غنة. ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم وذلك قولك: شمباء وعمبر، يريدون شنباء وعنبر[٢].

أما الرضي فقد علل هذه الظاهرة بقوله:" وذلك أنه يعسر التصريح بالنون الساكنة قبل الباء، لأن النون الساكنة يجب إخفاؤها مع غير حروف الحلق... والنون الخفية ليست إلا في الغنة التي معتمدها الأنف فقط، والباء معتمدها الشفة، ويتعسر اعتمادان متواليان على مخرجي النفس المتباعدين فطلبت حرفاً تقلب النون إليها، متوسطة بين النون والباء، فوجدت هي الميم، لأن فيه الغنّة كالنون، وهو شفوي كالباء[٣].

ونطق النون ميماً قبل الباء لا يوقع لبسا بين المفردات، وذلك لأن من خصائص العربية أن الباء لا تلي الميم مطلقا، وقد أكد ذلك سيبويه بقوله:" والميم لا تقع ساكنة قبل الباء في كلمة"[٤].

أما التفسير الحديث لهذه الظاهرة الصوتية فينطلق من قانون المماثلة الصوتية حيث إن الباء وهي الصوت الثاني أثرت في النون وهو الصوت الأول دون وجود فاصل بينهما إذن فالمماثلة جزئية متصلة مدبرة.

والسبب في حدوث هذه الظاهرة هو أن النون صوت خيشومي والباء شفوية، فهما من حيث المخارج بعيدان، كما أن إغلاق الشفتين لأجل الباء يجعل نطق النون أمراً مستحيلاً؛ لأن النون تقتضي تسرب الهواء من كلا التجويفين: الأنف والفم،

---

(١) ينسب إلى رؤبة. ديوانه ١٨٣، وابن جني، سر صناعة الإعراب ٤٢٢، والأشموني ٣١٩/٤، و الأزهري، شرح التصريح على التوضيح ٣٩٢/٢، والعيني /٤٠١، والاستراباذي، شرح الشافية ٢١٦/٣، والبغدادي، شرح شواهده ٤٥٥-٤٥٩، والزمخشري، المفصل ٢٦/٢، و ابن يعيش، شرح المفصّل ٣٣/١٠.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤٥٣/٤.

(٣) الاستراباذي، شرح الشافية ٢١٦/٣.

(٤) سيبويه، الكتاب ٤٥٦/٤.

وإغلاق الفم سيجعل الهواء يتسرب معها من الأنف فقط، وهذا يجعلها ميماً، لأن النون والميم في الحقيقة صورتان نطقيتان لصوت واحد، إذا نطق مع انفتاح التجويف الفموي كان نوناً، وإذا أغلق التجويف الفموي كان ميماً. لذلك تصبح ميماً عند إغلاق الشفتين مع الباء والميم صوت نموذجي يجمع في صفاته بين النون الخيشومية وبين الباء الشفوية ذلك أن الميم خيشومية شفوية ولهذا نطقت النون في هذا السياق ميماً لموافقتها للنون بخيشوميتها وموافقتها للباء بشفويتها. وظاهرة الإقلاب هذه هي وليدة قانون الاقتصاد في الجهد فلا مجال لتبادل التأثير والتأثر بين النون والباء لبعد ما بينهما[1].

إذن صوت الميم يجمع ما بين النون في أنه أنفي وبين الباء في أنه شفوي.

٥- **إبدال الصاد من السين:** يقول سيبويه:" تقلبها القافُ إذا كانت بعدها في كلمة واحدة وذلك نحو: صُقْتُ، وصبقْتُ وذلك أنها من أقصى اللسان، فلم تنحدر انحدار الكاف إلى الفم، وتصعَّدت إلى ما فوقها من الحنك الأعلى"[2]. وقد أفرد سيبويه باباً سماه :" هذا باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات".

وقد أورد ابن عصفور في الممتع هذا الإبدال تحت باب:" ما لم يذكره سيبويه من حروف الإبدال" على الرغم أنه قد تطرق إلى هذا الإبدال. وعلله بقوله:" والدليل على ذلك أنك لو جافيت بين حنكيك فبالغت ثم قلت: "قَقْ قَقْ"، لم تر ذلك مخلاً بالقاف. ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخلّ ذلك بهن. فهذا يدلك على أن معتمدها على الحنك الأعلى. فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف ليكون العمل من وجهٍ واحدٍ وهي الصاد؛ لأن الصاد تصعّد إلى الحنك الأعلى للإطباق، فشبهوا هذا بإبدالهم الطاء في مصطبر"[3].

---

(١)د. فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية،٢٣٨.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٤٧٩.

(٣)سيبويه، الكتاب ٤/ ٤٨٠.

أما ابن عصفور فأشار إلى هذا الإبدال معللاً إياه بقوله:" وأما الصاد فتبدل من السين إذا كان بعدها قاف أو خاء أو طاء أو غين، فتقول في سقَر وسراط وسخر وأسْبَغَ: صقر وصراط وصخِر وأصبغَ. والسبب في ذلك أن القاف والطاء والخاء والغين حروف استعلاء، والسين حرف مُنْسفل، فكرهوا الخروج من تَّسفُّل إلى تصعّد، فأبدلوا من السين صادا ليتجانس الحرفان[١]".

ومن هذا القبيل "اسطمة" و"اصطمة" فالثانية متطورة عن الأولى بفعل إطباق السين تحت تأثير الطاء بعدها. ومما يؤكد ذلك أن هذه الكلمة معربة عن اللاتينية "stuppa"[٢]، وهنا قال ابن منظور[٣]:" الأصطمة والأصطم لغة في الأسطمة والأسطم في جميع ما نصرف منه ولقد جاءت هذه الكلمة على الأصل، أي بالسين قال العجاج:

يا ليتها خرجت من فُمّه

حتى يعود الملك في اسطمّه[٤]

وقد فخمت السين كذلك في بسطة من قوله تعالى:" وزادكم في الخلق بصطة"[٥]. وقد فخمت كذلك في قوله تعالى:" وزاده في الخلق بسطة في العلم والجسم"[٦]، فقد روي أن نافعاً كان يقرؤها بالصاد.

والتخريج الصوتي الحديث لهذا الإبدال هو عن طريق المماثلة الجزئية المدبرة المتصلة حيث أثر الصوت الثاني"ط" والذي يحمل صفة الإطباق بالسين الذي لا يحمل هذه الصفة مما أبدله لصوت فيه صفة الإطباق، فأبدل صاداً.

إلا أن هذا الإبدال مطرد في بعض اللغات وليس في كل اللغات.

---

(١) ابن عصفور، الممتع ٢٧٣.

(٢)د.صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة العربية ١٢٥.

(٣) ابن منظور، اللسان ٢٣٢/١٥.

(٤) ديوانه ٤/٥ ابن يعيش، شرح المفصل، ٤٧/١٠.

(٥)سورة الأعراف، آية ٦٩.

(٦)سورة البقرة، آية ٢٩٧.

٦- إبدال الزاي من الصاد:

يقول سيبويه:" فأما الذي يضارع به الحرف الذي من مُخْرجِه فالصاد الساكنة، إذا كانت بعدها الدال. وذلك نحو:(مصدر)، و(أصدر)، و(التصدير)، لأنهما قد صارتا في كلمة واحدة، كما صارت مع التاء في كلمة واحدة في (افتعل)، فلم تدغم الصاد في التاء؛ لحالها التي ذكرت لك. ولم تدغم الدال فيها؛ لأنها ليست بمنزلة(اصطبر) وهي من نفس الحرف. فلما كانتا من نفس الحرف أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب(مددتُ)، فجعلوا الأول تابعاً للآخر، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي (الزاي)، لأنها مجهورة غير مطبقة. ولم يبدلوها(زاياً) خالصة كراهة الإجحاف بها للإطباق"[1].

ويبدو أن سيبويه لم يقصد تحويل الصاد زاياً مطلقاً وإنما جعلها بين الصاد والزاي؛ لأنها لو حوّلت زاياً لأصبح هناك تباعد في صفة الإطباق، فالصاد مطبقة في حين أن الزاي مستفلة.

إلا أن بعض العرب أبدلها زاياً خالصة، وفي ذلك يقول سيبويه:" وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زاياً خالصة، كما جعلوا الإطباق ذاهباً في الإدغام وذلك قولك في التصدير: التزدير، وفي الفصد: الفزد، وفي أصدرتُ: أزدرتُ"[2].

ثم بين سيبويه علة عدم تحويل الدال صاداً ثم إدغامها بدلاً من تحويل الصاد زاياً فهو يقول:" لأنها ليست بزيادة كالتاء في افتعل"[3]، وبين سبب إبدال الصاد زاياً حيث قال:" وإنما دعاهم إلى أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجهٍ واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد"[4].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٧٧-٤٧٨.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٤٧٨.

(٣) نفسه ٤/٤٧٨.

(٤) نفسه ٤/٤٧٨.

فإذا تحركت الصاد امتنع الإبدال، وذلك لوجود فاصل بين الصاد والـدال زاد الهوة في تأثير الدال بالصاد. وأوضح ذلك سيبويه بقوله:" فإن تحركت الصـاد لـم تُبدل، لأنه وقع بينهما شيء فامتنع من الإبدال، إذا كان يترك الإبدال وهي ساكنة"[1]، فما دام أن الإبدال يمكن أن لا يكون إذا كانت الصاد ساكنة فمن باب أولى أن يـترك والصاد متحركة.

إلا أن سيبويه عاد وذكر أن بعضهم أبدل على الرغم من تحرك الصاد ووجود فاصل بينهما وبين الدال أو بينهما وبين الطاء لكن هذا الفصل سوّغه سيبويه إذْ قـال فيه:" وربما ضارعوا بها وهي بعيدة نحو مصادر، والصراط؛ لأن الطاء كـالدال، والمضارعة هنا وإن بعدت الدال بمنزلة قولهم: صويق ومصاليق، فـأبدلوا السـين صاداً كما أبدلوها حين لم يكن بينهما شيء في :صُقتُ ونحوه"[2].

إذن قاس سيبويه جواز إبدال الصاد زايا بوجود فاصل الألف في مثل الصراط على جواز إبدال السين صاداً مع وجود فاصل في قولهم: صويق وسـويق، حيـث فصل بين الواو والياء فاصل الواو ومع ذلك جاز الإبدال وقد أورد ابن عصفور هذا الإبدال في باب"ما لم يذكره سيبويه من حروف الإبدال" على الرغم أن هذا الإبـدال مذكور عند سيبويه. وقال فيه:" وأما الزاي فأبدلت من الصاد، إذا كان بعدها قاف أو دال. فقالوا في مَصْدق ومصدوقة: مزْدق ومزدوقة. وإنما تفعل ذلك كلبٌ. قال:

يزيدُ، زاد اللهُ في خَيْراتِهِ   حامي نِزار، عِنْدَ مزْدوقاتِه"[3]

وعلى ذلك عدّ ابن عصفور هذا الإبدال من باب اللهجات وخصّ بالذكر قبيلـة كلب.

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٧٨.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٧٨.

(٣) ابن عصفور،الممتع ٢٧٤، وانظر الشاهد ابن جني في سر الصناعة ١/٢٠٨، والمقرب ٢/١٨١.

وذهب أبو الطيب إلى أنها لغة طيّء[١]. ويُحكى عن الأصمعي أن حاتماً كان أسيراً في قبيلة "عنزة" فجاءته النساء بناقة، وبمفصد، وقلن له: افصد هذه الناقة فأخذ المفصد، فلتم في سبلتها أي نحرها، وقال:" هكذا فزدي أنّه"، أي فصدي أنه.

وقد فسّر أو ليري هذا الإبدال بقوله:" تُقَرَّب الصاد المفخمة إلى الزاي قبل ساكن مجهور أو "sonant" فتحوّل zd,sd في العربية، مميز اللهجة القديمة لكلب، مثل: مزدر لمصدر"[٢].

فما حدث إذن هو تأثير الدال وهو الصوت الثاني بالصاد وهو الصوت الأول دون وجود فاصل بينهما فهو متصل وحيث إنّ الدال مستفلة والصاد مطبقة فقد قُلبت إلى صوت مستفل وهو الزاي يحمل بعض خصائص الصوت المبدل منه وهو الصاد في أنّه لثوي أسناني وبعض خصائص الدال في أنه لثوي أسناني مرقق.

إذن التأثير القائم هو مدبر منفصل جزئي.

٧- إبدال الزاي من السين

يقول سيبويه:" فإن كانت سين في موضع الصاد، وكانت ساكنة، لم يجزْ إلا الإبدال إذا أردت التقريب، وذلك قولك في (التسدير): (التزدير)، وفي (يُسْدل ثوبه): (يزدل ثوبه)؛ لأنها من موضع الزاي، وليست بمطبقة فيبقى لها الإطباق والبيان فيها أحسن؛ لأن المضارعة في الصاد أكثر، وأعرف منها في السين والبيان فيهما أكثر أيضاً"[٣]. ومن خلال هذا النص لسيبويه يتكشف لدينا أن إبقاء السين دون إبدال هو الأكثر شيوعاً إذْ إن السين والدال كلاهما مستفل. والأمر الآخر هو إبدال السين زاياً إذْ إن الدال صوت مجهور والزاي أيضاً صوت مجهور في حين أن السين صوت مهموس؛ ولذلك أُبدلت السين زاياً.

---

(١)أبو الطيب، الإبدال ٢/١٢٦-١٣٧.

(٢).O'leary. Comp Grammar, 75، انظر د. فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ٢٤٥.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٧٨-٤٧٩.

أحدهما أقل استعمالاً من صاحبه"[١] ، وما دام أن للإبدال وجهاً، والكلمتان بمعنى واحد وإحداهما أكثر استعمالاً من الأخرى فقد وجدت الشروط التي تؤدي إلى الحكم بأن الغين قد أبدلت من الخاء، ولا داعي لتعطيل الأصول التي اعتمد عليها في الإبدال من أجل احتمال لا يقوم على دليل[٢].

وقد حاول د.حسام النعيمي تفسير هذا الإبدال بأن الخاء صوت مهموس والصوت المهموس يحتاج إلى جهد أكبر من المجهور؛ فقد أجمع العلماء على:" أن الأحرف المهموسة تحتاج للنطق بها إلى قدر أكبر من هواء الرئتين مما تتطلبه نظائرها المجهورة، فالأحرف المهموسة مجهدة للنفس"[٣].

وأرى أنّ النون في كلمة منخل صوت مجهور في حين أن الخاء صوت مهموس لذا أبدل إلى صوت الغين المجهور.

إذن النون هي التي أثرت في الخاء وأبدلتها غيناً وما دام أن الصوت الأول أثر في الثاني وحوله إلى صوت آخر مقارباً له في صفة المخرج دون وجود حائل بينهما فالمماثلة جزئية مدبرة متصلة. أما تفسير ما أورده ابن جني في سر الصناعة فأرى ما رآه ابن جني في أن هناك احتمالاً أن يكون الحرفان أصلين.

---

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب ٢٤٣/١.

(٢) حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ١٢٠-١٢١.

(٣) د. ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر ٢٣٢ انظر حسام النعيمي، الدراسات اللهجية ١٢١.

إبدال الصامت من الصامت في حالة الوقف

١- إبدال الشين من الكاف:

وقد ذكر سيبويه هذا البدل حيث يقول:" فأما ناس كثيرون من (تميم)، وناس من (أسد)، فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين. وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف؛ لأنها ساكنة في الوقف، فأرادوا أنْ يفصلوا بين المذكر والمؤنث، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل؛ لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة. فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها؛ لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة... وذلك قولك: (إنّشِ ذاهبة)، و(مالَشِ ذاهبة)، تريد: (إنّكِ)، و(مالكِ)" [١].

إذن علل سيبويه سبب الإبدال وهو حتى لا يقع اللبس حين الوقوف على الكاف الخطاب بين المذكر والمؤنث لذلك أبدل في حالة المؤنث شينا للتمييز بين المذكر والمؤنث.

وهذا الإبدال ليس فيه تأثر من صوت أخر كما هو الحال في صفة افتعل مثل: اصطبر، إلا أن الصوت المبدل يشابه الصوت المبدل منه في بعض صفاته فالكاف والشين تشتركان في صفتي الهمس والترقيق وهما أيضا متقاربان في المخرج.

وقد تحدث ابن جني عنهما في أكثر من موضع. فقد ذكر الكشكشة ونسبها إلى ربيعة وذلك في سر الصناعة[٢] والخصائص[٣]. وقد وصف ابن جني هذه الظاهرة الصوتية وذلك بزيادة الشين بعد كاف الخطاب في حال الوقف:" وأما كشكشة ربيعة فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث إنكش ورأيتكش وأعطيتكش، تفعل هذا في

(١) سيبويه، الكتاب ١٩٩/٤-٢٠٠.

(٢) ابن جني، سر الصناعة ٢٣٤/١.

(٣) ابن جني، الخصائص ١١/٢.

الوقف، فإذا وصلت أسقطت الشين"[١]، أما سيبويه فقد أورد الظاهرة ذاتها دون الإشارة إلى ربيعة فقال:" وقوم يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف. كما أبدلوها مكانها للبيان وذلك قولهم: أعطيتُكِشْ، وأُكْرِمُكِشْ، فإذا وصلوا تركوها"[٢].

وأشار سيبويه إلى العلتين اللتين اجتمعتا في الكاف والشين، وهما قرب المخرج والهمس، فقال:" وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق لأنها ليست من حروف الحلق"[٣].

وقد علل المستشرقون الكشكشة بأن الكاف الخالية من التعطيش وهي من أصوات أقصى الحنك حين يليها صوت لين أمامي للكسرة تمال إلى نظائرها من أصوات وسط الحنك أو الثنايا الأمامية، ولذا فقد تطورت هذه الكاف في عدد من الكلمات الهندية الأوروبية إلى صوت تش "ch" الذي هو صوت من وسط الحنك. ووافقهم في ذلك عدد من الكتاب العرب[٤].

ولقد بين جان كانتينو خطوات تطور الكاف الطبقية المجهورة إلى شين خالصة على النحو التالي: ك يْ - ت يْ-ت سْ- شْ. حيث قال:" وأما سبب إبدال "ك"، "شْ" أو "شِ" فواضح فقد أصبحت الكاف أو في حنكية من جراء جوار الكسرة فأصبحت ملينة بياء خفيفة "ك يْ"، ثم صارت "كِ يْ" ثم "ت شْ" ثم آلت في النهاية إلى "شْ""[٥].

وفسر فوزي الشايب هذه الظاهرة على أساس قانون الأصوات الحنكية ذلك القانون الذي توصل إليه العلماء من خلال مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغتين

---

(١)ابن جني، الخصائص، وانظر ابن جني، سر الصناعة ٢٣٥/١.

(٢) سيبويه، الكتاب ١٩٩/٤-٢٠٠.

(٣) المصدر نفسه ١٩٩/٤.

(٤) جان كانتينو، دروس في علم الأصوات ١٠٢.

(٥)جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية ١٠٢.

اليونانية واللاتينية في أواخر القرن التاسع عشر، فقد لاحظوا من خلال مقارناتهم تلك أن الأصوات الطبقية كالكاف "K" أو الكاف "g" تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية حين تليها الكسرة؛ لأن الكسرة تؤثر على الصوت الطبقي فتجذبه إلى الأمام قليلاً، فينقلب الصوت الطبقي إلى نظيره من أصوات وسط الحنك.

وعليه فما يعرف بالكشكشة ما هو إلا ظاهرة صوتية عامة في اللغات عامة، فكما تحولت الكاف "K" بفصل الكسرة إلى الجيم الفصيحة وإلى "تش" "tš" وتس "ts" فقد تحولت الكاف في الكلمة اللاتينية " circa" وتنطق "kirka" إلى صوت مزدوج مهموس هو " تش" "tš" ومن ثم صارت تنطق في الإيطالية "Čirca" في حين بقيت الكاف على حالها في كلمة " carum" وذلك لعدم وجود الكسرة بعد الكاف[١].

وعلى ذلك فلا بد أن تكون هذه الظاهرة في حالة الوصل حتى يطبق قانون الأصوات الحنكية لوجود الكسرة. ومما يدل على أن هذه الظاهرة استخدمت كثيرا في الوصل الشواهد الشعرية والقراءات القرآنية، ومن ذلك قول الشاعر:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها   سوى عن عظم الساق منش دقيق[٢]

وقرأ بعض القراء[٣]:" قد جعل ربش تحتش سريا"[٤]، كما قرأ بعضهم[٥]:" إن الله اصطفاش وطهرش"[٦]، وجاء عنهم:" إذا أعياشِ جارانتش فأقبلي على ذي بيتش"[٧].

---

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ٢٧٤.

(٢) ابن دريد، الجمهرة ٦/١، وانظر أبا الطيب، الإبدال اللغوي ٢٣١/٢.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل ٤٩/٩.

(٤)سورة مريم، الآية ٢٤.

(٥)لهجات العرب ٩٧.

(٦)سورة آل عمران، آية ٤٢.

(٧) ابن جني، سر صناعة الإعراب ٣١٧/١.

٢- إبدال الهاء من التاء المربوطة:

يقول سيبويه بقوله:" وأما الهاء فتكون بدلاً من التاء التي يؤنث بها الاسم في الوقف كقولك: هذه طلحة"[١].

وقد علل ابن جني هذا الإبدال بقوله:" وإنما أُبدلت هاء لانفتاح ما قبلها، وإنها من الحروف المهموسة، والهاء مهموسة وقريبة من الألف، ولم تبدل ألفاً لانفتاح ما قبلها لئلا يلتبس بالألف المقصورة في حبلى وبشرى. والهاء قريبة من الألف، فأبدلت هاء"[٢].

وبعضهم أبدل الهاء من التاء المفتوحة في مثل فرات حيث وقفوا عليها بالهاء "فراه"، وقد علل ابن جني هذا الإبدال بما يشبه القياس الخاطئ أو الحمل على التوهم وذلك:" أنك ترى التاء في الفرات تشبه في اللفظ تاء فتاة وحصاة وقطاة، فلما وقف وقد أشبه الآخر أبدل التاء هاء، ثم جرى على ذلك في الوصل"[٣].

وقد ذهب فريق من المحدثين إلى أن هذا ليس من الإبدال في شيء، وإنما هو وقف بحذف آخر الكلمة يظن معه السامع أن الكلمة تنتهي بالهاء، قال:" وليست هذه الظاهرة في الحقيقة قلب صوت إلى آخر، بل هي حذف الآخر من الكلمة، وما ظنه القدماء هاء متطرفة هو في الواقع امتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل، أو كما يسمى عند القدماء ألف المد، وهي نفس الظاهرة التي ساهمت في الأسماء المؤنثة المفردة التي تنتهي بما يسمى بالتاء المربوطة، فليس يوقف عليها بالهاء كما ظن النحاة، بل يحذف آخرها، وعند التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة) فيخيل للسامع أنها تنتهي بالهاء"[٤].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٢٣٨.

(٢) ابن جني، المنصف ١/١٦١.

(٣) ابن جني، المحتسب في تبيين شواذ القراءات ١/١٣٠.

(٤) إبراهيم أنيس، في اللهجات ١٣٦.

وقد تحدث ابن جني مفصلاً عن هذه الهاء وبيّن لماذا لم تُقرب التاء ويوقف عليها بالألف كما يقال رأيت زيداً، فيقال: أكلت تمرا في الوقف على أكلت تمرة، يقول ابن جني:" ولم تقل أخذت تمرتاً وأخذت جوزتاً، لأنهم أرادوا الفرق بين التاء الأصلية نحو دخلت بيتاً، وسمعت صوتاً، وكفنت ميتاً، والوقف على قوله عزّ اسمه: أو من كان ميتاً وأحييناه، أو من كان ميتاً، والوقف على تاء الملحق نحو: رأيت عفريتاً، وملكوتاً، وجبروتاً، وبين تاء التأنيث نحو تمرة وغرفة..."[1].

وقد ذكر كانتينو نقلاً عن بروكلمان أن الهاء في مثل ناقة يمكن تفسيرها كما يلي:" أن تسقط التاء في مرحلة أولى نحو ناقة -ناق ثم تظهر بعد الحركة النهائية هاء ثانوية شبيهة بهاء السكت"، وعقب على ذلك النقل بقوله:" وهو تفسير تحتمل صحته"[2].

---

(١) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١٣٦/٢.

(٢)جان كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية، ٥٢.

إبدال الصائت من الصامت في الوصل

١- **إبدال الياء من الهمزة:** وتكون في مواضع ذكرها سيبويه في باب الـــهمز وهي:

* إذا كانت الهمزة مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور فإنك تبدل مكانها ياء فـي التخفيف وذلك قولكَ في مئَر: مير (١). وعلل سيبويه ذلك بقوله:" فإنما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي فيه الحركة التي قبلها؛ لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أدنى به منها"(٢).

إذن يعتبر سيبويه الكسرة جزءاً من الياء وأقرب صوت يماثل الكسرة يمكـــن أن يبدل من الهمزة هو صوت الياء.

وعدّ ابن عصفور هذا الإبدال غير لازم بقوله:" وأبدلت من الهمزة المفتوحـــة المكسورة ما قبلها، نحو: مير وأريد أن أقريك، على غير لزوم"(٣)، وأما علة إبـــدال الهمز كما أوردها سيبويه في كتابة فقد أوضحها في كتاب بقوله:" واعلم أن الـــهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها، لأنه بعُد مخرجها ولأنها نبرةٌ في الصـــدر تخـــرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك، لأنه كالتهوّع"(٤).

ويمكن تفسير هذا الإبدال بالمماثلة التقدمية الجزئية المتصلـــة، حيـــث أبدلـــت الهمزة بفعل تأثير الكسرة التي تفوق قوتها قوة الفتحة على الهمزة إلى اليـــاء وهـــي بعض فيه.

ويبدو لي من خلال الكتابة الصوتية أنّ ما حدث هو سقوط الهمزة والتعويـــض عنها بشبه الحركة لتصحيح النظام المقطعي كالتالي:

---

(١) سيبويه، الكتاب ٥٤٣/٣.

(٢) المصدر نفسه، ٥٤٤.

(٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف ٢٥١.

(٤) سيبويه، الكتاب ٥٤٨/٣.

miyarun ◄—— miarun ◄—— mi'arun

* والحال كذلك إذا كانت الكسرة في كلمة والهمزة في بداية الأخرى" ومن ذلك (من غلامِ يبيك)، إذا أردت(من غلامِ أبيك)" [١]. فما حدث هو عملية تأثر الهمزة بالكسرة في كلمة (غلامِ) حيث تحولت الهمزة إلى ياء لضرب من المماثلة بين الكسرة والياء إذْ إن الكسرة هي بعض الياء، وما دام أن المؤثر(الكسرة) هي الأولى فإن التأثر مقبل إذْ أثّر على الهمزة وحولها إلى ياء" وهي الثانية إلا أن التغير كان جزئياً وليس كلياً ولم يكن هناك فاصلٌ بين المؤثر والمتأثر، لذلك يعد التأثر متصلاً. إذن فالتأثر مقبل متصل جزئي.

فاشتركت (يِ) والكسرة في مخرجها حيث إن كلتيهما أماميتان إلا أن إحداهما واسعة والأخرى ضيقة، وعلى ذلك يكون التأثر جزئياً أي في بعض الصفات المخرجية.

* "وإن كان ما قبلها مكسوراً أبدلت مكانها ياء، كما أبدلت مكانها واواً إذا كان ما قبلها مضموماً، وألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً وذلك الذِّئْبُ والمِئرةُ: ذيبٌ وميرةٌ، فإنما تبدل مكانها كل همزة ساكنة الحرفَ الذي منه الحركة التي قبلها لأنه ليس شيءٌ أقربُ منه ولا أولى به منها"[٢]. إذن ما حدث هو عملية تأثر وتأثير، حيث أثرت الكسرة (وهي أقوى الحركات) بالهمزة الساكنة التي تعدّ حرفاً(نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً) فأبدلت ياء وهي أقرب من صوت الكسرة.

٢- **إبدال الياء من الحرف المضعف**، يقول سيبويه:" وقد تبدل من مكان الحرف المُدغم نحو قيراط. ألا تراهم قالوا: قُرَيْرِيط. ودينار، ألا تراهم قالوا دُنَيْنير"[٣] .

---

(١) سيبويه، الكتاب ٥٤٣/٣.

(٢) المصدر نفسه ٥٤٤/٣.

(٣) سيبويه، الكتاب ٢٣٩/٤.

ويقول المبرد:" والدليل على أن هذا إنما ابدال لاستثقال التضعيف قولك: دينار، وقيراط، والأصل: دِنّار، قرّاط، فأبدلت الياء للكسرة، فلما فرقت بين المضاعفين رجع الأصل، فقلت: دنانير، وقراريط وقريريط"(١).

أما ابن جني فقد عرض لتغيير الصفة بقوله:" ومن ذلك قول العرب: قصّيتُ أظافري من لفظ قصص وقد آل بالصفة إلى لفظ قصي، وكذلك قولك: تَقَضّي البازي إذا البازي كسر وهو في الأصل في تركيب(قضض) ثم أحاله ما عرض من استثقال تكريره إلى لفظ (قضي)" (٢).

وهذا ما يسمى من وجهة نظر صوتية حديثة بالمخالفة الصوتية (Dissimilation) وتنعت " بالقوة السالبة في الميدان اللغوي، لأنها تسعى إلى تخفيف حدة الخلافات بين الأصوات. ويؤكدون أنّ أكثرية اللغات تعتمد ظاهرة المخالفة الصوتية في الأصوات (اللام، الميم، النون، الراء) تيسيراً للنطق وتحقيقاً لحالة الانسجام في التيار الكلامي"(٣).

٣- إبدال الواو من الهمزة: وتكون ضمن مواضع:

* إذا كانت الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة تبدل الهمزة واواً وذلك قولك في التُؤَدَة: تُوَدة، وفي الجُؤَن، جون(٤).

والعلة في عدم القدرة على تخفيفها أي جعلها (بين بين)- كما صرح به سيبويه- هي قوله:" وإنما منعك أن تجعل الهمزة ههنا بين بين من قبل أنها مفتوحة، فلم تستطع أن تنحو بها نحو الألف وقبلها كسرة أو ضمة، كما أن الألف لا يكون ما قبلها مكسوراً ولا مضموماً، كذلك لم يجئ ما يقرب منها في هذه الحال"(٥).

---

(١) المبرد، المقتضب ٢٤٦/١.

(٢) ابن جني، الخصائص ٩٠/٣-٩١.

(٣)عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي ٤٣٥.

(٤) سيبويه، الكتاب ٥٤٣/٣.

(٥) سيبويه، الكتاب ٥٤٣/٣.

وما حدث هو بضرب من التأثر والتأثير فقد أثرت الضمة وهي الصوت الأول في الصوت الثاني وهو الهمزة مما أدى إلى تحويلها إلى مقاربتها والتي هي بعضها وهي الواو.

* إبدال الواو من الهمزة المبدلة أيضا من الواو أو الياء في حالتي التثنية والإضافة. ومثال ذلك كساوان وعطاوي، وقد وضح هذا الإبدال ابن عصفور حيث قال:" وباطراد من غير لزوم، في الهمزة المبدلة من أصل، أو من حرف زائد ملحق بالأصل، إذا كانت طرفاً بعد ألف زائدة، نحو: كساء ورداء وعباء وذرحاء، حيث قُلبت همزة التأنيث، نحو علباوين وكساوين ورداوين ودرحاوين، وعلباويّ وكساويّ ورداويّ، ودِرحاوات في جمع درحاءة"(١).

وأعتقد أن ما حدث هو حذف الهمزة ثم عوّض عنها بإمالة الصائت القصير (u) لتصحيح المقطع وذلك على النحو التالي:

جُؤْنة ← جونَة

ğu'anatun ← ğuanatun ← ğūnatun

---

(١) ابن عصفور، الممتع ٢٤٠-٢٤١.

إبدال الصائت من الصامت في الوقف

وساق سيبويه مثلاً على ذلك وهو إبدال تنوين الفتح ألفاً، وفي ذلك يقول سيبويه:" والتنوين في النصب تكون بدلاً منه في الوقف، والنون الخفيفة إذا كان ما قبلها مفتوحاً، نحو رأيتُ زيداً، واضربا"(١).

رأيت زيداً

zaydan ——— zaydā

فالذي يحدث حذف النون الساكنة ويعوض عنها بإطالة الفتحة.

وقد ذكر ابن عصفور العلة وراء هذا الإبدال إذ يقول:" ... في الوقف على المنصوب المنوّن غير المقصور، نحو رأيتُ زيداً، وأكرمتُ عمْراً. وقد بين في الوقف لمّا كان ذلك، وأنهم تصدوا بذلك التفرقة بين النون الزائدة على الاسم بعد كماله. والنون التي هي من كمال الاسم".

إذن علته في ذلك هو التفرقة بين النون والتنوين.

ثم أورد جملة من الآراء في هذا الإبدال منها:

١- **قول المازني:** وفي ذلك يقول ابن عصفور:" فمنهم من ذهب إلى أنها بدل من التنوين، في الرفع والنصب والخفض. وهو مذهب المازني وحجته أن الذي منع أن يبدل من التنوين في الرفع والخفض إنما هو الاستثقال، لأنه إنما ينبغي أن يبدل من التنوين حرفاً من جنس الحركة التي قبله، فلو أبدلت في الرفع لقلت"زيدو". وفي الخفض لقلت "زيدي" والياء والواو ثقيلتان. وأما في النصب فتبدل لأن الذي قبل التنوين فتحة. فإذا أبدلت فإنما تبدل الألف- وهي خفيفة- نحو: رأيت زيدا. فلما كان ما قبل التنوين في المنقوص فتحة في جميع الأحوال ساوى الرفع والخفض والنصب، فوجب الوقف عنده في الأحوال الثلاثة بالألف".

رأي الكسائي:" ومنهم من ذهب إلى أن الألف هي الأصل، والمبدلة من التنوين محذوفة في جميع الأحوال. وهو الكسائي، وحجته أن حذف الألف الزائدة أولى من حذف الأصلية"(٢).

---

(١) سيبويه، الكتاب ٢٣٨/٤.

(٢) ابن عصفور، الممتع ٢٤١-٢٤٢.

إبدال الصامت من الصائت في الوصل

١- **إبدال الهمزة من الياء والواو.** ويكون هذا الإبدال في مواضع ثلاثة:

الأول: إذا كانتا لامين مثل: قضاء وشقاء فأصل الهمزة هي على التوالي قضاي وشقاو. ثم أُبدلت من الياء والواو حيث وقعت متطرفة بعد ألف(١).

وعلل ابن عصفور بقوله:" ومن هذا القبيل عندي إبدالها من الياء والواو، إذا وقعتا طرفاً بعد ألف زائدة، نحو كساء ورداء. وذلك أن الأصل (كساوٌ) و(ورداي) فتحركت الواو والياء وقبلهما فتحة، وليس بينهما وبينها حاجز إلا الألف، وهي حاجز غير حصين لسكونها وزيادتها، والياء والواو في محل التغيير-أعني طرفا- فقُلبتا ألفاً. فاجتمع ساكنان: الألف المبدلة من الياء أو الواو مع الألف الزائدة، فقلبت همزة. ولم تُردّ إلى أصلها من الواو والياء، لئلا يرجع إلى ما فُرّ منه"(٢).

وقد فسّرها المحدثون على مبدأ(المزدوج الحركي)، فقد عللها عبد القادر عبد الجليل بقوله:" إنما لأن الواو صوت انتقالي مسبوق بصائت طويل، وهي جزء من حركة semi-vowel، إضافة إلى أنّ الهمزة لها وظيفة صوتية تميزية، وهي إفادة النبر أو الارتكاز، مما يكسب المقطع بياناً، ووضوحا صوتياً. وهذا ما يلاحظ على طول امتداد حركة الهمز عبر مساحة اللفظة العربية"(٣).

فالذي يحدث هو حذف شبه الحركة الواو أو الياء ويؤتى بالهمزة لاغلاق المقطع، لأن العربية تكره الوقوف على المقاطع المفتوحة، وذلك على النحو التالي:

kisā' ⟵ kisā ⟵ kisāw

ridā' ⟵ ridā ⟵ riddāy

---

(١) سيبويه، الكتاب ٢٣٧/٤.

(٢) ابن عصفور، الممتع ٢١٧.

(٣) عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي ٤٢٧.

الثاني: إذا كانت الواو عينا في: أدؤر، وأنؤر، والنّؤور فأصلها أدور وأنـــور والنوور[1].

وقد علل سيبويه هذا الإبدال لوقوع الضمة في الواو فقال:" فأما أفْعل فنحـــو: (أدْؤر)، و(أسؤق) و(أثؤب). وبعض العرب يهمز لوقوع الضمة في الواو؛ لأنـها إذا انضمت خفيت الضمة فيها، كما تخفى الكسرة في الياء"[2].

أما إذا كانت العين ياء فلا نهمز، لأن الضمة على الياء أحق منها على الـــواو وفي ذلك يقول سيبويه:" ولا تهمز أفْعُلَ من بنات الياء، لأن الضمة فيها أخف عليهم، كما أن الياء وبعدها الواو أخفّ عليهم من الواو ... وذلك نحو: أعْيُن وأنْيُب"[3].

وقد عُزيت هذه الظاهرة إلى تميم[4]، وهذيل[5]، وأسد[6]، وعكل[7]، وغنى[8].

وعلى هذه اللهجة قرأ (أُبي بن كعب)[9]: (أُجوهُهم) من قوله تعـــالى:" ويـوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وُجوههم مُسْودّة"[10].

ومما يدعم أن همز غير المهموز هو لغة من لغات العرب ما روي عن عمـر ابن الخطاب أنه قال:" نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحـــاب نـــبر ولـــولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي صلى الله عليه وسلم ما همزنا"[11].

وقد علل عبد القادر عبد الجليل الهمز بما يلي:" ولعلّ مرد الأمر إلى التجانس الصوتي، والنبر القصدي Aimedstress الذي لا يتحقق إلا بالهمز، بالإضافـــة إلـــى

---

(1) سيبويه، الكتاب ٤/٢٣٧.

(2) سيبويه، الكتاب ٤/٣٥١.

(3) المصدر نفسه.

(4) السيوطي، (المزهر) ٢/٢٧٧.

(5) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٥/٣٣٢.

(6) انظر أبا حيان، البحر المحيط ٣/٣٩٧.

(7) انظر ابن جني، الخصائص ٣/٢٠٧.

(8) ابن سيده، المخصص ١٢/٢٠٩.

(9) انظر أبا حيان، البحر المحيط ٧/٤٣٧.

(10) سورة الزمر، الآية ٣٩/٦٠.

(11) د.عبد الفتاح الدجني، في الصرف العربي ٣٤.

جوانب الوظيفة الصوتية"[١]، وما حدث من وجهة صوتية حديثة هو ما يسمى بالمزدوج الحركي semi-vowel حيث إن الواو صوت انتقالي (صائت طويل) مع حركة قصيرة (صائت قصيرة) فتشكل المزدوج الحركي الذي يعتبر مرفوضاً في بنية الكلمة العربية إلا في مواضع لا داعي لذكرها في هذا الحديث.

ونرى أنّ ما حدث هو حذف شبه الحركة من المزدوج الحركي وعوّض عنها بالهمزة لتصحيح المقطع على النحو التالي:

`ad`ur ◄——— `adur ◄——— ’adwur

’at̲’ub ◄——— ’at̲ub ◄——— ’at̲wub

الثالث: إذا كانت الواو فاءً للكلمة مثل: أجوه، وإسادة، وأعد[٢]، ويعلل سيبويه هذا الإبدال بمثل ما علله في المواضع الأخرى حيث يقول:" وأما الفُعول من نحو قلتُ مصدراً، ومن نحو سوْط جمعاً، فليس قبل الواو فيه كسرة فتقلبها، كما تقبلها ساكنة، فهم يدعُونها على الأصل، كما يدعُون أدْوُراً. ويهمزون كما يهمزونه. والوجهان مطّردان، وكذلك فَعُول، ولم يُسكنوا فيحذفوا ويصيرا بمنزلة ما لا زيادة فيه نحو فُعْلٍ، وذلك نحو غارت غُوُوراً. وسارت سُوُوراً... وكذلك قالوا: القَوُول، والموُونةِ، والنُّوُوم، والنُّوُور، وقد همزوا كما همزوا أدْؤُر، لاجتماع الواو والضم، ولأن الضم فيها أخفى"[٣].

والحال كذلك في تفسير هذه الظاهرة الصوتية عند ابن عصفور فقال في ممتعه:" فإذا كانت وحدها فلا يخلو من أن تكون مضمومة أو مكسورة أو مفتوحة. فإن كانت مكسورة أو مضمومة جاز أن تُبْدل منها همزة فتقول في (وُعد): أُعِد وفي (وقِّتتْ: أُقِّتتْ) وفي (وسادة): إسادة، وفي (وعاء): إعاء، وقد قُرئ: "ثم استخرجها

---

(١) عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي ٤٢٣.

(٢) سيبويه، الكتاب٤/٢٣٧.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٣٦٢.

من إعاء أخيه"(١). وكذلك تفصل بكل واو تقع أولا مكسورة أو مضمومة"(٢). وإنما فعلت ذلك لثقل الضمة والكسرة في الواو. وذلك أن الضمة بمنزلة الواو، والكسرة بمنزلة الياء فإذا كانت الواو مضمومة فكأنه قد أجتمع لك واوان. وإذا كانت مكسورة وكأنه قد اجتمع لك ياء وواو. فكما أن اجتماع الواوين، والياء والواو. مستثقل فكذلك اجتماع الواو والضمة، والواو والكسرة.

وقد فسّر سيبويه ومن بعده ابن عصفور هذه الظاهرة لعله تطلّب الخفّة حيث إن لفظ الواو مع الضمة أو الكسرة فيه نوع من الثقل غير المستحب.

أمّا المنظور الحديث لهذه الظاهرة الصوتية فيمكن تفسيره على أساس المزدوج الحركي المتكون من صائت طويل وصائت قصير وهروباً من هذا المزدوج حصل النبر، على الرغم من صعوبة النبر والهروب منه لما فيه من الضغط والعصر والحبسة إلا أن الهمز يخرجنا من ظاهرة صوتية أصعب من الهمز ذاته.

وما حدث هو حذف شبه الحركة من المزدوج الحركي، ثم جيء بالهمزة لتصحيح المقطع، لأن النظام المقطعي في العربية لا يبدأ بحركة، ويمكن تمثيل ذلك على النحو التالي:

’i<ā’ ← i<ā’ ← wi<ā’

’uḳtat ← uḳitat ← wuḳitat

---

(١) سورة يوسف، الآية ٧٦. وهذه قراءة سعيد بن جبير. انظر: أبا حيان، البحر المحيط ٥/٣٣٢.

(٢) ابن عصفور، الممتع ٢٢١-٢٢٢.

٢– إبدال الهمزة من الألف في نحو: حمْرى[١]

" فمن ذلك ما حكاه بعضهم من قولهم: قوقأتِ الدجاجــةُ، وحــلأتُ السَّــويق، ورَثأتِ المرأةُ زوجها، ولَبَّأ الرجل بالحج. ومنه قول ابن كثرة[٢]":

وَلّى نَعامُ بني صفوانَ، زَوْزَأةً   لمّا رأى أسداً، في الغاب، قد وثَبا

ومنه ما أنشده الفرّاء، من قول الآخر[٣]:

يا دار ميٍّ، بِدكا دِيكِ البُرقْ   صبراً، فقد هيّجتِ شَوقَ المُشْتَئِقْ

وحكي أيضاً من كلامهم: رَجُلٌ مئِل، من المال. والأصل في ذلك: قوقي وجليَّ ورثّي ولبّي والزّوْزاة والمشتاق ورَجلٌ مالٌ"[٤]، ويمكن تفسير هذه الظاهرة بأن هــذه الألف تكون في البنية متحركة إما بضمة أو بفتحة أو بكســرة، وهنــاك ثقــل فــي نطقهما، بمعنى آخر هناك مزدوج حركي مقدر مكون من ألف (الصائت الطويــل) والضمة أو الكسرة أو الفتحة (الصائت القصير)، وخروجاً مــن هــذا المــزدوج الحركي فقد هُمزت الألف.

ونرى أن الذي حدث هو حذف شبه الحركة من المزدوج الحركي ثم أقحمــت الهمزة لتصحيح المقطع على النحو التالي:

ḳawḳa'at ◄—— ḳawḳaat ◄—— ḳawḳayat

فحذفت شبه الحركة الياء ثم أقحمت الهمزة لتصحيح المقطع.

ومما أبدلت الألف همزة ما قرأ به أيوب السختياني(الضألين) بالهمز وحيــن سئل عن هذه الهمزة قال:" هي بدل من المدة لالتقاء الساكنين"[٥]. وقرأ عمرو بــن

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٢٤٠.

(٢) ابن جني، الخصائص ٣/١٤٥. و ابن جني، سر الصناعة ١/١٠٢، و الجاحظ، الحيوان ٦/١١٦، ومحمود شكري الألوسي، الضرائر ٢٢١، والمقرب ٢/١٦٠، وابن جني، المحتسب ١/٣١٠.

(٣)البيت لرؤبة. انظر ابن جني، سر الصناعة ١/١٠٢، والاسترابادي، شرح الشافية ٢/٢٥٠، و البغدادي، شرح شواهدها١٧٥-١٧٦.

(٤) ابن عصفور، الممتع ٢١٦-٢١٧.

(٥) ابن جني، المحتسب ١/٤٦.

عبيد نقلاً عن الحسن البصري" جأنّ"[١]. وأما ما رواه أبو يزيد فقد نقل البغدادي عن كتاب الهمز لأبي زيد قوله:" وسمعت رجلا من بني كلاب يكنى بالأصنع يقول هـذه دأبه وهذه شأبه... وذلك أنه ثقل عليه اسكان حرفين معاً ؟؟"[٢].

وقد فسّر ابن جني هذا الإبدال صوتيا لـ(الضألّين) بقوله:" فـالتقى سـاكنان الألف واللام الأولى المدغمة فزيد في مدة الألف واعتمدت وطأة المد فكان ذلك نحوا من تحريك الألف"[٣].

واعتماد وطأة المدّ فيه معنى ضغط الحرف ونبره، ثم يقول في كتـاب أخـر آخر:"نعم وربما لم يكتف من تقوى لغته ويتعالى تمكينه وجهارته بما تجشمه من مـد الألف في هذا الموضع دون أن يطغى به طبعه ويتخطى به اعتماده ووطؤه إلـى أن يبدل من هذه الألف همزة فيحملها الحركة التي كان كلفاً بها ومصانعاً بطول المـدة عنها فيقول شأبّه ودأبّه"[٤].

والتفسير الحديث لهذه الظاهرة هي محاولة العـرب التخلـص مـن المقطـع المرفوض. أما لماذا كانت الهمزة هي الوسيلة لهذا التخلص فيبدو أن العرب أبدلـوا الألف من أحد الحروف الثلاثة الواو والياء والهمزة، فإذا أبدلنا الألف يـاء أو واواً بقيت المشكلة قائمة بما يعرف بالمقطع المديد، لذلك بقيت الـهمزة ومـن خلالـها نتخلص من هذا المقطع"[٥].

وهذا المقطع (ص ح ح ص) صامت+ حركة طويلة+ صامت. مقطع مرفوض أصلاً إلا أنه يجوز في مواقع منها أن يتبعه حرف مضعّف. وفـي مثـل الضـألين

---

(١) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ١/٦٠٢.

(٢)الاستراباذي، شرح الشافية ابن الحاجب٤/١٦٨.

(٣) ابن جني، المحتسب ١/٤٦.

(٤) ابن جني، الخصائص ٣/١٢٦.

(٥) حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ١٠٢-١٠٣.

وشأبه فقد تخلص أيضاً من هذا المقطع بتحويل الحركة الطويلة إلى قصيرة فأصبح المقطع ص ح ص وهذا مقطع مقبول.

والذي حدث يمكن تمثيله صوتيا على النحو التالي:

ḍa'llīn ◄—— ḍāllīn

حيث تشكل المقطع الصوتي المديد ص ح ح ص- فأقحمت الهمزة وقصّرت الحركة الطويلة، وأصبح الوضع المقطعي مقبولاً.

ومن هنا نرى أن الهمزة لا تبدل من الواو والياء والألف لعدم وجود علاقة صوتية بين حروف اللين والهمزة، ولكن الذي يحدث هو حذف شبه الحركة (صوت اللين) وتقحم الهمزة لتصحيح النظام المقطعي.

إبدال الصامت من الصائت في الوقف

١- **إبدال الجيم من الياء المشددة في الوقف** نحو: علّج وعوفجّ، يريدون: عليٌّ وعوفيٌّ.

وأورد هذا الإبدال ابن عصفور حيث قال:" وأما الجيم فأبدلت من الياء لا غير مشددة ومُخففة. فيبدلون من الياء المشددة جيما مشددة، ومن الياء المخففة جيما مخففة، فمن البدل من الياء المشددة ما أنشده الأصمعي عن خلف، قال: أنشدني رجلٌ من أهل البادية:

خالي عُويفٌ، وأبو علِجّ   المُطْعمان اللّحْم، بالعشِجّ

وبالغداة، فِلَقَ البرنَجّ[1]

يريد: وأبو عليّ، وبالعشيّ وفلق البرنيّ ومنه ما حكاه أبو عمرو بن العلاء من أنه لقي أعرابياً [حنظليّاً]، فقال له: ممن أنت؟ فقال: فقيمجّ. فقال له: من أيّهم؟ فقال: مُرّجّ. يريد: فُقيميّ، ومُرّي.

وهو مطّرد في الياء المشددة. قال يعقوب:" وبعض العرب إذا شدد الياء صيّرها جيماً. وأنشد ابن الأعرابي:

كأن في أذنابهن الشُّوّلِ   من عبسِ الصّيف، قُرونَ الأجّل[2]

يريد: الأيّل.

ومن إبدال الجيم من الياء المخففة ما أنشده أبو عمرو بن العلاء لهيمان بن قحافة من قوله:

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف ٢٣٤، وابن جني، سر الصناعة ١٩٢/١، وابن يعيش، شرح الملوكي ٢٤٨، وابن جني، التصريف الملوكي ٥٠، وابن جني، المنصف ١٧٨/٢، والاستراباذي، شرح الشافية ٢٨٧/٢، والأزهري، شرح شواهدها ٢١٢-٢١٥، وسيبويه، الكتاب ١٨٢/٤، والزمخشري، المفصل ٢٦٥/٢، وابن يعيش، شرحه ٧٤/٩، والعيني ٥٨٥/٤، ونشوان الحميري، شمس العلوم ١٥/١، وأبو الطيب، الإبدال ٢٥٧/١.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف ٢٣٥، وسر الصناعة ١٩٣/١، والأمالي ٧٨/٢، وشمس العلوم ١٥/١، وأبو الطيب، الإبدال ٢٥٩/١، وشرح الشافية ٢٢٩/٣، وشرح شواهدها ٤٨٥، والزمخشري، المفصل ٢٦٥/٢.

يُطيرُ عنها الوبرَ، الصُّهابجا[1]

يريد: الصهابي[2].

وقد علل سيبويه هذا الإبدال في الوقف بالبيان؛ لأن الجيم أبين حرف من موضع الياء وفي ذلك يقول:" وأما ناس من بني سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفية، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف، وذلك قولهم: هذا تميمجّ يريدون: تميميّ، وهذا علجّ يريدون: عليّ"[3].

ويرى ابن يعيش أن سبب هذا الإبدال لأن الجيم والياء أختان في الجهر وفي المخرج، إلا أن الجيم شديدة ولولا شدتها لكانت ياء، وأصل هذا الإبدال لكراهية الوقف على الياء لخفائها بالحركة[4].

٢- **إبدال الهمزة من الألف**: وقد أورد سيبويه هذا الإبدال في باب الوقف في الواو والياء والألف حيث يقول:" وزعم الخليل أن بعضهم يقول: رأيتُ رَجُلأْ فيهمز، وهذه حُبْلأْ"[5].

ثم فسّر هذا الإبدال بقوله:" فهمز لقرب الألف من الهمزة حيث علِم أنه سيصير إلى موضع الهمزة، فأرادوا أن يجعلها همزة واحدة، وكان أخفَّ عليهم"[6].

ولم يقصر سيبويه إبدال الهمزة من الألف في هذين الموضعين، بل في مواضع الوقف كافة، وفي هذا يقول:" وسمعناهم يقولون: هو يضربُهأ؛ فهمز كل ألف في الوقف كما يستحقون في الإدغام فإذا وصلت لم يكن هذا؛ لأن أخذك في ابتداء صوت آخر يمنع الصوت أن يبلغ تلك الغاية في السمع"[7].

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف ٢٣٥، والأمالي ٧٧/٢، وأبو الطيب، الإبدال ٢٦٠/١، والعكبري، سمط اللآلي ٧/٢، وابن جني، سر الصناعة ١٩٣/١، والأزهري، شرح شواهد الشافية ٢١٦.

(٢) ابن عصفور، الممتع ٢٣٤-٢٣٥.

(٣) سيبويه، الكتاب ١٨٢/٤.

(٤) ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف ٣٣٠.

(٥) سيبويه، الكتاب ١٧٦/٤.

(٦) المصدر نفسه ١٧٧/٤.

(٧) المصدر نفسه ١٧٧/٤.

لذلك فاتفاق الصوتين مخرجا مع صعوبة الوقوف على الألف حيث نقترب من نطق الهمزة أثناء الوقوف عليها. هما السببان اللذان يقفان وراء هذا الإبدال عند سيبويه.

ويُلاحظ أن الألف في(حبلى) ألف التأنيث وفي (رَجُلاً) ألف الوقف على المنصوب المنون، وفي(يضربها) ألف الضمير، وقد عوملت جميعا بصورة واحدة مما يدل على أن الدافع إلى ذلك كان صوتيا محضاً.

أما التفسير الحديث لهذه الظاهرة الصوتية فهو الوقوف على مقطع مقفل، وهذا ما أورده بعضهم بقوله:" وهذا الوقف على الألف معناه أن اللغة الفصحى أساغت الوقف على المقطع المفتوح بنبر الطول وهو ما فرت منه في حالتي الرفع والجر إلا أن بعض العرب كما ذكر ابن جني نقلاً عن سيبويه قد وقف على الألف بصرف النظر عن أصلها بأن أبدلها همزة أي أنه تحول من نبر الطول إلى نبر الشدة ليتحصل له الوقف على مقطع مقفل"(١).

ونرى أن ما حصل صوتيا هو على النحو التالي:

جبلى ← حبلأ

ḥablā ← ḥublā'

رجلا ← رجلأ

rağulā ← rağulā'

فجيء بالهمزة لإغلاق المقطع المفتوح لأن العربية تكره الوقوف على المقاطع المفتوحة.

والسؤال المطروح: هل يكون الوقف فقط بمقطع مغلق؟، يبدو لي أن الجواب سيكون لا، لأن العرب وقفت على مقاطع مفتوحة إذن فالوقف يكون بمقطع مغلق على لغة بعض العرب كما ورد في همز الألف في الوقف، أو بمقطع مفتوح حيث

---

(١) حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني١٠٣.

أورد ذلك سيبويه بقوله:" وزعم أبو الخطّاب أن أزد السّراة يقولون هذا: زيدو، وهذا عمرو، ومررت بزيدي، وبعمري؛ جعلوه قياساً واحداً، فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف"(١).

(١) سيبويه، الكتاب ٢/١٦٧.

الإبدال الشاذ (غير المطرد)

وهذا الإبدال غير مطرد ولم يقع إلا في كلمات محدودة، وسأوردها بعد أن قمت بفرز الإبدال الشاذ في طيات الإبدال وأفردتُ له هذا المبحث تحت هذا العنوان:

١- **إبدال التاء من الدال والسين** وهذا قليل من مثل(ستّ) إذْ إن أصلها(سدس) فأبدلت التاء من الدال فأصبحت ستس ثم أبدلت من السين وأدغمت في التاء الأولى المبدلة فأصبحت ستّ[١].

وقد علل سيبويه ذلك في باب " ما كان شاذا مما خفّفوا على ألسنتهم وليس بمطرد" بقوله:" وإنما دعاهم إلى ذلك حيث كانت مما كثر استعماله في كلامهم، أن السين مضاعفة، وليس بينهما حاجز قوي، والحاجز أيضا مُخْرَجُه أقرب المخارج إلى مُخْرَج السين فكرهوا إدغام الدال فيزداد الحرف سينا، فتلتقي السينات، ولم تكن السين لتدغم في الدال لما ذكرت لك، فأبدلوا مكان السين أشبه الحروف بها من موضع الدال، لئلا يصيروا إلى أثقل مما فرّوا منه إذا أدغموا، وذلك الحرف التاء، كأنه قال سدْتّ، ثم أدغم الدال في التاء، ولم يبدلوا الصاد لأنه ليس بينهما إلا الإطباق"[٢].

ولم يذكر سيبويه هذا التفسير الصوتي إلا في باب الإدغام حيث يدخل هذا في بابي الإبدال والإدغام، وإنما أشار إليه إشارة ليوضح إبدال التاء من الدال والسين. حيث ذكر في الباب"... في غير أن تدغم" لذلك لم يقم بتفسير الإدغام إلا في بابه وهذا يدل على دقة سيبويه في منهجه.

وزاد ابن جني هذا الإبدال إفصاحاً إذْ يقول:" لأنها من التسديس كما أن خمسة من التخميس ولذلك قالوا في تحقيرها سديسة"[٣]. وعلل قلب السين الثانية تاء

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٨١-٤٨٢.

(٣) ابن جني، سر الصناعة ١/١٥٥.

بقوله:"فصار التقدير بدت فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا في المخرج أبدلوا الدال الثانية تاءً لتوافقهما في الهمس ثم أدغمت التاء في التاء فصارت ست كما ترى"[1].

وقد درس حسام النعيمي هذه القضية من منظور مقارن فتبين أن: أصل كلمة ستّ في الآشورية البابلية ششو والعبرية شش والآرامية شْتا وجنوب الجزيرة والحبشة سْسُو.

إذْ يلاحظ أن السين والتاء في ست العربية قوبلتا بسينين في لغة جنوب الجزيرة و الحبشة وبشينين في الآشورية البابلية وهي تقابل سينين في العبرية غالبا، وجاءت في الآرامية بالشين والتاء. [2]

وقد استنبط حسام النعيمي احتمالات أربعة وهي:

أ- أن يكون أصل اللفظ سينين أو شينين مع وجود صائت بينهما، وأبدلت الآرامية الشين الثانية تاء بسبب سكون الأولى حيث تقدم الصوت للأمام، أما العربية فلم تكتف بهذا الإبدال وإنما ضعفت التاء ليكون اللفظ ثلاثياً.

ب- أن يكون أصلها سينين أو شينين إلا أن العربية حين أرادت التثليث لم تكتف بالصائت بينهما كذلك أوصلت حرفا صامتا وتجنبت التثليث بتضعيف الحرف الآخر لأنه يؤدي إلى ثلاثة سينات، وكان الصامت من أقرب المخارج إلى السين وهو مخرج التاء والدال والطاء، أما الطاء فلم يتجهوا إليها لإطباقها واستفال السين، والدال لما فيها من الجهر وهمس السين، أما التاء فتوافق السين مخرجاً وهمساً، وسكنت لأن الأعداد في العربية تكون ساكنة الوسط فعمدوا إلى الإدغام فقلبوا السين تاء وإدغام التاء فيها مع ما في ذلك من ذهاب الصفير ولم يقلبوا التاء سيناً حتى لا يؤدي ذلك إلى توالي ثلاثة سينات.

---

(١)ابن جني، سر الصناعة ١/١٧٢.

(٢)حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٣٥٤.

غير زائدة في الآرامية بالصوت المهموس، وغلبت الزائدة عليه في الحبشية وتراجع الصوت في العبرية والآشورية ليصبح شيئا، أمّا في العربية فقد أسهمت الزائدة السينية بإظهار التاء بصورة مشددة في ستّ، ولعل بعض العرب كان يأتي بها مهموسة تْ سْ وبعضهم يأتي بها مجهورة دْسْ، وحين صُرِّفت اللفظة شاع في التصريف الصوت المجهور مع إظهار الزائدة السينية بشكل مستقل لتثلث اللفظ(١).

٢- **إبدال الهمزة من الهاء**: يقول سيبويه:" كما أنّ بدل الهمزة من الهاء بعد الألف في ماء ونحوه قليل"(٢).

وعلل ابن عصفور أنّ أصل الهمزة هاء بقوله:" أُبدلت الهمزة من الهاء في ماء. وأصلها "موهٌ" فقلبت الواو ألفاً والهاء همزة. والدليل على ذلك قولهم في الجمع: أمواه. وقد أُبدلت الهاء أيضاً همزة في جمع ماء، فقالوا: أمواء. قال: (٣)

وبلدةٍ، قالصةٍ أمواؤُها   تَسْتَنُّ، في رأْدِ الضحى، أفياؤها

وإنما جُعلت الهاء هي الأصل، لأن أكثر تصريف الكلمة عليها. فقالوا: أمواه، ومياه، وماهتِ الرَّكيَّة. إلى غير ذلك من تصاريفها"(٤).

والهمزة والهاء من المخرج ذاته إلا أنهما تختلفان في صفتي الجهر والهمس، وأجد أن الألف قد أثرت في الهاء فأبدلتها همزة، فالهاء حرف رخو لا يعترض الصوت فيه معترض والألف اتسع له مجرى الهواء فأصبح هاوياً، فأصبح من الجهد بمكان أن يلفظ صوتان اتسع لهما مجرى الهواء فيصبح كأنك تنطق صوتا ممدودا

(١)حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٣٥٥-٣٥٦.

(٢)سيبويه، الكتاب ٤/٢٤٠.

(٣) ابن جني، المنصف ٢/١٥١، ورصف المباني ٨٤، وابن سيده، المخصص ١٥/١٠٦، وابن منظور، اللسان والتاج(موه)، والاستراباذي، شرح الشافية ٣/٢٠٨، والأزهري، شرح شواهدها ٤٥٧-٤٤٠.

(٤)ابن عصفور، الممتع في التصريف ٢٣٠.

لحركات كثيرة مما يؤدي بالتالي إلى انقطاع النفس فتحولت الهاء إلى حرف منبور شديد فتوالى حرفٌ هاوٍ مع آخر شديد فأضحى النطق أكثر يسراً وسهولة.

فالألف وهو الحرف الأول الذي يحمل صفة الجهر وصفة الهاوي ومخرجه الحلق أثّر في الثاني وهو الهاء والذي يحمل صفتي الهمس والرخاوة ويشترك مع الألف في المخرج فحوّله إلى الهمزة التي تشترك مع الهاء بمخرجها ومع الألف بمخرجه وما دام أن الصوت الأول أثر في الثاني دون وجود حائل فالمماثلة تقدمية جزئية متصلة.

٣- إبدال اللام من النون: وأورده سيبويه بقوله:" وقد أبدلوا اللام من النون وذلك قليل جداً، قالوا: أُصيلال، وإنما هو أصيلان"(١).

وقد أورد اللغويون أمثلة كثيرة على هذا الإبدال(٢). وقد روي عن أمِّ الهيثم من أنها كانت تقول:(حلكُ الغراب)، ولا تقول(حنكُ الغراب) (٣).

وبهذا الإبدال رُوي بيت النابغة الذبياني(٤):

وَقَفْتُ فيها أُصيْلالاً أُسائلُها   أعْيتْ جواباً، وما بالرّبعِ من أحد

واللام والنون حرفان يشبهان بعضهما كثيرا فالنون" من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا"(٥)، واللام" من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان"(٦). ويشتركان أيضاً في كثير من الصفات فكلاهما بين الشديد والرخو ويشتركان في صفة الجهر ويختلفان في صفة الغنّة فقط، إذن فهما متماثلان كثيرا ولا غرابة في أن يستبدل أحدهما بالآخر.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٢٤٠/٤.

(٢)انظر ابن دريد، الإبدال ٦١-٦٣.

(٣)انظر ابن دريد، الجمهرة ١٨٥/٢.

(٤) الزمخشري، المفصل ٣٧٠، وابن يعيش، شرح المفصل ١٤٣/٩، وابن منظور، اللسان ١٧/١١، والزبيدي، تاج العروس ٢٠٨/٧.

(٥) سيبويه، الكتاب ٤٣٣/٤.

(٦) ابن جني، سر الصناعة ٥٢/١.

وتفسر هذه الظاهرة من المنظور الحديث على قانون المماثلة الصوتية الكلية المقبلة المنفصلة حيث إن اللام في(أصيلان) أثرت في النون وبينهما فاصل صائت طويل وهو الألف وهو غير حصين فأبدلت النون لاماً وهي مطابقة تماما للام الأولى إذن أثر الأول في الثاني بوجود فاصل وقلبه إلى مماثلة تماماً دون حدوث إدغام لوجود حائل بينهما.

٤- إبدال الهاء من الياء في اسم الإشارة:

وفي ذلك يقول سيبويه:" وأُبدلت من الياء في (هذه)، وذلك في كلامهم قليل"(١).

وقد أورد ابن عصفور الدليل على أن الأصل في هذا الإبدال هو الياء لقوله:" وأبدلت من الياء في (هذي)، فقالوا: هذهْ في الوقف، وقد تبدل أيضاً منها في الوصل. والدليل على أن الياء هي الأصل قولهم في تحقير ذا:(ذيَّا)، [وفي تحقير تي: تيَّا] وذي، إنما هو تأنيث (ذا)، فكما لا تجد الهاء في المذكر أصلا فكذلك المؤنث"(٢).

إذن مما يدلنا على أن الأصل هو الياء وهو التصغير والذي يرد الحروف إلى أصولها.

ويمكن لنا أن نعلل هذا الإبدال بالتخلص من المقطع المفتوح في حالة الوصل حيث ينتهي المقطع بالياء وهو مقطع مفتوح فللانتقال إلى مقطع مغلق أبدلت الياء هاء. وتبدل أيضاً في الوصل على قلة، ويمكن توضيح ذلك صوتياً على النحو التالي:

هذي ←—— هذِه

hādī ←—— hādih

قصّرت الحركة الطويلة، ثم جيء بالهاء لإغلاق المقطع المفتوح.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٢٣٨/٤.

(٢) ابن عصفور، المتع٢٥٨

٥- إبدال التاء من الواو في مثل: أسنتوا. وأصل التاء واو بدليل أصل الكلمة سنوة، وتحذف هذه الواو إذا أسندت إلى واو الجماعة لتصبح أسنوا إلا أنها أبدلت تاء فأصبحت أسنتوا؛ لئلا يُلبس بحلول السنة عليهم، ويجوز أن تكون منقلبة عن ياء وهو الوجه الآخر لأنها وقعت رابعة، والواو إذا وقعت رابعة في الفعل قلبت ياء[١].

٦- إبدال الميم من الواو: يقول سيبويه:" وقد أبدلت من الواو في فم وذلك قليل"[٢]، وقد علل ابن عصفور هذا الإبدال حيث يقول:" فأبدلت من الواو في قولهم: فَمٌ. والأصل(فوهٌ) فحذفت الهاء تخفيفا. فلما صار الاسم على حرفين، الثاني منهما حرف لين، كرهوا حذفه للتنوين فيجحفوا به، فأبدلوا من الواو ميماً لقرب الميم من الواو. وقد تشدد الميم في ضرورة الشعر نحو قوله: [٣]

يا ليتها قد خرجتْ، من فمّهِ حتى يعود البحر في أسْطُمّهِ [٤]

وعد سيبويه الواو والميم من المخرج عينه حيث يقول:" ومما بين الشفتين مخرج الباء، والميم، والواو"[٥].

ويعد هذان الصوتان صوتين متوسطين بين الرّخاوة والشدة ومجهورين أيضا إلا أنهما يختلفان في الغنة فالميم بغنة والواو بغير غنة.

وأرى أن سبب الإبدال يعود إلى تأثير صوت الفاء في الواو فكلا الحرفين يُعد شفوياً وينطقان بفتح الشفتين؛ لذلك سيطول المقطع الصوتي وذلك بخروج هواء الصدر مع الحرفين دون انقطاع؛ لذلك أبدلت الواو من الميم التي فيها إغلاق للشفة مما يقطع مرور الهواء من الفم ويساعد ذلك في نقصير مدّة الأداء الصوتي لهذين الحرفين، مما يجعله ينطبق مع قانون السهولة والتيسير في الأداء الصوتي.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٢٤٠.

(٣)محمد بن ذؤيب العماني الفقيمي. إنظر ابن جني، الخصائص ٢/٢١١، ابن جني، المحتسب ١/٧٩، والسيوطي، الهمع ١/١٣٩، والبغدادي، الخزانة ٢/٢٨٣.

(٤) ابن عصفور، الممتع ٢٥٩.

(٥) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٣.

٧- **إبدال اللام من الضاد:** يقول سيبويه:" ومثل ذلك قـــول بعــض العــرب (الطجع) في (اضطجع) أبدل اللام مكان الضاد كراهية التقاء المطبقين، فأبدل مكانها أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف"(١). يقول الشاعر منظـــور بـــن حبــة الأسدي(٢)

لما رأى أنْ لادعهْ، ولا شبعْ مال إلى أرطاةِ حِقفٍ، فالطجع

يريد فاضطجع.

وقد ورد مخرج الضاد عند سيبويه بقوله:" ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مُخرج الضاد"(٣).

أما مخرج اللام فقد وصفه:" ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مُخرج الراء"(٤). فهما حرفان متقاربان في المخرج، تجمـــع بينهما حافة اللسان، ولعل هذا التقارب والاشتراك في حافة اللسان هو الـــذي دعــا بعض العرب إلى الإبدال، فقال في اضطجع: اطجع.

وقد وصف ابن جني هذا الإبدال بالشاذ إذ قال:" يريد فاضطجع فأبدل الضــــاد لاماً وهو شاذ. وقد روي: فاضطجع، ويـــروى أيضــاً فـــاطّجع، ويــروى أيضـــا فاضجع"(٥).

وقد روي الإبدال بالعكس-أي إبدال اللام ضاداً وذلك في ما حكاه "أبو علــــي عن خلق من قولهم: التقطت النوى، واستقطته، واضتقطته، فصحة التاء مع الضـــاد

---

(١) المصدر نفسه ٤/٤٨٣.

(٢) ابن عصفور، الممتع ٢٦٨، والاستراباذي، شرح الشافية ٢/٣٢٤، والأزهري، شرح شواهدها ٢٧٤-٢٧٦، وابن جني، الخصائص ١/٦٣، وابن سيده، المخصص ٨/٢٤، وابن جني، المحتسب ١/١٢٤، والأشموني ٤/٢٨٠، والأزهري، التصريح ٢/٣٦٧، والسيوطي، الأشباه والنظائر ٢/٢٤٠، وابن السكيت، إصلاح المنطق ٩٥.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٣.

(٤) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٣.

(٥) سر الصناعة ٢/١.

في: اضتقته، دليل على إرادة اللام في النقطية وإن هذه الضاد بدل من تلك الــــلام، كما أن لام الطجع بدل من ضاد اضطجع"(١)

فهناك جملة من الاشتراكات بين الصوتين الضاد والـــلام تتمثـــل فـــي قـــرب المخرج مع صفة الجهر.

(١) الخصائص ٣/٣٢٦-٣٢٧.

الإدغــــــام

- تعريف الإدغام.
- إدغام المثلين.

أولاً: وجوب الإدغام:

أ- في الكلمة الواحدة.　　ب- في كلمتين منفصلتين.

ثانياً: جواز الإدغام:

أ- في الكلمة الواحدة　　ب- في كلمتين منفصلتين.

ثالثاً: تعذر الإدغام:

أ- في الكلمة الواحدة　　ب- في كلمتين منفصلتين.

رابعاً: شواذ الإدغام

- إدغام الحروف المتقاربة في المخرج.

أولاً: امتناع الإدغام.

ثانياً: جواز الإدغام.

ثالثاً: وجوب الإدغام.

رابعاً: الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا.

تعريف الإدغام

" الإدغام هو رفعُك اللسان بالحرفين رفعة واحدة، ووضْعك إيّاه بهما موضعاً واحداً. وهو لا يكون إلا في المثلين أو المتقاربين"[١].

ويعرف أيضاً:" هو أن يلتقي حرفان من جنس واحد، فتسكن الأول منهما وتدغمه في الثاني أي تدخلهُ فيهِ، فيصير حرفا واحدا مشدداً، ينبو عنه اللسان نبوة واحدة، أو يلتقي حرفان متقاربان في المخرج، فتبدل الأول حرفاً من جنس الآخر، وتدغمهُ فيه فيصير حرفاً واحداً"[٢].

وقد استخدم ابن جني مصطلح التقريب الصوتي للدلالة على معنى الإدغام، فعرفهُ بأنه تقريب صوت من صوت[٣]. إذ يقرب الصوت الأول من الصوت الثاني حتى يماثله، فيصبح الصوتان صوتا واحدا.

وقد قسّم ابن جني الإدغام إلى قسمين الأكبر والأصغر، فالأصغر"هو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك"[٤].

وهذا ما نعرفه بالإبدال. أما الإدغام الأكبر فهو الإدغام حقيقة وهو على ضربين:

١- "أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام فيدغم الأول في الآخر"[٥].

٢- " أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه"[٦].

---

(١)ابن عصفور، الممتع ٤٠٣، وانظر ابن الحاجب، شرح الشافية ٣/٢٣٣-٢٣٨، ابن يعيش، شرح المفصل١٠/١٢٠-١٢١.

(٢)المبرد، المقتضب ١/١٩٧، ابن سراج، الأصول في النحو ٣/٤٠٥، الزجاجي، الجمل في النحو ٤١٣-٤١٤، وشرح الأشموني ٣/٨٨٩.

(٣) ابن جني، الخصائص ٢/١٤١.

(٤)المصدر نفسه ١٤١.

(٥)المصدر نفسه ١٤١.

(٦) المصدر نفسه ١٤١.

وقد أشار سيبويه إلى سبب الإدغام فقال:" وذلك لأنه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له، فلما صار ذلك تعباً عليهم أن يدّاركوا في موضع واحد ولا تكون مُهلة، كرهوه وأدغموا، لتكون رفعة واحدة،[وكان أخف على ألسنتهم مما ذكرت لك]" [١].

ويكمن السبب في صعوبة نطق الحرفين مرتين متتاليتين ويسهل عليه أن ينطقهما دفعة واحدة. وقد بين ذلك أيضا ابن جني حيث قال:" وذلك أن الإدغام أنبى اللسان عن المثلين نبوة واحدة فصارا لذلك كالحرف الواحد"[٢].

ونجد في تعريف القدماء للإدغام شيئاً من الغموض، إذ إن الصوت لا يدخل في الصوت، وإنما يماثله، فيصبح الصوتان صوتاً واحداً طويلاً[٣](وهو ما عبّر عنه القدماء بالمشدد والمضعّف).

ويُعد ابن جني من أكثر علماء العربية القدماء إدراكاً لمعنى الإدغام، ولذلك استخدم مصطلح التقريب الصوتي للدلالة على معنى الإدغام، فعرفه بأنه تقريب صوت من صوت[٤]. إذ يقرب الصوت الأول من الصوت الثاني حتى يماثله فيصبح الصوتان صوتاً واحداً.

والحال كذلك عند المحدثين في تعليلهم هذه الظاهرة الصوتية، فقد جعل بعض علماء اللغة المحدثين هذه النبوة الواحدة بالصوت ممثلة بحرف واحد طويل، فالحرف الصامت المضعف، أو الساكن المضعف، ليس سوى حرف واحد طويل ينطق بقوة أشد مما في حالة نطق الصوت القصير فإن "مجموعة مثل: atta' أتّا، تتميز عن المجموعة ata' أتا بوجود مساحة بين الحبس والانفجار يمكن للأذن أن تقدرها، ومن الخطأ أن يقال بأنه يوجد ساكنان في atta' أتّا وساكن واحد في ata'

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤١٧.

(٢) ابن جني، الخصائص ٢/٤٩٦.

(٣)د. عبد القادر مرعي، المصطلح الصوتي ١٨١.

(٤) ابن جني، الخصائص ٢/١٤١.

أتا. فالعناصر المحصورة بين الحركتين في كلتا المجموعتين واحدة: عنصر انحباسي يتبعهُ عنصر انفجاري، بينما نجد العنصر الانحباسي في ata يتبعهُ العنصر الانفجاري مباشرة نجده في atta ينفصل عنه بإمساك يطيل مدى الإغلاق"[١]. وأشار كانتينو إلى فكرة الإطالة هذه بقوله:" إنّ التشديد لا يغير من طبيعة الحروف الخاصة بل يطيل مداها فقط"[٢].

وقد استعمل سيبويه الإدغام في بابين الباب الأول سماه باب التضعيف[٣]. ثم الباب الثاني باب الإدغام[٤]، وقد ابتدأ الباب الثاني-باب الإدغام- بالحديث عن الحروف مخارجها وصفاتها وهذا التمهيد يفيد في تفسير الإدغام وخصوصا إدغام المتقاربين في المخرج أو الصفة.

---

(١) فندريس، اللغة ٤٩.

(٢) كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية ٣١٢.

(٣) الكتاب ٤/٤١٧.

(٤)المصدر نفسه ٤٣١.

إدغام المثلين (التضعيف)

أولاً: وجوب الإدغام:

أ- في الكلمة الواحدة:

١- ما كانت عينه ولامه من موضع واحد وتحركت اللام مثال: ردّي، اجترّا، استعدّي، يرادّان، احمرَّ، احمارَّ.

واعتبر هذا الأمر متلئباً في لغة تميم وأهل الحجاز، وقد أورد سيبويه تعليلا صوتياً لهذه الظاهرة إذْ يقول:" لأنه لما كانا من موضع واحد، ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضع ثم يعيدوها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعة واحدة"[١].

حيث يميل الإنسان بطبعه إلى مبدأ السهولة والتيسير للوصول إلى مقاصده الفرضية سعياً وراء تحقيق أفضل النتائج.

فإذا نطقنا الراء مثلاً في احمرّ ثم أتبعناها براء أخرى كان لا بد من بذل جهد زائد في رفع اللسان مرتين متواليتين من المخرج ذاته، ولذلك كان لا بدّ من اختصار الوقت والجهد المبذول في نطق الحرفين نطقاً واحدا لذلك رُفع اللسان رفعة واحدة.

وما يحدث حين يدغم المثلان من مثل ردَّ هو نطق عين الفعل ولامه دون حركة فاصلة ، ولما كان الصوتان متماثلين، فإن نطقهما يأتي من نقطة مخرجية واحدة، وعملية نطقية واحدة أيضاً.

وإذا سُئِل ما الفرق بين نطق الحرف بدون تضعيف والحرف المضعف؟ الفرق يبدو في زيادة طول الحبسة الصوتية الانفجارية للفعل ردَّ عن قولنا مثلاً قَعد ويمكن لنا أن نقارن بين الصامتينَ المضعفين مع الحركة الطويلة إذْ إن الحركة الطويلة

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣/٥٣٠، وانظر أيضاً نفسه ٤/٤١٧.

تساوي ضعف الحركة القصيرة، كذلك الصوت المضعف يساوي ضعف الصوت الصامت المفرد[1].

٢- ما جاوز من الأسماء ثلاثة أحرف فإنه يجري مجرى الفعل. يقول سيبويه:" فإن كان الذي قبل ما سكن ساكناً حرّكْته وألقيتَ عليه حركةَ المُسكّن، وذلك قولك: مُسْتَرِدٌّ ومُستَعِدٌّ ومُمِدٌّ ومُمِدٌّ ومُسْتعدٌّ، وإنما الأصل مُسْتَعْدِدٌ ومُمْدِدٌ ومُسْتَعْدَدٌ"[2].

فما الذي حدث في مُستَعْدِدٌ لتصبح مُستَعدٌّ؟ إن العين في مُستَعْدِد ساكنة تحرك بحركة الدال وهي الكسر فتسكن الدال لتصبح مُستَعِدْد(إعلال بالنقل أو التسكين) ثم تدغم الدال الساكنة الأولى بالثانية المتحركة لتصبح (مُستَعِدّ). أما إذا لم يكن ما قبل الحرف المضعف ساكناً بقي على حركته ثم أدغمت الحرفين المتماثلين في مثل قولك مُرْتَدّ وأصله مُرْتَدِد.

والحال هذه كالحال تلك في تفسير هذه الظاهرة الصوتية من المنظور الحديث وهو قانون اختزال الجهد الذي يلعب الدور البارز في عملية إدغام المثلين.

٣- ما كان وزنه على(أفعل) وكانت العين واللام من موضع واحد.

يقول سيبويه:" وأما ما يكون أفْعل فنحو ألدَّ وأشدَّ، وإنما الأصل ألددُ وأشددُ. ولكنهم ألقوا عليها حركة المُسكَّن وأُجريتْ هذه الأسماء مُجرى الأفعال في تحريك الساكن وإلزام الإدغام"[3]. وتفسير ذلك عند سيبويه أن حركة الدال الأولى- وهي الفتحة- أُلقيت على اللام الساكنة ثم أدغمت الدال الساكنة بالأخرى المتحركة فأصبحت ألَدَّ.

وفسر الطيب البكوش هذه الظاهرة الصوتية بالتتابع المقطعي الخاص باللغة العربية، وهو أن العربية تستثقل تتابع مقطعين قصيرين متماثلين. وبهذا تُسقط

---

(١)انظر عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤١٨/٤.

(٣)المصدر نفسه ٤١٩.

العربية حركة عين الفعل كما في شَدَدَ، حيث التقى حرف "دَ" وهو مقطع قصير مفتوح مع مثيله الثاني، فنتج عنه أن العربية تخلصت من حركة المقطع الأول عن طريق الإدغام، وينتج عن إسقاط حركة العين أن العين التي كانت بداية المقطع الثاني، وهو منفتح قصير، تصبح مقطعاً منغلقاً، ويصبح الفعل مركباً من مقطعين فقط، الأول مقطع منغلق، والثاني منفتح قصير (شَدْ-دَ)، ولا يخفى ما في ذلك من اقتصاد في المجهود النطقي وخفة في الصيغة الحاصلة(١).

و(شَدَدَ) قائمة على ثلاثة مقاطع منفتحة، اثنان منهما متماثلان، وفي هذا ثقل في التتابع، تتخلص اللغة منه عن طريق تحويل الكلمة إلى مقطعين: الأول"شَدْ" منغلق، والثاني "دَ" قصير منفتح، فسهّل هذا نطق الكلمة، فخفت في نطقها(٢).

ب- في كلمتين منفصلتين:

١- إذا كان المثلان واوين أو ياءين وسبقت الواو الأولى بفتحة أو سبقت الياء بفتحة فإن الإدغام واجب. ومثال ذلك:

اخشي يَّاسراً، واخشو وّاقدا

وقد علل سيبويه وجوب الإدغام هذا بأن الياء والواو في اخشَيْ واخشَوْ ليسا مديتين وإنما هي بمنزلة الحرف الصحيح وفي ذلك يقول:" وإذا قلت وأنت تأمر: اخشَيْ يَّاسراً واخشوا وّاقداً أدغمت، لأنهما ليسا بحرفي مدّ كالألف، وإنما هما بمنزلة قولك: أحْمَد دَّاود، واذهبْ بّنا"(٣).

وعلى قانون الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول فقد أدغم الصوتان ليصبحا صوتاً واحداً لكنهُ أكثر طولاً من الصوت الواحد غير المدغم.

وقد وضّح رمضان عبد التواب أن هذين الصوتين عندما يدغمان في بعضهما لا يعدوان حينها صوتاً واحداً بكميّة من المد تزيد عن الصوت غير المدغم:" وليس

(١)الطيب البكوش، التصريف اللغوي ٩٩.

(٢)د.أحمد عفيفي، التخفيف في النحو العربي ١١٤.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤٤٢/٤.

أمر الطول والقصر خلصا بالأصوات المتحركة وحدها، بل إن الصوامت تطول وتقصر كذلك، وإن ما نعرفه باسم الحرف المشدد، أو الصوت المضعف، ليس في الحقيقة صوتين من جنس واحد، الأول ساكن والثاني متحرك، كما يقول نحاة العربية، وإنما هو في الواقع صوت واحد طويل يساوي زمنه زمن صوتين اثنين"(١)- إذا كان المثلان حرفين صحيحين أولهما ساكن خلا الهمزة مسبوقين بحرف صحيح متحرك، ومثال ذلك: احمد دّاود، واذهبْ بّنا.

وعلل ابن عصفور هذا الإدغام بقوله:" فإن كانا صحيحين فلا يخلو من أن يكون الأول منهما ساكنا أو متحركاً. فإن كان ساكناً فالإدغام ليس إلاّ نحو: اضربْ بكراً، لأنه لا فاصل بين المثلين، فهو أثقل من أن لو فصلت بينهما حركة. وأيضاً فإن الإدغام لا يؤدي إلى تغيير شيء"(٢).

وفسّر ابن يعيش هذا الإدغام وهو إدخال الساكن بالمتحرك بأنه لا يجوز أن يكون الحرف الأول إلاّ ساكناً بحيث لا يكون بين الحرفين المدغمْين فاصل يفصل بينهما من حركة ولا غيرها نحو: لم يرحْ حاتم، ولم أقلْ لك، وذلك بأن اعتمد اللسان عليهما اعتماده واحدة لأن المخرج واحد ولا فصل، وأما إذا كان الأول متحركاً والثاني ساكناً امتنع الإدغام، لأن حركة الحرف الأول قد فصلت بين المتجانسين فتعذر الاتصال(٣).

والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة من المنظور الحديث هو عينه في إدغام المثلين وهو نابع من قانون الاقتصاد في الجهد العضلي إذْ إن نطق الحرفين من الموضع ذاته مرتين متتاليتين فيهِ صعوبة في النطق أولاً، وجهد عضلي زائد ثانيا.

---

(١) رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ٩٧.

(٢) ابن عصفور، الممتع ٤١٣.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل ١٠/١٢١-١٢٤.

ثانياً: جـواز الإدغـام

أ- في الكلمة الواحدة:

١- ما كانت لامهُ وعينه من موضع واحد وأسكنت اللام:

* على لغة أهل الحجاز: لا يدغمون. يقول سيبويه:" فإذا كان حرف من هـذه الحروف في موضع تسكن فيه لام الفعل فإن أهل الحجاز يضاعفون؛ لأنهم أسكنوا الآخر، فلم يكنْ بدٌّ من تحريك الذي قبله؛ لأنه لا يلتقي ساكنان، وذلك قولـك: ارْدُدْ، واجترِرْ، وإن تُضارِرْ أُضارِرْ، وإن تَستَعِدْ أستعِدْ، وكذلك جميع هذه الحروف"[١].

يفسر سيبويه هذه الظاهرة الصوتية التي اختص بها الحجازيون بأنّ الامتنـاع ناجم عن الهروب من التقاء الساكنين حيث إن إدغام المثلين في(ارْدُدْ) يتطلب تسكين الدال الأولى وهذا يؤول إلى إسكان حرفين متتابعين متماثلين وهذا ممتنع فـي هـذا الموضع.

ويبدو أن الحجازيين قد اتجهوا إلى فك الإدغام[٢]، بسبب ميلهم إلـى إيضـاح الأصوات وتجنب اللبس وهي من صفات المتحضرين، فقد نطقتِ العرب بالتضعيف على غير إدغام مع تاء الرفع في قولنا: رَدَدْتُ، فإذا تحركت اللام أجمعوا كما قـال سيبويه على الإدغام فقالوا: ردّتْ مثلاً، ولا يمنع أن يكون الحجازيون امتنعوا عـن إدغام الأمر المضعف من الثلاثي في نحو: رُدّ الفتى عن بغيته. فتحولوا به إلى الفك فقالوا ارددْ، كي لا يلتبس بالماضي المبني للمجهول، ثم حملوا المضارع عليه فـي فك الإدغام لجري الفعلان على وتيرة واحدة ولا شك أن الابتعاد عن اللبس ظـاهرة حضرية ولذا وجدناها عند الحجازيين.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣/٥٣٠.

(٢) حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية ١٧٠-١٧١.

وقد أُحصيت في القرآن الكريم ستة أفعال للأمر من المضعف جاءت كلها بفك الإدغام وهي "فاقصص"[١]، و"اشدد"[٢]، و"احلل"[٣]، و"اغضض"[٤]، و"امنن"[٥].

أما المضارع المجزوم فقد أُحصي واحدٌ وأربعون فعلاً، سبعة وثلاثون بفك الإدغام، وأربعة بالإدغام، وهذا يشير إلى عدم التضعيف في أمر الثلاثي تجنبا للبس، ورُخصت في إدغام المضارع المنجزم بنسبة قليلة، مما يؤكد قاعدة طرد الباب على وتيرة واحدة[٦].

ويمكن لنا أن نفسر هذه الظاهرة بالمقطع المرفوض في بناء الكلمة العربية حيث إن تسكين الدال الأولى يتولد عنهُ مقطع مرفوض وهذا المقطع هو: صامت+ حركة قصيرة + صامت+ صامت وللتخلص من هذا المقطع بقيت الكلمة على أصلها دون إدغام لتصبح ارددْ وبالتالي يصبح المقطع صامت + حركة قصيرة+ صامت وهذا مقطع مقبول في بناء الكلمة العربية.

* أما على لغة بني تميم فيكون الإدغام، وفي ذلك يقول سيبويه:" فإذا كان الحرف الذي قبل الحرف الأول من الحرفين ساكناً ألقيت حركة الأول عليه: إن كان مكسوراً فاكسره، وإن كان مضموماً فضمه، وإن كان مفتوحاً فافتحه. وإن كان قبل الذي تُلقى عليه الحركة ألفُ وصل حذفتها؛ لأنه قد استُغني عنها حيث حُرِّك، وإنما احتيج إليها لسكون ما بعدها وذلك قولك: رُدَّ وفِرَّ، وعضَّ، وإن تَرُدَّ أرُدَّ، ألقيت حركة الأول منهما على الساكن الذي قبله وحذفت الألف كما فعلت ذلك في غير الجزم. وذلك قولك: رُدّا ورُدُّوا"[٧].

---

(١) سورة الاعراف، الآية ١٧٦.

(٢)سورة يونس، الآية ٨٨، وسورة طه، الآية ٣١.

(٣)سورة طه، الآية ٣٧.

(٤)سورة لقمان، الآية ١٩.

(٥) سورة ص، الآية ٣٩.

(٦)حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية ١٧١.

(٧) سيبويه، الكتاب ٣/٥٣١.

وما فعلهُ التميميون–من ناحية عملية– كالذي فعلهُ الحجازيون وهو التخلص من التقاء الساكنين، فالحجازيون امتنعوا عن الإدغام لتعذر التقاء الساكنين في حين أن التميميين أدغموا لكنهم غيّروا في البنية لتتلاءم مع طبيعة القوانين الصوتية لبناء الكلمة العربية، فكيف فسّر سيبويه هذا التغير؟ إنّ كلمة مثل ارْدُدْ تتابع فيها مثلان الثاني ساكن والأول متحرك فإذا أريد الإدغام فإنه لا بد من إسكان الأول فيحدث التقاء الساكنين وهذا ما ترفضه البنية الصوتية لذلك لجأ التميميون إلى نقل حركة الدال الأولى وهي الضمة إلى الحرف الذي قبلها وهو الراء فأصبح الحرف الأول متحركاً بالضم؛ لذلك لم تعد ثمة حاجةٌ لهمزة الوصل التي تستخدم للتخلص من النطق بالساكن في بداية الكلمة فحذفوها لتصبح الكلمة رُدّ ثم فتحوا الثاني لأن الحرفين لا يسكنان جميعا حيث يقول سيبويه:" وأما بنو تميم فيُدغمون المجزوم، كما أدغموا، إذْ كان الحرفان متحركين كما ذكرنا من المتحركين، فيُسكنون الأول ويحركون الآخر، لأنهما لا يسكنان جميعاً، وهو قول غيرهم من العرب، وهم كثير".

ويبدو لي أن تحريك الحرف الثاني من المضعف بالفتحة لخفة الفتحة فالإدغام في الأصل هو ضرب من ضروب التخفيف في النطق مع ما يصاحبه من الاقتصاد في الجهد العضلي، وإذا كان لا بدّ من التحريك تجنبا لالتقاء الساكنين كان لزاما أنْ نستخدم أخف الحركات على اللسان وهي الفتحة.

" وإن كان الساكن الذي قبل الأول بينه وبين الألف حاجز ألقيت عليه حركة الأول؛ لأنّ كلّ واحد منهما يتحول في حال صاحبه عن الأصل، كما فعلت ذلك في رُدّ وفرّ وعَضّ، ولا تحذف الألف، لأن الحرف الذي بعد ألف الوصل ساكن؛ وذلك قولك اطمأنّ واقشعرّ، وإن تشمئزّ أشمئزّ، فصارت الألف في الإدغام والجزم مثلها في الخبر. وذلك قولك: اطمئنوا واطمئنّا، ومثل ذلك استَعِدَّ"(١).

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣/٥٣١.

المضعف الثاني بالفتح تارة أو تحريك الثاني دون نقل الحركة تارة أخرى مما يجعل هذا البناء منسجماً مع طبيعة البناء الصوتي للكلمة العربية.

٢- ما كان على زنة فعل مما كان بمنزلة الأفعال: أولا: بعض العرب يُدغمون ومثال ذلك: صبّ، وطبّ، ومذلّ. قال فيه سيبويه:" فأما ما جاء على ثلاثة أحرف لا زيادة فيه فإن كان يكون فعلا فهو بمنزلة وهو فَعْلٌ، وذلك قولك في فعِل: صبّ، زعم الخليل أنها فَعِلٌ لأنك تقول صبِبْتُ صبابةً كما تقول: قَنِعْتُ قناعة وقَنِع"(١).

وذكر الرضي أنه إذا كان اجتماع المثلين في الاسم فلا يدغم إلا إذا شابه الفعل؛ لما ذكر من ثقل الفعل، فالتحقيق به أليق مثل: رجل صبٌّ وأصلهُ صبِبٌ(٢).

فهذا الاسم"صبٌّ" يشابه الفعل من وجهتين: أولاهما أن أصلها "صبِب" على زنة فَعِل وهو وزن شائع للفعل في الثلاثي، وثانيهما أنه مشتق من الفعل صبب والمشتقات تأخذ صفة من صفات الفعل وهو الحدث. وما دام أن الفعل ثقيل نزع العرب إلى تخفيف اللفظ عن طريق إدغامه وبالتالي تحقيق ظاهرة الاقتصاد في الجهد؛ وما ينطبق على الفعل ينطبق على شبيهه.

الثاني: قوم آخرون يمتنعون عن الإدغام مثل: رجلٌ ضفِفٌ وقوم ضفِفو الحال. ولكن سيبويه يرى أن الأجود هو الإدغام فيقول:" فأما الوجه فرجلٌ ضفٌّ وقوم ضفّو الحال"(٣).

وقد أورد ابن عصفور نقلاً عن أبي الحسن بن كيسان أن ما كان على وزن"فَعِل"، أو "فَعُل" لا يدغم. واستدل على ذلك بأنك لو أدغمت لأدى ذلك إلى الإلباس، لأنه لا يُعلم هل هو في الأصل متحرّك العين أو ساكنة"(٤). وَرَدَّ ابن

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤١٩.

(٢) انظر الرضي، شرح الشافية ٣/٢٤٢.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٢٠.

(٤) ابن عصفور، الممتع ٤١١.

عصفور على هذا التأويل بالفساد حيث يقول:" وهذا الذي ذهب إليه فاسد، لأنـــه إذا أدى القياس إلى ضرب ما من الإعلال استُعمل، ولم يُلتفت إلى التباس إحدى البنيتين بالأخرى؛ ألا ترى أن العرب قد قالت: مُختار، في اسم الفاعل واسم المفعول، ولـــم يُلتفتْ إلى اللبس. وأيضا فإنهُ قد قام الدليل على أن صبّا وطبّا: "فَعِلٌ" في الأصـــل، وقد أدغم. فَدلّ ذلك على فساد مذهبه"(١).

---

(١) ابن عصفور، الممتع ٤١١.

ب- جواز الإدغام أو المنع في كلمتين منفصلتين:

١- أن تتوالى خمسة أحرف متحركة فصاعدا، مثل: "جعل لّك وفَعل لّبيد"

وقد فسّر سيبويه ذلك بمقارنة هذه الكلمة ذات خمسة أحرف حيث إنها لا تتوالى فيها حروف متحركة حيث يقول:" ألا ترى أن بنات الخمسة وما كان عدّته خمسةً لا تتوالى حروفها متحركة، استثقالا للمتحركات مع هذه العدّة، ولا بُدّ من ساكن. وقد تتوالى الأربعة متحركة في مثل عَلَبِط؛ ولا يكون ذلك في غير المحذوف"[١].

لذا فإن سيبويه ينبهنا إلى نظام اللغة الذي يرفض في الكلمة الواحدة توالي خمسة حروف متحركة، ولكنها ممكنة في الكلمتين وطردا للباب على وتيرة واحدة فقد أجاز الوجهين الإدغام للتخلص من توالي المقاطع الخمسة المفتوحة قياسا بالمقاطع في الكلمة الواحدة، أو الامتناع، ومما يدل على هذا الجواز قوله:" ومما يدلك على أن الإدغام فيما ذكرت لك أحسنُ أنه لا يتوالى في تأليف الشعر خمسة أحرف متحركة، وذلك نحو قولك: جعل لّك، وفَعل لّبيد، والبيان في كل هذا عربي جيدٌ حجازي"[٢].

وقد نسب سيبويه امتناع الإدغام للحجازيين الذين ينزعون إلى البيان للحروف كافة بسبب طبيعتهم الحضرية التي تميل إلى الوضوح بشكل كبير.

وما حدث من وجهة حديثة هو توالي خمسة مقاطع قصيرة مفتوحة وللتخلص من هذا التوالي كان الإدغام. فالمقاطع في جعلَ لَبيد هي: ص ح +ص ح + ص ح+ ص ح +ص ح. وعندما يتم الإدغام "جعل لّبيدٌ تصبح المقاطع بالشكل التالي: ص ح + ص ح ص+ ص ح وبالتالي تخلصنا من هذا التوالي غير المرغوب فيه.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

٢- أنْ يلتقي الحرفان المثلان وقبل الأول منهما حرف مدّ.

وذلك قولك: إنّ المال لّك، وهم يظلمونّي، وهما يظلمانّي، وأنتِ تظلمينّي. وقد بين سيبويه جواز الوجهين، حيث أجاز الإدغام بقوله:" فإن الإدغام حسن" وأجاز الامتناع بقوله:" والبيان ههنا يزداد حُسْنا لسكون ما قبله". وعلل سيبويه الإدغام بقوله:" لأن حرف المد بمنزلة متحرك في الإدغام"[١].

وقد فسر سيبويه الإدغام في أن حرف المد قريب من الحركة التي هو منها فالألف قريبة من الفتحة، والياء من الكسرة، والواو من الضمة وفي ذلك يقول:"وإذا التقى الحرفان المثلان اللذان هما سواء متحركين وقبل الألف حرف مدّ فإن الإدغام حسن لأن حرف المد بمنزلة متحرك في الإدغام، ألا تراهم في غير الانفصال قالوا: رادّ وتُمُودَّ الثوب وذلك قولك إنّ المال لك وهم يظلمونّي وهما يظلمانّي وأنت تظلمينّي، والبيان هنا يزداد حسناً لسكون ما قبله"[٢].

أما من امتنع عن الإدغام فيبدو لي أنهُ عدّ الألف والواو والياء سواكن ففي كلمة يظلمونَ ني إذا أدغمنا النونين لكان لزاماً علينا تسكين النون الأولى وبالتالي يلتقي ساكنان النون والواو الساكنة، وللتخلص من هذه الظاهرة فقد امتنعوا عن الإدغام. وحتى لو عددنا الواو حرفاً ساكناً فإن التقاء الساكنين من الوجهة الصوتية القديمة جائز لأن الحرف الثاني حرفٌ مدغم.

وإذا كان حرف المد واواً أو ياء كان فك الإدغام أحسن وذلك قولك: هذا ثَوبُ بَكْرٍ، وهذا جيْبُ بكر[٣].

وقد علل سيبويه عدم الإدغام بقوله:" لأن حركة ما قبله ليس منه فيكون بمنزلة الألف"[٤]. بتعبير آخر فإن الواو والياء في هاتين الكلمتين ليستا مديتين حيث إنهما تقتربان من الحروف الصوامت، لأن حركة ما قبلهما ليست من جنسهما، وبالتالي استحسن امتناع الإدغام. فلو أدغمنا الباء الأولى في الثانية في قولنا ثوبُ بكر لالتقى ساكنان الواو والباء المدغمة-ورغم أن الإدغام هنا جائز لأن الساكن الثاني مضعف- إلا أنه استحسن الامتناع عن الإدغام طرداً للباب على وتيرة واحدة.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٧.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٧-٤٣٨.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٤٠.

(٤) المصدر نفسه.

ثالثاً: تعذر الإدغام

١- في الكلمة الواحدة:

أ- إذا كان أحد الأحرف المدغمة إحدى نوني التوكيد حينها يمتنع الإدغام، وفسر سيبويه ذلك بقوله:" ولا تجري ما بعد الألف مجرى ما بعد الألف في يضربانني إذا ثنيت، لأن هذه النون الأولى قد نفارقها الآخرة، وهذه الدال الأولى التي في رادِ لا تفارقها الآخرة، فما يستثقلون لازمٌ للحرف"[١].

يتعذر الإدغام في هذا الموضع كما أشار سيبويه لعلة هي أن النونين في يضربانني غيرُ لازمتين لبعضهما في المواقع كافة في حين أن الدالين في رادِ لازمتان لا تتفارقان، وبناء على ذلك فإن العرب تستثقل عدم إدغام الحرفين اللازمين ولكنها تمتنع من الإدغام في غير اللازمين. وقد علل ابن جني كما علل سيبويه فقال:" وإذا قيل لهم- قالوا هما يضربانني، وهم يحاجوننا، قالوا: المثل الثاني ليس بلازم"[٢].

ويمكن استخراج قاعدة لهذه الحالة حيث إن تماثل الحروف الأصلية أكثر ثقلا من تماثل الحروف العارضة، أو العارضة مع الأصلية[٣].

ويمكن لي في هذا الصدد أن أشير إلى ظاهرة كثرة الاستعمال وقلة الاستعمال، إذ إن كثرة الاستعمال تُجيز الحذف في كثير من المواقع مثل حذف همزة ابن والنحت في هلل، وكبرّ وحوقل وذلك طلباً للخفة، والحال كذلك بالنسبة لإدغام الحروف الأصول حيث يكثر ورودها فلما لم نرد التخفيف بالحذف خففنا بالإدغام مثل رادّ، والأمر معكوس في قلة الاستعمال وهو اجتماع حروف متماثلة ليست أصولاً مما يضطرنا إلى لزوم الثقل وبالتالي الإبقاء على التضعيف.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤١٩/٤.

(٢) ابن جني، الخصائص ١٦٢/١.

(٣) د.أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي ١١٦.

٢- ما كان علي ثلاثة أحرف متحركة عينه علي زنة:

* فِعَل مثل: قِدد، وكِلل وشدد.

* فُعَل مثل: سُرر، وخُزر، وقُذَذ السهم، وسَدد، وظُلَلَ، وقُلَل.

* فُعُل مثل: سُرُر، وخضنض، ومُدد، وشُدُد، وسُنُن[١].

وقد أوضح سيبويه عدم الإدغام في ابتعاد هذه الأوزان عن صيغ الأفعال حيث إن فَعِل وفُعل، وفُعُل ليست أوزانا للأفعال. وفي ذلك يقول:" وأما ما كان على ثلاثة أحرف وليس يكون فِعْلاً فعلى الأصل كما يكون ذلك في باب قُلْتُ، ليفرّق بينهما كما فُرّق بين أفَعل اسما وفِعلا من باب قلتُ"[٢].

وذكر الرضي أنه إذا كان اجتماع المثلين في الاسم فلا يُدغم إلا إذا شابه الفعل، لما ذكر من ثقل الفعل، فالتخفيف به أليق مثل: رجل صبٌّ، وأصله (صبِبٌ)، وأما مثل: سُرُر جمع سرير فلا يدغم؛ لأنه لا يشابه الفعل[٣].

وإذا لم ندغم فُعُل لأنها خاصّة بالأسماء، فلماذا لم ندغم قَصص وعدد رغم أنهما على زنة الأفعال؟

يجيب الرضي على ذلك بقوله:" مثل هذه الأسماء في غاية الخفة؛ لكونه مفتوح الفاء والعين، ألا ترى إلى تخفيفهم نحو كَبِد، وعضُد، دون نحو حمل؟ تركوا الإدغام فيه، وأيضاً لو أدغم(فَعلّ) مع خفته لالتبس بفَعْل -ساكن العين- فيكثر الالتباس"[٤].

وأورد ابن جني أيضاً تفسيراً لهذه الظاهرة الصوتية حيث يقول:" الاسم أخف من الفعل، فظهر التضعيف في الاسم لخفته، ولم يظهر في الفعل -نحو قصّ ونصّ- لثقله"[٥].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤٢١/٤.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤٢١/٤.

(٣) الرضي، انظر شرح الشافية ٢٤٢/٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ابن جني، الخصائص ١٦٢/١.

ب- تعذر الإدغام في كلمتين منفصلتين:

١- إذا كان الحرفان المثلان متحركين وكان قبل الأول حرف ساكن. ومثال ذلك: ابنُ نوح، واسمُ موسى، وعلل سيبويه امتناع الإدغام بقوله:" فلو أنهم كانوا يحرّكون لحذفوا الألف، لأنهم قد استغنوا عنها، كما قالوا قِتّلوا وخِطّف..."[١].

فلو أُدغمت الميم مع الميم الثانية في "اسم موسى" لوجب تحريك السين الساكنة، وإذا حُرّكت السين صار لابُد من حذف همزة الوصل؛ لأنهُ لم تعُد ثمة حاجةٌ لبقائها لأنها يتوصل بها للنطق بالساكن وليس المتحرك.

وقد فسّر سيبويه إدغام بعضهم في قراءة :" إن الله نِعّما يعظكم به"[٢]. فحرّك العين فليس على لغة من قال نِعْمِ فأسكن العين ولكنه على لغة من قال نِعِم فحرّك العين، حيث عدّ سيبويه هذه اللغة في نعم لهذيل[٣]. قال طرفة:

ما أقلّت قَدَمٌ ناعِلَها   نِعِم الساعون في الحيّ الشُّطُر[٤]

والأمر ذاته إذا كان المثلان واوين أو ياءين مثل: هذا دلوُ واحد، وظبيُ ياسر، فلا تدغم.

٢- إذا كان الحرفان المثلان واوين أو ياءين وسبقت الواو الأولى بالضمة أو الياء الأولى بالكسرة، يقول سيبويه:" وإذا كانت الواو قبلها ضمة والياء قبلها كسرة، فإن واحدة منهما لا تدغم إذا كان مثلها بعدها. وذلك قولك: ظلموا واحداً، واظلمي ياسراً، ويغزو واقداً، وهذا قاضي ياسراً، لا تدغم. وإنما تركوا المد على حاله في

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٨.

(٢)سورة النساء، الآية ٥٨.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٩-٤٤٠.

(٤) ديوانه ٧٣، وسيبويه، الكتاب ٤/٤٤٠، ووقعة صفين ١٩٢، وانظر الرضي في شرح الشافية ٢/٢٩٠، البغدادي، الخزانة ٤/١٠١، وروي في ديوانه أيضاً:

ما أقلت قدمي إنهم   نعم الساعون في الأمر المبر

وفي ديوانه أيضاً رواية أخرى:

بفداء البني قيس على   ما أصاب الناس من سر وضر

خالتي والنفس قدما إنهم   نعم الساعون في القوم الشطر

الانفصال كما قالوا قد قُوول، حيث لم تلزم الواو ، وأرادوا أن تكون على زنة قاول، فكذلك هذه، إذْ لم تكن الواو لازمة لها، أرادوا أن يكون ظلموا على زنة ظَلما واقدا، وقَضَى ياسراً، ولم تقو هذه الواو عليها كما لم يقو المنفصلان على أن تحرّك السين في: اسمُ موسى"[١].

يبدو لي أن سيبويه فسّر الامتناع هذا في أن هذه الواو والياء لا تثبت في الأحوال كافة، فواو الجماعة هي صوت زائد والياء في اظلمي أيضاً زائدة في حين الواو في يغزو فإنها منقلبة بين الواو والألف، والياء في قاضي يمكن أن تُحذف ولما كانت هذه الحروف المديّة غير ثابتة في كافة أحوالها تعيّن الإظهار.

٣- **إذا كان المثلان همزتين:** ومثال ذلك: قرأ أبوك وأقرئ أباك، وقد علل سيبويه ذلك قائلاً:" لأنك لا يجوز لك أن تقول قرأ أبوك فتحققهما فتصير كأنك إنما أدغمت ما يجوز فيه البيان، لأن المنفصلين يجوز فيهما البيان أبداً، فلا يجريان مجرى ذلك"[٢].

وما دام أن الهمزة ثقيلة في نفسها فكيف إذا التقت بهمزة أخرى في كلمة ثانية(يستثنى من ذلك الهمزتان في موضع العين)، فإذا التقت همزتان في غير موضع العين، فلا إدغام فيهما؛ ولهذا لا تدغم الهمزة في مقاربها فيها، وإذا أردنا التخفيف توصلنا إلى طرق أخرى غير الإدغام[٣]. يقول سيبويه:" ومن الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه، كما لا يدغم في مثله، وذلك الحرف الهمزة؛ لأنها إنما أمرها في الاستثقال التغيير والحذف، وذلك لازم لها وحدها، كما يلزمها التحقيق؛ لأنها تستثقل وحدها، فإذا جاءت مع مثلها أو مع ما قرب منها، أجريت عليه وحدها؛ لأن ذلك موضع استثقال"[٤].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٤٢.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٤٤٣.

(٣)د.أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف ١٢٦.

(٤) سيبويه، الكتاب ٤/٤٤٦.

ومن هنا يظهر أن التخلص من ثقل الهمزة بالحذف أو بالقلب ألفـــا أو واوا أو ياء، ولا يصح الإدغام لثقل الهمزة فيما يقاربها، فما بالك لو اجتمعت همزتان، وقد أكد سيبويه هذا الكلام مرات عدة فقال:" وأما الهمزتان فليس فيهما إدغام في مثـــل قولك: قرأ أبوك"(١).

وأرى من خلال ما سبق أن موجبات الإدغام في المثلين تتلخصُ في:

١- في الفعل الذي عينه ولامه مثلين متحركين.

٢- في الإسم الزائد على ثلاثة حروف والمنتهي بمثلين متحركين.

٣- في الكلمتين المنفصلتين إذا كان المثلان كل واحد منهما في كلمة شـــريطة أن يكون الأول منهما ساكن وأن لا يكون حرف مدّ.

أما موانع الإدغام في المثلين فأرى أنّها:

١- إذا كان أحد المثلين عارضاً غير لازم للكلمة مثل نون التوكيد.

٢- إذا لم يشابه الاسم الفعل في وزنه لأن الفعل أليق فيه التخفيف من الاسم.

٣- إذا كان المثلان في كلمتين منفصلتين وكان المثل الأول مسبوقاً بســـاكن أو أن يكون المثل الأول حرف مدّ.

٤- إذا كان المثلان همزتين لأن تخفيف الهمزة ليس بإدغامها وإنما بطرق أخرى كالحذف أو الإبدال.

---

(١)سيبويه، الكتاب ٣/٤٤٣.

رابعاً: شواذ الإدغام

١- **حذف أحد الأحرف المضعفة:**" وذلك قولهم: أحسْتُ، يريدون: أحسسْتُ، وأحَسْنَ، يريدون: أحْسَسْنَ، وكذلك تفعل به في كل بناء تبني اللام من الفعل فيه على السكون ولا تصل إليها الحركة، شبهوها بأقمتْ"(١).

ومن الأمثلة على ذلك:" ظِلتُ ومسْتُ، حذفوا وألقوا الحركة على الفاء كما قالوا خِفْتُ. وليس هذا النحو إلا شاذا. والأصل في هذا عربي كثير. وذلك قولك، أحْسسْتُ ومَسِسْتُ وظَلِلْتُ"(٢).

وأما الذين قالوا: ظَلْتُ ومسْتُ فشبهوها بِلَسْتُ، فأجروها في فَعِلْتُ مجراها في فَعَل وكرهوا تحريك اللام فحذفوا. ولم يقولوا في فَعِلْتُ[لِسْتُ البتّة، لأنه يتمكن تمكن الفعل. فكما خالف الأفعال المعتلة وغير المعتلة في فَعِل كذلك يخالفها في فَعِلْتُ]"(٣).

إذن في هذا الحذف لغتان، أولاهما كسر الأول تشبيها بباب الأجوف حين إسناده إلى التاء المتحركة مثل خِفْتُ. أما اللغة الثانية فهي فتح الأول تشبيها بـ ليس حين إسنادها إلى التاء المتحركة لسْتُ.

والأصل في ظَلِتُ ظَلِلْتُ، تتابع في حشوه لامان. فحذفت الأولى عند بعض العرب. ومن ثم قيل فيه ظِلتُ وظلْتُ. قال تعالى:" فَظِلْتُم تفكهّون"(٤)، وقال -جلّ من قائل-:" وانظر إلى إلهك الذي ظلْتَ عليه عاكفاً"(٥)، وقرأ المطوعي:" ظِلْت عليه عاكفاً"(٦) بالكسر، ومما جاء بالكسر شعرا:

ظِلْتُ فيها ذات يومٍ واقفا أسأل المنزل هل فيه خبر

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤٢١/٤.

(٢) المصدر نفسه ٤٢٢/٤.

(٣)المصدر نفسه ٤٢٢/٤.

(٤)سورة الواقعة، الآية ٦٥.

(٥)سورة طه، الآية ٩٧.

(٦)ابن خالويه، القراءات الشاذة ٦٨.

وأما ورود الحذف بالفتح قول الشاعر:

فظَلْتُ لدى البيت العتيق أخيله　　　ومطواي مشتاقان له أركان[1]

ومن الأمثلة الأخرى على هذا الحذف[2]:

أ- أحَسْتُ، والأصل أحْسَسْتُ، قال حريث بن عناب النبهاني:

عودي ثم نادي هل أحسْتُم قلائصاً　　　وسمن على الأفخاذ بالأمس أربعا

وقال أبو زيد الطائي:

خلا أنَّ العِتاقَ من المطايا　　　أحسْن به فهنّ إليه شُوسُ

يريد: أحْسَسْنَ. وقال الفراء:" وقد تقول العرب ما أحسْتُ بهم أحداً فيحذفون السين الأولى، وكذلك في وددت ومسسْتُ وهممْتُ"[3].

وهذا الحذف عمدت إليه العربية للتخلص من توالي الأمثال أو ما يسمى بالمخالفة الصوتية من المنظور الحديث. فقد تم الحذف هروباً من التضعيف؛ لأن الجهد الذي يبذله المتكلم في نطق الصوت المخفف أقل من الجهد الذي يبذله في نطق الصوت المضعّف ولذلك يلجأ المتكلم إلى التخفيف بحذف أحد الأمثال[4].

ب- استحيتُ والأصل استحييت. وقد قرأ كل من ابن كثير وابن محيصن وشبل بن عباد:" إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة"[5] بياء واحدة[6]، والأصل مسِسْتُ، قال أوس بن مفراء:

مِسْنا السماء فنلناها وطاء لهم　　　حتى رأوا أحداً وثهلانا[1].

---

(١) ابن جني، الخصائص ١/١٢٨، ابن جني المنصف ٣/٨٤.

(٢) ابن جني، الخصائص ٢/٤٣٨، ابن جني، المنصف ٣/٨٤.

(٣) الفراء، معاني القرآن ١/٢١٧.

(٤) انظر د.عبد القادر مرعي، ظاهرة كراهية توالي الأمثال في العربية ١٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٦.

(٦) النحاس، إعراب القرآن ١/٣٤.

د- هَمْتُ، والأصل هممتُ. قال الشاعر:

هل ينفعك اليوم أن همْت بهمّ   كثرة ما تأتي وتعقاد الرتم[٢].

هـ- ظِلْتُ، والأصل ظننتُ[٣].

و- لَبْتُ، والأصل لَبِبْتُ[٤].

ز- وِدْتُ، والأصل وَدِدْتُ[٥].

ح- ينْحطن، والأصل ينحططن. قال الفراء:" وقد قال أعرابي من بني نمير: ينْحطن من الجبل، يريد ينحططن"[٦].

ط- وقَرْنَ، والأصل واقرِرْنَ. وقد قرأ عاصم بن أبي النَّجود، وأهل المدينة:" وقَرْن في بيوتكن"[٧]. قال الفراء:" أرادوا(واقررن في بيوتكن) فحذفوا الراء الأولى، فحولت فتحتها في القاف، كما قالوا: هل أحسْتَ صاحبك؟ وكما قال فَظْلْتم يريد فَظَلِلْتُم"[٨].

ي- استَخَذ، والأصل استَتْخذ، وقد ذهب ابن عصفور إلى تعليل ذلك بقوله:" لأنه قد ثبت حذف إحدى التاءين لاجتماع المثلين في "تقي" وباطراد إذا كانت المحذوفة زائدة في مثل: تذكّر وتفكّر، تريد تتذكر وتتفكر، ولم يثبت إبدال السين من التاء بل ثبت عكسه"[٩].

وقد اختلف النحاة واللغويون في حكم هذا الحذف، فقد نعته سيبويه بالشاذ، قال:" وليس هذا النحو إلا شاذا، والأصل في هذا عربيٌّ كثير وذلك قولك

---

(١)الفراء، معاني القرآن ١/٢٣٦، وانظر اللسان ١٠٢/٨.

(٢)الفراء، معاني القرآن ٢١٧/١.

(٣)انظر ابن جني، الخصائص ٤٣٢/٢.

(٤) الاستراباذي، شرح الشافية ٢٤٥/٣.

(٥)انظر الفراء، معاني القرآن ٢١٧/١.

(٦)المصدر نفسه ٣٤١/٢.

(٧)سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٨) الفراء، معاني القرآن ٣٤٢/٢.

(٩) ابن عصفور، الممتع ٢٢٣.

أحسستُ ومسستُ وظللتُ"(١). ووصفه المبرد بقوله:" وليس ذلـــك بجيــد و لا حسن"(٢). أما ابن جني فسار على نهج شيخه في الحكم حيث قال:" وهذا كله لا يقاسُ عليه، لا تقول في سممتُ: سِمْتُ ولا سَمْتُ"(٣).

وابن مالك ينظر إلى هذا الحذف بأنه قياسي ويعتبره لغة لسُليم، قال:" ويجـــوز في لغة سُليم حذف عين الفعل الماضي المضاعف المتصل بتـــاء الضمـــير أو نونه، مجعولة حركتها على الفاء وجوباً، إن سكنت، وجوازاً إن تحركت، ولـــم تكن حركة العين فتحة، وربما فعل ذلك بالأمر والمضارع"(٤).

ك- حذف اللام في"على" إذا وليتها لام التعريف القمرية، وذلك قولهم: ركبتَ علفرس وأصلها على+الفرس، وعند اتصال الكلمتين في النطق يتشـــكل مقطع مديد من نوع ص ح ح ص، وهذا المقطع لا تجيزه العربية إلا في بـــلب شابّة ودابّة، فهنا تختزل الحركة الطويلة فيصبح المقطع مقبـــولاً وهـــو ص ح ص(٥).

وهذه لهجة تنسب إلى بلحرث بن كعب(٦)، وعليها قال قطريّ بن الفجاءة:

غداة طفت علْماء بكربن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم.

ل- حذف التنوين في اسم الفاعل في قراءة عمارة بن عقيل:" ولا الليلُ ســـابقُ النهارَ"(٧)، بحذف التنوين من اسم الفاعل وإعماله فيما بعده. وقد انتقد النحـــــاة هذه القراءة ووصفوها بالضعف، وقد اتخذ ابن جني من هذه القراءة دليلاً على أن العربي قد يتصرف أحيانا في اللغة فيتكلم بلغة غيرها أقوى منها، قال فـــــي

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٢١.
(٢) المبرد، المقتضب ١/٢٤٥.
(٣) ابن جني، الخصائص ٢/٤٣٨.
(٤) ابن مالك، التسهيل ٣١٤.
(٥) فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ٣١٦.
(٦) ابن يعيش، شرح المفصل ١٠/١٥٥.
(٧) سورة ياسين، الآية ٤٠.

الخصائص:" يدلك على أن الفصيح من العرب قد يتكلم باللغة غيرها أقوى في القياس عنده منها، ما حدثنا به أبو علي رحمه الله، قال: عن أبي بكر عن أبي العباس أن عمارة كان يقرأ" ولا الليل سابقُ النهارَ" بالنصب، قال ابو العباس،فقلت له ما أردت؟ فقال: أردت" سابقٌ النهارَ" فقلت له: فهلا قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن، فقوله أوزن، أي أقوى، وأمكن في النفس"[١].

ويفسر د.فوزي الشايب حذف التنوين تفسيراً صوتياً لا نحوياً حيث تتشكل ثلاث نونات من حيث الوظيفة اللغوية التي يؤديها الصامت الطويل كما يظهر في التحليل الصوتي لها "sābiḳuninnahāra"، ففي الوصل اتصلت نون التنوين بالنون المشددة بعدها، فأدى ذلك إلى ثقل مما اضطر إلى التخلص من التنوين نزوعاً إلى الخفة[٢]، وهذا ما أكده أبو جعفر النحاس حيث يقول:" حدثنا محمد بن الوليد وعلي ابن سليمان عن محمد بن يزيد قال سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ :" ولا الليل سابقُ النهارَ" فقلت ما هذا؟ قال: أردتُ "سابقٌ النهارَ" فحذفت التنوين لأنه أخف"[٣].

والحال كذلك في عدم صرف كلمة أشياء في قوله تعالى:" لا تسألوا عن أشياءَ إن تبد لكم تسؤكم"[٤]. فقد فسرها سيبويه والمازني بأن أصلها فَعْلاء، شيئاء فاستثقلت همزتان بينهما ألف، فقلبت الأولى فصارت لفعاء. وقال الكسائي وأبو عبيد: لم تنصرف لأنها اشبهت حمراء، لقول العرب أشياوات مثل حمراوات. وقال الأخفش والفراء والزيادي لم تنصرف لأنها أفعلاء: أشيئاء على وزن أشبعاع"[٥].

---

(١) ابن جني، المحتسب ٢/٨١.

(٢) فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ٣١٨.

(٣) النحاس، إعراب القرآن ٢/٣٩٣.

(٤)سورة المائدة، الآية ١٠١.

(٥)انظر أبا جعفر النحاس، إعراب القرآن ٤/٣٤٥، ٣٤٦.

أما المنظور الصوتي الحديث في تحليل هذه الظاهرة-عدم صرف أشياء- فهو أن جرّ كلمة أشياء وتنوينها في هذا السياق سينشأ عنه تتابع مقطعين متماثلين في حشو السلسلة الكلامية وذلك على النحو التالي: ʼašyāʼinʼin ، والمقطعان هما inʼin' تنوين الكسر في أشياء، وإن الشرطية التي يليها، ولا شك أن تتابع هذين المقطعين في النطق إنْ إنْ ثقيل لذلك خولف بينهما بحذف تنوين أشياء لتفادي تتابع الأمثال[1].

ويمكن لنا أن نفسر الظواهر الصوتية في حذف أحد المثلين عن طريق المخالفة الصوتية(Dissimilation) حيث تنحصر دائرة عمل المخالفة في الأصوات المتماثلة والمتقاربة فقط، وتتم المخالفة بإحدى طريقين: بالزيادة والحذف كما حصل في ظلتُ وأشياءَ.

٢- إجراء فُعِل من المضعف الصحيح إجراء فُعِل من الأجوف، فمثلا يبنى الفعل للمجهول بنفس الصيغة فقالوا: رِدّ، وهِدّ، ظِلّ[2].

وقد أوضح سيبويه هذه الظاهرة وعدّها لغة من لغات العرب حيث يقول:" واعلم أن لغةً للعرب مطردة يجري فيها فُعِل من رَدَدتُ مجرى فُعِلَ من قلت، وذلك قولهم: قد رِدَّ وهِدَّ، ورحُبت بلادُك وظِلّت، لما أسكنوا العين ألقوا حركتها على الفاء، كما فُعِل في جئت وبعت".

إذن أصل ردَّ وهِدَّ وظلَّ قبل الإدغام هو رُدِدَ وهُدِد وظُلِل عند إدغام المثلين نقلت حركة عين الفعل وهي الكسرة إلى فاء الفعل ثم أسكنت عينه ويبدو لي ن هذا الإعلال هو إعلال بالنقل أو التسكين.

٣- إبدال الحرف الثاني من المضعَّف ياءً عند إسناده إلى التاء المتحركة.

وقد أدرج سيبويه هذه المسألة في باب ما شذّ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية

---

(١)د. فوزي الشايب، انظر الإلحاق في اللغة العربية ١٧١، رسالة ماجستير.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٤٢٣.

التضعيف، وليس بمطرد:" وذلك قولك: تسرّيتُ وتظنّيتُ وتقصّيتُ من القصة، وأمليتُ"[1]

وقد علل المبرد ذلك باستثقال التضعيف حيث يقول:" والدليل على أن هذا إنما أبدل لاستثقال التضعيف قولك: دينار وقيراط، والأصل دنّار وقِرّاط، فأبدلت الياء للكسرة، فلما فرقت بين المضاعفين رجع الأصل فقلت: دنانير وقراريط"[2].

وما حدث هنا هو ضرب من ضروب المخالفة الصوتية(Dissimilation) أو ما يسمى بإبدال التباين ويعني:" نزعة صوتين متماثلين أو متقاربين إلى التباعد والتباين حتى يخف نطقهما، ويكثر ذلك في معالجة الكلمات الدخيلة، وفي نطق العامة للكلمات العربية الأصل"[3]، ومن الأمثلة العامية على ذلك مبّرة ومنبرة، وخروب، وخرنوب.

ويمكن لنا أن نعد هذه المخالفة من باب الحذف مع التعويض حيث يحذف المثل الثاني ويعوّض عنه بأشباه الحركات الياء أو الواو أو بأحد الأصوات المتوسطة القوية الإسماع(sonants).

أ- التعويض بالياء: يقول النابغة الذبياني[4]

نواف كالسهام إذا استمرت   فليس يرد مذهبها التظني.

يريد التظنن.

وتسريت والأصل تسررت، فعن الأصمعي أنه قال: تخذ فلان سريّة وقد تسرّى، إنما هو من تسررت من السر وهو الجماع[5].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤٢٤.

(٢) المبرد، المقتضب ٢٤٦/١.

(٣) الطيب البكوش، التصريف العربي ٧٠.

(٤) ديوان النابغة ١٩٧.

(٥) أبو الطيب، الإبدال ١٠٤/٢.

وتفضيت من الفضة والأصل فيه تفضضت[١].

وأمليت الكتاب والأصل أمللت. قال جل ذكره:" فليملل وليه بالعدل"[٢]، وفي آية أخرى:" فهي تملى عليه بكرة وأصيلا"[٣]. والآية الأولى جاءت على لغة أهل الحجاز وبني أسد أما الثانية فهي لغة بني تميم. وذهب النحاس إلىٰ أن ذلك مطرد عند التميميين؛ ليس في هذه الكلمة وحسب، وإنما يطرد ذلك عندهم في كل مثلين إذا اجتمعا في كلمة واحدة. قال:" وكذلك يفعلون-أي بنو تميم- في الحرفين إذا اجتمعا، وكانا مثلين مثل قصيت أظفاري"[٤].

وتفلّيتُ والأصل تفلّلتُ، فعن الأصمعي واللحياني أنه قال:" تفلّلت بالغالية وتفليت بها"[٥].

أما في الأسماء فمثالها قوله تعالى:" وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية"[٦]. والأصل تصدده من صددت. ولبيك أيضاً والأصل لببك من ألب بالمكان إذا أقام فيه.

وبالنسبة للأدوات فقد حذفت الميم المشددة في أمّا وإمّا، وعوض عن الجزء المختزل بالياء. فقيل: أيما في أمّا وإيما في إمّا. وقد نصّ أبو جعفر النحاس على أن هذه هي لغة تميم وبني عامر[٧]. وعلى هذه اللغة يُنشدُ بيت عمر بن أبي ربيعة:

رأتْ رجلاً أيْما إذا الشمسُ عارضت فيُضْحي وأيْما بالعشيّ فيَخْضَر[٨].

وقول سعيد بن فرط الجذمي:

---

(١)ابن جني، الخصائص ٥٤/٢.

(٢)سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

(٣)سورة الفرقان، الآية ٥.

(٤)النحاس، إعراب القرآن ١٤٩/١.

(٥)أبو الطيب، الإبدال ١٤٩/٢.

(٦)ابن قتيبة، أدب الكاتب ٨١.

(٧) النحاس، إعراب القرآن ٣٥/١.

(٨) ديوانه ١٢٤، وفي الديوان أمّا وعليه فلا موضع للشاهد، والنحاس، إعراب القرآن ٣٥/١.

يا ليتما أُمّنا شالتْ نعامتها إيما إلى جنةٍ إيما إلى نارِ[١]

ب- التعويض بالواو: ومثال ذلك قولهم: الحيوان فالأصل فيه كما يرى جمهور اللغويين: حييان فخولف بين الياءين بحذف الثانية وعوض عنها بالواو، قال ابن يعيش:" فلبسوا الأخف إلى الأثقل ليخف اللفظ بزوال التضعيف"[٢].

ج-التعويض بالنون: ومثال ذلك قولهم في لعلّ لعنّ[٣].قال الفرزدق:

ألستم عائجين بنا لعنّا نرى العرجاتِ أو أثر الخيام[٤].

د- التعويض باللام، ومن الأمثلة علوان في عنوان، يقال: هو عنوان الكتاب وعلوان الكتاب، وقد عنونته عنونة وعنوانا وعلونته علونةً وعلوانا[٥].

هـ- التعويض بالميم، ومثالها بنام في بنان يقول العجاج:

يا هال ذات المنطق التِّمتَام وكفك المُخَضَّب البنَام[٦].

ومنها أيضاً حمار مكرّد ومكدّم، للذي فيه آثار من عض الأتن[٧]. ومنه قولهم السجاج والسماج للبن الممزوج بالماء الكثير[٨].

وذهب برجشتراسر إلى أن اختزال الصوامت الطويلة والتعويض عن الجزء المختزل بصامت آخر، يرجع إلى علّة نفسية قوامها أن المتكلم يرجو أن يؤثر في نفس السامع تأثيراً زائداً فلا يكتفي بالضغط على الصوت وتشديده، بل يضيف إليه صوتاً آخر لزيادة ذلك التأثير[٩].

---

(١) أبو الطيب، الإبدال ٢/٤٥٤.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل ١٠/١١٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ديوانه ٦٤٩، وانظر أبا الطيب، الإبدال ٢/٢٩٦.

(٥) أبو الطيب، الإبدال ٢/٣٩٧، وابن السكيت، الإبدال ٧٠.

(٦) ابن يعيش، شرح المفصل ١٠/٣٣ والبيت غير موجود في الديوان.

(٧) أبو الطيب، الإبدال ١/٣٩٠.

(٨) المصدر نفسه ١/٢٥٤.

(٩) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية ٣٤.

ويذهب فوزي الشايب إلى أن السبب الحقيقي لذلك يعود إلى الاقتصاد في الجهد وحسب، وذلك بالتخلص من التوتر والاحتقان اللذين يسببها نطق الصوامت الطويلة بسبب طول فترة انحباس الصوت وبقاء أعضاء النطق في مكانها فترة أطول نسبياً(١).

من خلال المقارنات في بعض الكلمات بين اللغة العربية واللغات السامية يتبين أن أصل الكلمات هي التضعيف في اللغات السامية ثم حُذف أحد الحرفين وعوض عنه بحرف مخالف ومن الأمثلة على ذلك:

أ- <u>تعويض النون عن الكاف:</u> في كلمة عنكبوت فأصلها كما يظهر من المقارنة هي عكّبوت ففي العبرية عكّبيش akkabīš < ، فلما دخلت العربية حذفت كافها الأولى وعوض عنها بالنون(٢).

ومثل العنكبوت السنبلة فأصلها السبّلة ففي العبرية sibbōlet اختزلت الباء الأولى وعوض عنها بالنون(٣).

٤- تضعيف اللام في غير ما عينه ولامه من موضع واحد فإذا ضاعفت اللام وأردت بناء الأربعة لم تسكن الأولى فتدغم وتكون الزيادة للإلحاق.

والعلة في امتناع الإدغام تكمن في خروج اللفظ الملحق به عن الهدف. فمعنى أن نزيد أو نلحق حرفاً بلفظ ليكون مساوقاً للفظ آخر إلحاقاً به، أننا لا بد أن نحافظ على الصيغة التي ألحقنا بها حفاظا على الهدف الأصلي(٤). يقول سيبويه:" وإذا ضاعفت اللام، وكان فعلاً ملحقا ببنات الأربعة لم تدغم؛ لأنك إنما أردت أن تضاعف لتلحقه بما زدت بدحرج"(٥). ومن الأمثلة على ذلك:

أ- مَرْدَد ألحقت بـ(جعفر وسلهب).

---

(١) فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ٢٧٣.

(٢) Mosoati. An introduction to the comp. Gr 84. وانظر المرجع السابق ٢٧٣.

(٣) o`leary: comp. Gr 83. وانظر فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ٢٧٣.

(٤)د. أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي ١٢٨.

(٥) سيبويه، الكتاب ٤/٤٢٥.

ب- مُعْدد وسُرْدُد ألحقتا بـ(جُعشُم).

ج- رِمْدِد ألحقت بـ(زهلق).

د- قُعْدَدَ ألحقت بـ(جُنْدب).

هـ-عَفَنْجَج ألحقت بـ(جحنفل)

و- اقْجنبسس ألحقت بـ(اصرنجم)

ز- سَبَهْلَل وقَفَعْدد ألحقتا بـ(همرْجل) [١].

٥- قياس المضاعف الذي عينه ولامه من موضع واحد ولم يجئ في الكـلام إلا نظيره من غيره. ومن الأمثلة على ذلك:

أ- رُدَد قياساً على فُعل.

ب- رَدَدان قياساً على فَعلان.

ج- رُددان قياساً على فُعلان.

د- رَدَّان قياساً على فَعُلان أو فَعِلان

هـ-رَدَدُود قياساً على فَعلون.

ز- ارْدَدَدْتُ قياساً على افْعللْتُ.

ح- ارْدَاددْتُ قياسا على افْعاللْتُ.

ط- رَدَوْدَد قياساً على عثوثل.

ي- ارْدَوْدَدْتُ قياسا على افْعوْعلْتُ.

ك- ارْدَنْدد قياساً على اقْعنسس.

ل- رُدُّد قياساً على دُخُلل.

م- رَدَدَّدَّ قياساً على صمحمح [٢].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٢٤-٤٢٦.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٢٧-٤٣٠.

إدغام الحروف المتقاربة في المخرج

وهذا هو النوع الثاني من الإدغام، ولا بدّ فيه أن يماثل أحد المتقاربين الآخر حتى يتم الإدغام، وعلى الأكثر يتم تقريب الأول من الثاني ويدغم فيه، يقول سيبويه:" الإدغام إنما يدخل فيه الأول في الآخر، والآخر على حاله، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر من موضع واحد، نحو: قد تركتك، ويكون الآخر على حاله"[1].

وفيه يقول ابن جني:" أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه"[2].

ومثّل لذلك بكلمة ودّ في اللهجة التميمية. وأصلها وَتد سكنت التاء كما سكنت اللام في نحو علم، ثم قلبت دالا وأدغمت في الدال الثانية، وسأقسم هذا الإدغام إلى المباحث التالية:

<u>**أولاً: امتناع الإدغام:**</u> إذْ بدأ سيبويه من حروف الحلق إذْ إنها أبعد الحروف عن الإدغام فكلما زاد بعد الحرفين عن الفم زاد امتناعهما عن الإدغام، وفيما يلي تلك المواضع الممتنعة الإدغام كما ذكرها سيبويه:

١- **الهمزة لا تدغم في مقاربها،** ولا يدغم مقاربها فيها، وفسر ذلك سيبويه بقوله:" لأنها إنما أمرها في الاستثقال التغيير والحذف، وذلك لازم لها وحدها كما يلزمها التحقيق، لأنها تستثقل وحدها، فإذا جاءت مع مثلها أو مع ما قربُ منها أجريت عليها وحدها، لأن ذلك موضع استثقال"[3].

إذن الهمزة لا يُتَخلّص من ثقلها بإدغامها وإنما بتغييرها إبدالاً أو تخفيفاً أو حذفاً. وقد بين ابن عصفور السبب وفي هذا يقول:" أما الألف والهمزة فلا يدغمان

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٠٤.

(٢) ابن جني، الخصائص ٢/١٤٠.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٤٦.

في شيء، ولا يدغم فيهما شيء. والسبب في ذلك أن إدغام المتقاربين محمول على إدغام المثلين، فلما امتنع فيهما إدغام المثلين- كما ذكرنا في فصل إدغام المثلين- امتنع فيهما إدغام المتقاربين"(١).

فما يحصل في إدغام المتقاربين يحمل على إدغام المثلين، فما دام أنه امتنع في المثلين فإن الهمزة تمتنع في إدغامها مع مقاربها.

٢- **الألف لا تدغم في الهاء ولا فيما تقاربه**، وفسر ذلك سيبويه بقوله:" لأن الألف لا تدغم في الألف، لأنهما لو فُعِل ذلك بهما فأجريتا مجرى الدالين والتاءين تغيّرتا فكانتا غير ألفين، فلما لم يكن ذلك في الألفين لم يكن فيهما مع المتقاربة، فهي نحوٌ من الهمزة في هذا"(٢).

وما دام أنه لا يجوز إدغام الألف مع الألف في المثلين إذْ إن الألف حركة طويلة فلو أدغمت لأصبحت حركة مُغرقة في الطول لذلك امتنع-الإدغام فيهما- فمن باب أولى أن لا تدغم فيما يقاربها لأن إدغام المتقاربين محمولٌ على إدغام المثلين.

٣- **لا تدغم الياء والواو اللتان قبلهما فتحة مع شيء من المتقاربة**: وعلل سيبويه ذلك بقوله:" لأن فيهما لينا ومداً، فلم تقو عليهما الجيم والباء؛ ولا ما لا يكون فيه مدٌّ ولا لين من الحروف، أن تجعلهما مدغمتين، لأنهما يُخرجان ما فيه لين ومد إلى ما ليس فيه مدٌّ ولا لين"(٣).

فعلةُ امتناع الإدغام ناجمةٌ عن أن حروف اللين والمد(الواو والياء) سيتحولان إلى أشباه الصوامت أي يخرجان من كونهما حرفاً مدّيّاً؛ لأن الإدغام يعني تسكين الأول وهو حرف المد وإذ سُكّن حرف المد اقترب من الحرف الصحيح في قصر مده الصوتي.

---

(١)المتع في التصريف ٦٧٩/٢.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤٤٦/٤.

(٣)المصدر نفسه.

وأوضح ابن عصفور علة المنع بقوله:" ولم يجز إدغامها في الياء وإن كانت من مخرجها، لأن الياء حرف علة، وحروف العلة بائنة من جميع الحروف، بأنها لا يُمدُّ صوتٌ إلا بها، ولأن الحركات بعضها ولذلك كانت منفردة بأحكام لا توجد لغيرها"(١).

ومثال ذلك قولهم: رأيت قاضي جابر، ورأيتُ ولد مالك، ورأيتُ غلامي جابر.

وقد علل سيبويه علة المنع حيث قال:" ولا تُدغم في هذه الياء الجيم وإن كانت لا تحرك. لأنك تُدخل اللين في غير ما يكون فيه اللين وذلك قولك: أخرج ياسراً، فلا تدخل ما لا يكون فيه اللين على ما يكون فيه اللين كما لم تفعل ذلك بالألف"(٢).

وبسبب زوال صفة مهمة لحرف اللين وهي مديته فإنه تعذر إدغامه حتى لا تذهب هذه الصفة.

٤- لا تُدغم الواو وما قبلها ضمة والياء وما كان قبلها كسرة، وعلل سيبويه هذا بشبهها حينئذٍ من الألف حيث يقول:" وإذا كانت الواو قبلها ضمة والياء قبلها كسرة فهو أبعد للإدغام، لأنهما حينئذ أشبه بالألف"(٣).

ولكن ما وجه الشبه بينهما وبين الألف؟ أجد أنهما تشبهان الألف من زاويتين؛ فالزاوية الأولى هو أن ما قبلها حركة من جنسها أو الحركة بعض منها، حيث إن الألف مسبوقة بالفتحة والواو مسبوقة بالضمة، والياء بالكسرة. والألف صوت هاوٍ اتسع لهواء الصوت مخرجه مما جعلهُ يطول كثيراً وكذا الأمر في الواو والياء الشبيهتين به. والزاوية الأخرى في مدّية هذين الحرفين، حيث إن الواو المسبوقة بالضمة والياء المسبوقة الكسرة هما أكثر طولاً ومداً من تلك الواو المسبوقة بحركة من غير جنسها أو الياء المسبوقة بحركة من غير جنسها. ومما يُعرف من وجهة النظر الصوتية الحديثة أن الواو والياء يمكن أن تأتيا صائتتين أو شبيهتين بالصائت

---

(١) ابن عصفور، الممتع في التصريف ٦٨٦/٢.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤٤٧/٤.

(٣) المصدر نفسه.

أو صامتتين؛ لذلك فهذان الصوتان أشبها الألف في طولهما المدي وبالتالي عدم القدرة البتة في إدغامهما لأنهما سيفقدان صفتهما المديّة، ويخرجان عن وظيفتهما الصوتية والتي وُضعا لها. وما دام أن الواو المسبوقة بالفتحة والياء المسبوقة بالفتحة أيضاً لا يجوز فيهما الإدغام رغم أنهما نصفا صائت وليستا بصائتتين، لذا كان حريٌ أن لا يدغم الحرفان الصائتان المغرقان في المد. ولو أننا حاولنا الإدغام فإنه سيتشكل بما يعرف من الوجهة الصوتية الحديثة بالمزدوج الحركي المرفوض في البنية المقطعية الصوتية. ومثال ذلك: ظلموا مالكاً، واظلمي جابراً[1].

فلو أدغمنا الواو في الميم والياء في الجيم وهو أصل الإدغام فهو مُدْبر متصل كلي أي تأثير الثاني في الأول وقلبه إلى مثله لحصلنا على ميم مدغمة مسبوقة أيضا بميم ظلم وهذا مستثقل ولذهبت الواو التي تحمل صفة المدّ وهي صفة تتميز بها الصوائت عن غيرها. ولو اعتبرنا التأثير مقبلاً أي قلب الميم في "مالكاً" واواً وإدغامها في الواو الأصلية فإن الواو المدغمة ستسكن وبالتالي يتتابع المزدوج الحركي حركة الضم المسبوقة بالواو الساكنة حيث تصبح العبارة: ظلموًّا لكا (ظلمُوْوا لكاً) حيث تشكل المزدوج الواو المسبوقة بالضمة. والأمر كذلك بالنسبة للياء.

٥- **لا تُدغم الميم في الباء:**" وذلك قولك: أكرمْ به، لأنهم يقلبون النون ميماً في قولهم: العَنْبَر، ومَن بدا لك"[2].

فالعلة عند سيبويه في أنه إذا ولي النون باءٌ فإن النون تُقلب ميماً، وما دام أن مجاورة النون للباء يبدلها ميماً فمن باب أولى أن تبقى الميم إذا جاورت الباء. وأضاف سيبويه في علة المنع:" فلما وقع مع الباء الحرف الذي يفرون إليه من النون لم يغيّروه، وجعلوه بمنزلة النون. إذْ كانا حرفي غُنّة"[3]. فالعرب تفرُّ من تجاور

(١)سيبويه، الكتاب ٤٤٧/٤.

(٢)المصدر نفسه ٤٤٧/٤.

(٣)المصدر نفسه ٤٤٧/٤.

النون والباء إلى الميم فكيف يعودون إلى ما فرّوا منه؟! والحال ذاته عند ابن عصفور في تفسير هذه الظاهرة الصوتية حيث يقول:" فإذا كانوا يفرون من النون الساكنة إلى الميم قبل الباء فالأحرى أنْ يُقرُّوها إذا وجدوها"(١).

٦- **لا تدغم الفاء في الباء**، وعلل سيبويه ذلك بقوله:" والفاء لا تدغم في الباء لأنها من باطن الشفة السُفلى وأطراف الثنايا العُلى وانحدرت إلى الفم، وقد قاربت من الثنايا مُخرج الثاء، وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف، فلما صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين، كما أن الثاء لا تدغم فيه، وذلك قولك:" اعرفْ بدراً"(٢). أما ابن عصفور فإن امتناع الإدغام كون الفاء فيه تفشي فلو أدغمت في الباء لذهبت هذه الصفة الانتشارية بينما إذا أدغمنا الباء في الفاء جاز لأنه ليس في ذلك إخلال بهذه الصفة يقول ابن عصفور عن الفاء:" ولا تدغم في مقاربها لأن فيها تفشياً، فلو أدغمتها لذهب ذلك التفشي. ويدغم فيها ما يقاربها الباء، فتقول:" اذهب فيّ ذلك" لأنه ليس في ذلك إخلالٌ بالباء، بل تقوية بقلبها حرفا متفشياً"(٣).

٧- **لا تُدغم الراء في اللام ولا في النون**، وعلل سيبويه ذلك بأن الراء فيها صفة تخصها وهي صفة التكرار فإذا أدغمت ذهبت هذه الصفة، وفي ذلك يقول:" والراء لا تدغم في اللام ولا في النون، لأنها مكررة، وهي تفشّى إذا كان معها غيرها، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشّى في الفم مثلها ولا يُكرر... وذلك قولك: اجبُرْ لَبطَةَ، واخترْ نفلا"(٤).

٨- **لا تدغم الشين في الجيم**، وعلة ذلك أن الشين فيها صفة مميزة لها وهي التفشي، وإذا أدغمتْ تنحت هذه الصفة عنها. ويقول سيبويه:" والشين لا تُدغم في

(١) ابن عصفور، الممتع ٢/٧١٠.
(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٤٤٨.
(٣) ابن عصفور، الممتع ٢/٧٠٩.
(٤) سيبويه، الكتاب ٤/٤٤٨.

الجيم، لأن الشين استطال مَخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء، فصـــارت منزلتها منها نحواً من منزلة الفاء مع الباء، فاجتمع هذا فيها والتفشي، فكرهـــوا أن يدغموها في الجيم كما كرهوا أن يدغموا الراء فيما ذكرت لك وذلك قولك: افـــرشْ جَبَلة"[١].

٩- لا تدغم النون مع حروف الحلق: ويعود السبب إلى التباعد الكبـــير فـــي المخارج، يقول سيبويه:" وذلك أن هذه الستة تباعدت عن مُخرج النون وليست مـــن قبيلها"[٢]، " وهو قولك: من أجل زيدٍ، ومن هنا ومن حلْفٍ، ومن حاتم، ومن عليـــك، ومَن غلبك، ومُنْخُلٍ، بيّنة، هذا الأجود الأكثر"[٣].

١٠- لا تدغم الميم في النون، ويعود السبب في أن الميم لم تدغم في الحروف التي هي من مُخرجها فكيف تُدغم فيما ليست من مخرجه وليس فيـــه منـــها ســـوى الغنّة؟ يقول سيبويه:" لأنها لا تُدغم في الباء التي هي من مخرجها ومثلها في الشـــدة ولزوم الشفتين، فكذلك لم يدغموها فيما تفاوت مخرجه عنها ولـــم يوافقـــها إلا فـــي الغنّة"[٤].

---

(١)سيبويه، الكتاب ٤/٤٤٩.

(٢)المصدر نفسه ٤/٤٤٩.

(٣) المصدر نفسه ٤/٤٥٤.

(٤)الكتاب ٤/٤٥٦.

ثانيـاً: جـواز الإدغـام

ويتراوح هذا الجواز بين أفضلية للإدغام إلى تساوٍ في الأفضلية إلى أفضليـة الإظهار ومن هذه المواضع الجائزة:

١- إدغام الباء في الفاء: يقول سيبويه:" والباء قد تدغم في الفـاء للتقـارب ولأنها قد ضارعت الفاء فقويت على ذلك لكثرة الإدغام في حـروف الفـم، وذلـك قولك: اذهب فّي ذلك؛ فقلبت الباء فاء كما قلبت الباء ميماً في قولك: اصحمّطرا"(١).

وبما أن هذه الحروف هي حروف الفم فالغالب معها الإدغام، ويجـوز إدغـام الباء في الفاء وليس العكس لأن الفاء فيها تفشٍ ليس للباء شبيه له. وهي صفة مميزة لهذا الحرف فإذا دخل في غيره من الحروف ذهبت عنه هذه الصفـة، يقـول ابـن عصفور:" ويدغم معها مما يقاربها الباء، فتقول: (اذهب فّي ذلك)، لأنه ليس في ذلك إخلال بالفاء بل تقوية بقلبها حرفا متفشياً"(٢).

ويفسر المحدثون هذه الظاهرة الصوتية بالمماثلة الكلية المدبرة المتصلة، وهـي الأكثر في معظم لغات العالم، فقد ذكر بلومفيلد أن المماثلة المدبرة هي الأكثر شيوعا فيَ عالم اللغات(٣). وذكر فندريس هذه المماثلة فقال:" والصوت المشبه يسـبق فـي أغلب الأحيان الصوت المشبه به، أي أن هناك في الواقـع حالـة تعجـل، فـالعقل باشتغاله ينطق صوتاً ما في داخل مجموعة صوتية يجعله يصدره قبل أوانه. وينتـج مرتين متتابعتين الحركات الصوتية التي يقتضيها هذا الصوت"(٤).

ويمكن أن نطبق هذا القانون الصوتي على جملة(اذهب فّي ذلـك) فقـد أثـر الصوت الثاني(الفاء) في الصوت الأول(الباء) فالمماثلة (التأثر) مدبرٌ، ولـم يكـن هناك فاصل بين الصوتين فهي متصلة وانقلبت الفاء إلى ذاتها الفاء وليس إلى بعض

---

(١)سيبويه، الكتاب ٤٤٨/٤.

(٢) ابن عصفور، الممتع في التصريف ٧٠٩.

Bloomfield, language, p 372.(٣)

(٤) فندريس، اللغة ٩٣.

صفاتها فالمماثلة كلية وهي أكثر أنواع المماثلة شيوعاً حيث إن الإدغام هو إدخال الأول في الثاني في غالبه.

٢- إدغام اللام والنون في الراء، يقول سيبويه:" وقد تدغم هذه اللام والنون مع الراء، لأنك لا تُخلُّ بهما كما كنت مُخلا بها لو أدغمتها فيهما، ولتقاربُهنّ. وذلك:هرَّ أيتَ، ومرَّأيتَ"(١). وعد ابن عصفور الراء أقرب الحروف إلى اللام حيث يقول:" فإدغامها في الراء نحو(هل رأيتَ) أحسن من إدغامها في سائرها، لأنها أقرب الحروف إليها، وأشبهها بها، حتى إن بعض من يصعب عليه إخراج الراء يجعلها لاماً"(٢).

وقد نص علماء القراءات على وجوب إدغام لام(هلْ) و(بل) في الراء إذا اتصلت بها بسبب قرب المخرج(٣). ومن ثم فقد قرأ بعض القرّاء:" بل رّان على قلوبهم"(٤) قال الزمخشري:" وقُرئ بإدغام اللام في الراء، وبالإظهار، والإدغام أجود"(٥). والذين لا يدغمون اضطروا للوقف على اللام كما قرأ نافع وحمزة وحفص(٦)، ولو وصلوا بين الصوتين لوجب مماثلة اللام للراء.

فهناك اختلاف في حكم هذا الإدغام بين القرّاء وسيبويه حيث عد سيبويه هذا الإدغام جائزاً "وقد تدغم" في حين عدهُ القرّاء واجباً حاشا الوقف على اللام.

ويصنف هذا الإدغام من وجهة حديثة بالمماثلة الكلية المدبرة المتصلة حيث أثرت الراء في اللام فقلبتها راء ثم أدغمت في الراء المؤثِّرة دون وجود حائل صوتي بينهما.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤٤٨/٤.

(٢) ابن عصفور، الممتع ٦٩٣/٢.

(٣) أبو شامة، إبراز المعاني ١٩٣.

(٤) سورة المطففين، الآية ١٤.

(٥) الزمخشري، الكشاف ٢٣٢/٤.

(٦) انظر أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ٤٤١/٨.

٣- **إدغام الجيم في الشين:** " وقد تدغم الجيم في الشين كما أدغمت ما ذكرت لك في الراء، وذلك: أخر شّبثا"[١]. يريد: أخرجْ شبثا.

وما حدث في تأثير الشين والتي تحمل صفة التفشي في الجيم المقاربة لها في المخرج أدت إلى قلب الجيم شينا ثم إدغام الشين المحوّلة في الشين الأصلية دون وجود فاصل بينهما يمكن تمثيل ذلك في المعادلة التالية:

أخرج شبثا ←—— أخرشْ شَبثا ←—— أخر شّبثا

وما دام أن الثاني أثر في الأول وقلبه إلى نفسه دون وجود حائل بينهما فالمماثلة مدبرة كلية متصلة.

٤- **إدغام الهاء في الحاء:** " كقولك: أجبه حملا، البيان أحسن لاختلاف المخرجين، ولأن حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها. والإدغام فيها عربي حسن لقرب المخرجين، لأنهما مهموسان رخوان، فقد اجتمع فيهما قرب المخرجين والهمس"[٢] .

جوّز سيبويه الإدغام والإظهار، وأجاز الإدغام لعلتين صوتيتين: الأولى تقاربهما في المخرج حيث إن كليهما حلقيّان، والثانية تشابه الصفة فكلاهما مهموسان. أما علّة المنع لمن أراد الإظهار فهي اختلاف المخرجين-أي أنهما ليسا من الموضع ذاته- فالهاء أبعد مخرجا من الحاء قياساً للفم والعلة الأخرى في أن حروف الحلق ليست بأصل في الإدغام حيث إن الإدغام يقوى كلما صعدنا باتجاه الفم، فأضعفها إدغاماً الحلقية وأقواها حروف الفم. ويؤكد ذلك سيبويه حينما يقول:" ولا تدغم الحاء في الهاء كما لا تدغم الفاء في الباء لأن ما كان أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام"[٣].

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٤٩.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٤٩.

(٣) المصدر نفسه ٤/٤٤٩.

وقد فاضل سيبويه بين الإدغام والإظهار مفضلا الإظهار فعلتا الإظهار أقوى من وجهة نظره من علتي الإدغام.

ويمكن تمثيل هذه الظاهرة الصوتية في حالة الإدغام بالمعادلة التالية:

أجبهْ حملاً ←—— اجبحْ حملا ←— اجبحّملا

فقد أثر الصوت الثاني وقلبه إليه ثم أدغما فهذا التأثر من قبيل المماثلة المدبرة الكلية المتصلة.

٥- **إدغام العين مع الهاء:**" كقولك: اقطعْ هلالاً، البيان أحسن، فإن أدغمت لقرب المخرجين حولت الهاء حاء والعين حاء ثم أدغمت الحاء في الحاء، لأن الأقرب إلى الفم لا يُدغم في الذي قبله فأبدلت مكانها أشبه الحرفين بها ثم أدغمته فيه كي لا يكون الإدغام في الذي فوقه ولكن ليكون في الذي هو من مخرجه"[١].

أي أننا إذا أردنا أن ندغم اقطعْ هلالاً فإننا نبدل الهاء حاءً ثم تؤثر هذه الحاء في العين وتقلبها إلى مثلها لتصبح اقطحّلالا.

وعلل سيبويه ذلك في أن العين أقرب إلى الفم من الهاء؛ لذلك لا يجوز أن تدغم في الحروف التي هي أبعد منها عن الفم لذلك أبدلت الهاء حاءً ثم أثرت في العين لتبدله إلى مثيلها وأدغمتها. فالعين والحاء من المخرج نفسه وليسا كحال العين والهاء، حيث إن العين فوق الهاء بالنسبة للفم.

ولكن السؤال: لماذا لم تحوّل الهاء عينا ثم تدغم لتصبح اقطعّلالاً؟ بمعنى آخر لماذا لم تكن المماثلة مقبلة؟

والجواب كما أورده سيبويه في أن التقاء الحائين أخف من التقاء العينين في الإدغام حيث إن الحاء مهموسة والعين مجهورة والمهموس أخف والإدغام يتطلب الخفة. يقول سيبويه:" ولم تكن حروف الحلق أصلا للإدغام. ومع هذا فإن التقاء الحائين أخفّ في الكلام من التقاء العينيين. ألا ترى أن التقاءهما في باب رَدَدتُ

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٤٩.

أكثر. والمهموس أخف من المجهور. فكل هذا يباعد العين من الإدغام، إذْ كانت هي والهاء في حروف الحلق. ومثل ذلك: اجبه عنبة في الإدغام والبيان، وإذا أردت الإدغام حولت العين حاء ثم أدغمت الهاء فيها فصارتا حاءين. والبيان أحسن"[1].

ويشير سيبويه إلى أنّ وجود هذا الإدغام بهذه الطريقة أنّ التميميين يفعلونه فهم يقولون: مَحُّم، يريدون: معهم، ومحاؤلاء، يريدون مع هؤلاء[2].

ومما قالت العرب في إدغام الهاء في الحاء:

كأنّها بعد كلال الزّاجرِ   ومسحي مرُّ عُقابٍ كاسرِ[3].

والشاهد في هذا البيت هو إخفاء الهاء في(ومسحه)، وسيبويه يسميه إدغاماً وهو يعني الإخفاء؛ لأن الإخفاء عنده ضرب من الإدغام وإلا فإن الإدغام لا يجوز في البيت لئلا ينكر البيت[4].

ويمكن أن نمثل هذا التأثير بما يلي:

اقطعْ هِلالاً ←—— اقطح حلالاً ←—— اقطحْ حلالاً ←—— اقطحّلالاً

وهذه المماثلة غير معهودة فلم تبدل العين هاء أو العكس وإنما قلبت العين حاء ثم تمت المماثلة الكلية المقبلة المتصلة.

٦- **إدغام الحاء في العين**: لم تدغم الحاء في العين مباشرة وذلك لأن الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع العين، وهي مثلها في الهمس والرخاوة مع قرب المخرجين.

ولكن يجوز إدغامها بطريقة معكوسة-مماثلة مقبلة- وذلك بقلب العين حاء ثم إدغامهما مثل: امدحَّرفة، يقول سيبويه:" ولم تدغم الحاء في العين في قولك: امدح عَرفة؛ لأن الحاء قد يفرون إليها إذا وقعت الهاء مع العين، وهي مثلها في الهمس

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٠.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٥٠.

(٣) انظر سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٠، ابن جني، الخصائص ٢/٦٢، ابن سيده، المخصص ٨/١٣٩، واللسان(كسر) ٤٥٦.

(٤) انظر سيبويه، الكتاب(الحاشية) ٤/٤٥٠.

والرخاوة مع قرب المخرجين، فأجريت مجرى الميم مع الباء، فجعلتها بمنزلة الهاء، كما جعلت الميم بمنزلة النون مع الباء. ولم تقوَ العين على الحاء إذا كانت هذه قصّتها، وهما من المخرج الثاني من الحلق، وليست حروف الحلق بأصلٍ للإدغام. ولكنك لو قلبت العين حاء فقلت في : امدحْ عرفة: امدحَّرفة، جاز كما قلت: اجبحّنبهْ تريد: اجْبَهْ عِنَبَهُ، حيث أدغمتَ وحوّلت العين حاءً ثم أدغمتَ الهاء فيها"[1].

وكما ذكر سيبويه فإن الحاء لا يجوز أن تدغم في العين، أي لا يصح أن نقول امدعَّرفة في امدحْ عرفة، لأن الحاء يجب أن تظهر فالعرب يحولون ما ليس حاء إلى حاء في إدغام العين في الهاء، فكيف إذا كانت الحاء أصلاً موجودة مع العين فإنه حريٌ بهم أن يبقوها فيقلبون الثاني إلى حاء ثم يدغمون.

والذي حصل في امدح عرفة يمكن أن نمثله بالمعادلة التالية:

امدح عَرفة ←—— امدح حرفة ←—— امدحّرفة

أي أثر الصوت الأول(ح) في الثاني(ع) فقلبه إلى مثيله ثم أدغما. وهذا من قبيل المماثلة المقبلة الكلية المتصلة وهي الأقل وجوداً في الإدغام الذي هو إدخال الأول في الثاني.

٧- **إدغام الغين في الخاء**: هذان الحرفان الحلقيان هما أقرب الحروف إلى الفم، فكلما اقتربت الحروف من الفم كان الإدغام أحسن، وعلى الرغم من أنهما يختلفان في الهمس والجهر حيث إن الغين مجهورة في حين أن الخاء مهموسة، والغين رخوة وكذلك الخاء ويشتركان في المخرج عينه وهما أقرب إلى الفم لذلك جاز إدغامهما. يقول سيبويه:" الغين مع الخاء، البيان أحسن والإدغام حسَنٌ، وذلك قولك: ادْمَخّلَفا، كما فعلت ذلك في العين مع الحاء والخاء مع الغين البيان فيهما أحسن لأن الغين مجهورة وهما من حروف الحلق، وقد خالفت الخاء في الهمس والرخاوة، فشبّهت بالحاء مع العين، وقد جاز الإدغام فيها لأنها من المخرج الثالث،

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥١.

وهو أدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان... وذلك قولك في اسلخْ غَنمك: اسلغَّنمك. ويدلك على حسن البيان عزّتها في باب رَدَدْتُ"[١].

وفي هذا النص يقول سيبويه إنّ الغين خالفت الخاء في الهمس والرخاوة، ولكني أجد أنها خالفتها في الهمس وماثلتها في الرخاوة فكلاهما رخوتان، حيث إنه في معرض حديثه عن صفات الحروف عدّ كلاً من الغين والخاء رخوتين. وقد بين ابن عصفور أن الأول من صوتي الغين والخاء هو الذي يُدغم في الثاني على الرغم من أن الخاء أقرب إلى الفم، والحرف الأقرب إلى الفم هو الأحق يقول ابن عصفور:" وإذا أدغمت قلبت الأول إلى الثاني، كائناً ما كان، نحو (اسلخ غّنمك) و(ادمغْ خَلَفا) وإنما جاز قلب الخاء غيناً، وإن كانت أخرج إلى الفم منها، لأنّ الغين والخاء لقرب مخرجهما من الفم أجريا مجرى حروف الفم، وحروف الفم يجوز فيها قلب الأخرج إلى الأدخل"[٢]. ومما يؤكد أن هذين الحرفين يجريان مجرى حروف الفم قوله أيضاً:" ومما يبين أنهما يجريان مجرى حروف الفم أن العرب قد تُخفي معهما النون، كما تفعل بها مع حروف الفم"[٣].

وعلى قانون المماثلة الصوتية فإن هذا التأثر هو رجعي كلي متصل حيث أثر الصوت الثاني الخاء في الأول الغين فقلبه إلى مثيله ثم أدغما ويمكن أن نمثل ذلك في المعادلة التالية:

ادمغْ خَلَفاً ←—— ادمخْ خَلَفاً ←—— ادمخَّلفاً

٨- **القاف مع الكاف والعكس**(كقولك: الحقْ كَلَدة، الإدغام حسن والبيان حسن. وإنما أدغمت لقرب المخرجين، وأنهما من حروف اللسان وهما متفقان في الشدة"[٤].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥١.

(٢) ابن عصفور، الممتع ٢/٦٨٣.

(٣) المصدر نفسه ٢/٦٨٣.

(٤) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٢.

فهذان الحرفان متفقان صفة ومخرجاً فهما كالمثلين ويبدو أن الإدغام والإظهار متساويان في الحسن إذْ إنهما يمثلان منتصف المسافة بين الحلق والفم لذلك جاز الوجهان دون مفاضلة. وذكر ابن عصفور هذا الإدغام حيث يقول:" فأولها مما يلي حروف الحلق-كما تقدم- القاف والكاف. وكل واحد منهما يدغم في صاحبه فتقول: (الحق كَّلدة) و(انهكِ قّطنا)، ترفع اللسان بهما رفعة واحدة. والبيان والإدغام في (الحق كّلدة) حسن، والبيان في(انهكْ قّطنا) أحسن من الإدغام، لقرب القاف والكاف من حروف الحلق. وحروف الحلق- كما تقدم- لا يجوز إدغام الأخرج منها في الأدخل. فلذلك ضعف إدغام الكاف، التي هي الأخرج، في القاف التي هي الأدخل"(١).

فالإدغام في(انهك قّطنا) أقل حسنا من الإظهار حيث إن القاف أقرب إلى الحلق من الكاف لذلك فالوجه أن يفنى الأقرب إلى الحلق في الأبعد عن الحلق لذلك كان الإظهار أحسن.

ويمكن تمثيل هذا الإدغام بالمعادلة التالية:

الحقْ كَلدة ←—— الحكْ كَلدة ←—— الحكَّلدة

فقد أثر الصوت الثاني(الكاف) في الأول(القاف) فقلبه إلى مثله ثم أدغما لتصبح الجملة الحكّلدة.

وعلل سيبويه في إن إدغام الكاف في القاف أقل حسناً من إدغام القاف في الكاف بقوله:" انهكْ قطنا، البيان أحسن والإدغام حسن، وإنما كان البيان أحسن لأن مخرجهما أقرب مخارج اللسان إلى الحلق. فشبهت بالخاء مع الغين كما شبّه أقرب مخارج الحلق إلى اللسان بحروف اللسان فيما ذكرنا من البيان والإدغام"(٢).

---

(١) ابن عصفور، الممتع ٢/٦٨٥.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٢.

وفسر د.فوزي الشايب في أن الصوت الثاني هو الذي يؤثر في الأول أنّ الصوت الثاني يقع في بداية مقطع، فالقاف أثرت على الكاف وقلبتها مثلها. والقاف والكاف كلتاهما مهموسة، فالتفاوت بينهما يرجع إلى موقع كل منهما في المقطع(١).

٩- **الجيم مع الشين:**" كقولك: ابعجْ شَبَثا، الإدغام والبيان حسنان لأنهما من مخرج واحد، وهما من حروف وسط اللسان"(٢).

إذن هما سواء في الإدغام والإظهار، حيث إنهما من مخرج واحد وهما من حروف وسط اللسان.

والحال ذاته في هذا الإدغام فقد فني صوت الجيم في الشين أي أثر الصوت الثاني(الشين) في الأول(الجيم) حيث قلبه إلى مثله ثم أدغما. ولكن لماذا لم يحدث العكس؟

أرى أنه لسببين أولهما أن الشين أقرب إلى الفم من الجيم لذلك فالأولى أن لا تفنى، وثانيهما أن الأصل في الإدغام هو إدخال الأول في الثاني، وتفسر من وجهة حديثة في أن الصوت الثاني هو بداية مقطع لذلك حريّ به أن لا يفنى.

١٠- **اللام مع الراء:**" نحو اشغل رّحبه لقرب المخرجين ولأن فيهما انحرافاً نحو اللام قليلاً، وقاربَتْها في طرف اللسان، وهما في الشدّة وجري الصوت سواء. وليس بين مخرجيهما مخرج. والإدغام أحسن"(٣).

فالأولى الإدغام وذلك لأسباب: قرب المخرجين والتشابه في الانحراف وتشابههما في الشدة مع جري الصوت وهما صوتان مائعان ولا يوجد فاصل بينهما.

---

(١) فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ٢٢١.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤٥٢/٤.

(٣) المصدر نفسه ٤٥٢/٤.

وإدغام اللام في الراء هو الأقوى من بين إدغامها مع غيرها ويعود ذلك للأسباب المذكورة والشبه الكبير بينهما. كقولك هرَّأيت؛ لأنها أقرب الحروف إلى اللام وأشبهها بها[١].

ونص علماء القراءات على وجوب الإدغام للام مع الراء في مثل قوله تعالى:" بل رّفعه الله إليه"[٢]، قال العكبري:" الجيد إدغام اللام في الراء لأن مخرجها واحد"[٣]، وكقوله تعالى:" قل رّبٍّ أعلم"[٤].

وتدغم اللام(التي هي لغير التعريف) في الحروف التالية ولكن بدرجات أقل جودة منها مع الراء، وهذه الحروف هي:

أ- مع الطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين بدرجة أقل منها في الراء، يقول سيبويه:" وليس ككثرتها مع الراء، لأنهن قد تراخين عنها، وهنّ من الثنايا وليس فيهن انحراف"[٥].

ب- مع الظاء والثاء والذال جائزة بدرجة أقل ما سبق، ومثال إدغامها في الثاء قراءة أبي عمرو[٦]:" هثُّوبَ الكفار"[٧]، يريد: هل ثوب.

ج- مع الضاد والشين وهذا هو الأضعف، والسبب أن الضاد مخرجها من أول حافة اللسان والشين من وسطه. ولكنه يجوز إدغام اللام فيهما لاتصال مخرجهما. ومن أمثلة إدغامها مع الشين قول طريف بن تميم العنبري[٨]:

تقول إذا استهلكتُ مالاً للذةٍ   فُكيْهةُ هشَّيءٌ بكفيْك لائق

يريد هلْ شيء.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٧.

(٢)سورة النساء، الآية ١٥٨.

(٣) العكبري، إملاء ما من به الرحمن ٢٠١/١.

(٤)سورة الكهف، الآية ٢٢.

(٥) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٧.

(٦)تفسير أبي حيان ٨:٤٤٣ وانظر سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٩.

(٧)سورة المطففين، الآية ٣٦.

(٨)انظر سيبويه، الكتاب ٤٥٨، ابن يعيش،المفصل ١٤١/١٠، وابن عصفور، المقرب ٧٣، واللسان(ليق ٢١٠).

د- إدغامها مع النون:" وذلك قولك: هنَّرى، فتدغم في النون والبيان أحسن، لأنه قد امتنع أن يدغم في النون ما أدغمت فيه سوى اللام. فكأنهم يستوحشون من الإدغام فيها"(١).

وعلل سيبويه قبح إدغام اللام في النون بقوله:" لأنها تُدغم في اللام كما تدغم في الياء والواو والراء والميم؛ فلم يجسروا على أن يخرجوها من هذه الحروف التي شاركتها في إدغام النون وصارت كأحدها في ذلك"(٢).

فالإدغام يحصل بين الأصوات إذا تماثلت أو تقاربت في الصفات والمخرج، ويمتنع إذا تباعدت مخارج الأصوات.

ومن خلال ما سبق أرى أن موجبات الإدغام في الحروف المتقاربة في المخرج تتلخصُ في:

١- إدغام النون مع كل من الراء واللام والميم والواو لتقاربها في المخرج.

٢- إدغام لام التعريف مع الحروف النون، والراء، والدال، والتاء، والصاد، والطاء، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والضاد، والشين ويعود سبب الإدغام إلى تقارب المخارج مع كثرة الاستعمال.

أما موانع الإدغام فأجملها بالآتي:

١- الحروف التي تحمل صفات إضافية تميزها عن غيرها مثل التفشي أو التكرار، أو اللين، لا تدغم في مقاربها حتى لا تزول هذه الصفة وهي الغاية من هذا الصوت.

٢- الألف مع الهاء؛ لأن الهاء تشبه الألف والألف لا تدغم مع الألف.

٣- تباعد الحرفين في المخرج مثل النون مع حروف الحلق.

٤- الهمزة لا تدغم في مقاربها ولا يدغم فيها؛ لأن تخفيف الهمزة ليس بإدغامها.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٦.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٥٩.

ثالثــــاً: وجـــوب الإدغــــام

ويجب الإدغام في المواضع الآتية:

أ- النون مع:

١- الراء:" النون تدغم مع الراء، لقرب المخرجين على طرف اللسان، وهـي مثلها في الشدة، وذلك قولك: مِن رَّاشد ومنْ رأيت، وتدغم بغنة وبلا غنة"(١)، ومثـال ذلك قوله تعالى:" أن رّآه استغنى"(٢).

٢- اللام:" وتدغم في اللام لأنها قريبة منها على طرف اللسان، وذلك قولـــك: مَن لَّك، فإن شئت كان إدغاماً بلا غُنّة فتكون بمنزلة حروف اللسْـــان، وإن شـئت أدغمت بغُنّةٍ لأن لها صوتاً من الخياشيم فتُركَ على حاله؛ لأن الصوت الذي بعـــده ليس له في الخياشيم نصيبٌ فيغلبَ عليه الاتفاق"(٣).

ومما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:" إلاّ تنصـــروه فقـد نصـره الله"(٤)، فأصلها إن+لا. وفي المثل العربي:" إلاّ خطية فلا أليّة"(٥) أي: إنْ+لا، ومنـــه أيضـاً قوله تعالى:" ما منعك ألاّ تسجد"(٦)، أي: أن+لا.

٣-الميم:" لأن صوتهما واحد، وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتى إنك تسمع النون كالميم، والميم كالنون، حتى تتبين، فصارتا بمنزلـــة اللام والراء في القرب، وإن كان المخرجان متباعدين، إلا أنهما اشتبها لخروجـــهما

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٢.

(٢)سورة العلق، الآية ٧.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٢.

(٤)سورة التوبة، الآية ٤٠.

(٥)الميداني، مجمع الأمثال ١/٢٠.

(٦)سورة النمل، الآية ٢٥.

جميعاً في الخياشيم"[1]، إذن فهذان الحرفان يختلفان في مخرجهما إلا أنهما متشابهان في الغنة لدرجة يصعب معها التفريق.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:" عمّا قليل ليصبحن نادمين"[2].

وقوله تعالى:" يأكل مما تأكلون منه، ويشرب مما تشربون"[3].

وقوله تعالى:" ممّا خلقنا أنعاماً وأناسيّ كثيراً"[4]. أي: منْ+ما. ومثله قول الشاعر العبّاس بن مرداس[5]:

أبا خراشة أمّا أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

أي: أن+ما.

وقد تسمع النون كالميم، ويقعان في القوافي المكفأة فلا يكون ذلك عيباً نحو قول الشاعر[6]:

ماتَنْقِمُ الحرب العوان منّي بازلُ عامينِ حديثُ سنّي

لمثل هذا ولدتني أمّي

٤- الواو:" وتدغم النون مع الواو بغنّة وبلا غنّة لأنها من مخرج ما أُدغمت فيه النون، وإنما منعها أن تقلب مع الواو ميماً أن الواو حرف لين تتجافى عنه الشفتان"[7].

ويمكن تفسير نص سيبويه في عدم قلب الواو ميماً- كما الحال مع النون والباء- لأن الواو حرف لين لا تنطبق الشفتان معه كحال الباء.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٢-٤٥٣.

(٢) سورة المؤمنين، الآية ٤٠.

(٣) سورة المؤمنين، الآية ٣٤.

(٤) سورة الفرقان، الآية ٤٩.

(٥) سيبويه، الكتاب ١/٢٩٣.

(٦) ابن عصفور، الممتع ٢/٦٩٦،وانظر ابن عبد ربه، العقد الفريد ٦/٣١٠، المبرد، الكامل ٨١٠، المبرد، المقتضب ١/٣٥٣، وهذا لأبي جهل وينسب إلى الإمام علي.

(٧) سيبويه، الكتاب ٤/٤٥٣.

وفسر ابن عصفور مقاربة النون للواو والياء حيث يقول:" فلأن النـــون غنّـــة تشبه اللين في الياء والواو، لأنّ الغنة فضلُ صوت في الحرف كما أنّ اللين كذلـــك، وهي من حروف الزيادة كما أن الياء والواو كذلك"[١]. إذن هناك سببان لإدغام النون في هذين الحرفين وهما: التشابه في أن الغنة فضلُ الصوت واللين كذلك. والتشـــابه في أنها جميعاً من حروف الزيادة.

وعلة الغنة في إدغام النون مع الحروف الراء واللام والياء والواو. ليـــس لأن مخرجها من الخياشيم، ولكن صوت الفم أُشرب غنّة، ولو كان مخرجها من الخياشيم لما جاز أن تدغمها في هذه الأحرف الأربعة حتى تصير مثلهن في كل شيء"[٢].

ب- لام التعريف مع الحروف الثلاثة عشر وهي: النون، والـــراء، والـــدال، والتاء، والصاد، والطاء، والزاي، والسين، والظـــاء، والثـــاء، والـــذال، والضـــاد، والشين[٣].

وعلل سيبويه هذا الإدغام بكثرة الاستعمال حيث يقول:" فلما اجتمع فيها هـــذا وكثرتها في الكلام لم يجزْ إلا الإدغام"[٤].

وهذه الأحرف التي تدغم في اللام أحد عشر من طرف اللسان، واثنان خالطاها وهما الضاد والشين؛ لأن الضاد استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخـــرج الـــلام. والشين كذلك حتى اتصلت بمخرج الطاء.

وتعرف هذه اللام بالشمسية ولا تأتي إلا ساكنة. ويعلل مكي بن أبـــي طـــالب مماثلة اللام لهذه الأصوات:" وعلى إدغام لام التعريف في هذه الحروف أن مخرجها من مخارج هذه الحروف في الفم، فلما سكنت ولزمها الســكون، أشـــبهت اجتمـــاع المثلين والأول ساكن، وكثر الاستعمال لها، مع أن أكثر هذه الحروف أقـــوى مـــن

---

(١) ابن عصفور، الممتع ٦٩٦/٢.

(٢) انظر سيبويه، الكتاب ٤٥٤/٤.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤٥٧/٤.

(٤) المصدر نفسه ٤٥٧/٤.

اللام، ليس فيها ما ينقص عن قوة اللام إلا التاء، فكان في إدغامها فيهنّ قـوة لـها، فأدغمت فيها لذلك"[1].

فمماثلة لام التعريف لهذه الأصوات يرجع كما قال مكي إلى تقارب المخـارج، فكأن تتابع اللام وهذه الأصوات من تتابع الأمثال وهو مكروه وقد مُوثلت اللام لما بعدها، لكون اللام هي الأضعف في مثل هذه الحالة.

في حين يرى فوزي الشايب أن سكون اللام يعنى أنها في نهاية مقطع مغلـق، والأصوات التالية لها تمثل بداية مقطع قصير[2]. ولذلك كانت هي الأقـوى فـأثرت على اللام فجعلتها مثلها والتاء كذلك بحسب موقعها.

(١) مكي ابن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ١/١٤١.

(٢) فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ٢٢١.

رابعاً: الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا

إنّ الغالب في هذه الحروف الإدغام، ولم أجد إلا مواضع قليلة جداً يتعذر معها الإدغام ومن هذه المواضع إدغام الصاد والسين والزاي في غيرهن، وعلل سيبويه ذلك بقوله:" لأنهن حروف الصفير،وهنّ أندى في السمع"(١). فبسبب صفة الارتفاع في السمع والتي لو أدغمت في غيرهنّ لتنحت هذه الصفة عن هذه الحروف وذهبت الغاية الصوتية من ورائهن. وهناك موضع آخر يمتنع فيه الإدغام وهو إدغام الضاد في الصاد والسين والزاي وذلك بسبب استطالتها، مثلها مثل الشين(٢).

وبسبب أن الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا متحقق في غالبه وليس هناك من تعذر فقد أفرد سيبويه له باباً خاصاً تحت العنوان المذكور، وارتأيت أن أبحثهُ من وجهة حديثة ضمن قانوني الأصوات: المماثلة الكلية المقبلة المتصلة، والمماثلة الكلية المدبرة المتصلة(وهي الأصل في الإدغام):

أ- المماثلة الكلية المدبرة المتصلة:

١- " **الطاء مع الدال** كقولك: اضبدّلما، لأنهما من موضع واحد، وهي مثلها في الشدة، إلا أنك قد تدع الإطباق على حاله فلا تُذهبه لأن الدال ليس فيها إطباق"(٣).

وقد وجدوا في هذا الإدغام إجحافاً في حق الطاء في الإطباق من حيث إن الإطباق صفة مميزة لهذه الحروف تجعلها أفشى في السمع، وإدغامها في الدال يُذهب إطباقها، يقول سيبويه:" ورأوا إجحافاً أن تغلب الدال على الإطباق وليست

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٤.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٦٦.

(٣)المصدر نفسه ٤/٤٦٠.

كالطاء في السمع... وبعض العرب يذهب الإطباق حتى يجعلها كالدال سواء"[1]. أي أن هذا الإدغام هو لغة من لغات العرب وليس متأصلاً في جميع لغات العرب.

ومما يسوّغ هذا الإدغام-على الرغم من اختلاف الصوتين في صفة الإطباق- اشتراكهما في صفة الشدة، إذ إن إذهاب الإطباق مع الدال أحسن من إذهابه مع التاء لأنها مهموسة، يقول ابن عصفور:" فإذهاب الإطباق من الطاء مع الدال، لأنهما قد اجتمعا في الشدة، أحسن من إذهابه مع التاء لأنها مهموسة[2].

ويمكن أن نمثل التغير الصوتي الذي طرأ بالمعادلة التالية:

اضبطْ دلما ←—— اضبدْ دلَما ←—— اضبدَّلما

أي أن الصوت الثاني(الدال) أثر في الأول(الطاء). فأبدله مثله ثم أدغما لنحصل على اضبدَّلما فالمماثلة هنا مماثلة كلية مدبرة متصلة.

٢- الطاء مع التاء:" إلا أنّ إذهاب الإطباق مع الدال أمثلُ قليلاً، لأن الدال كالطاء في الجهر والتاء مهموسة. وكلٌ عربي: وذلك: انْقَتَّوأمًا، تُدغِم"[3]. يريد: انقط توْأما. ويمكن أن نمثل هذا التأثر الصوتي بالمعادلة التالية:

انقطْ تَوْأما←—— انقت توأما ←—— انقتّوأما.

فقد أثر الصوت الثاني(التاء) في الأول(الطاء)، وأبدله مثيله (تاء) ثم أدغما لنحصل على انتقتّوأما.

٣- الدال مع الطاء: حيث تقلب الدال طاء ثم تدغم بالطاء الثانية:" وذلك: انقَّطالباً"[4] يريد: انقد طالباً.

ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة التالية:

انقدْ طالباً ←—— انقط طالباً ←—— انقطّالباً

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤٦٠/٤.

(٢) ابن عصفور، الممتع ٧٠٦/٢.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤٦٠/٤.

(٤) المصدر نفسه ٤٦٠/٤.

٤- **التاء مع الطاء**، حيث تقلب التاء طاءً ثم تدغم الطاء الأولى في الثانية، ومثال ذلك قولك: انعطّالباً، تريد: انعت طالباً[١].

وقد تأثرت التاء بالطاء بعدها فأطبقت، وذلك كإطباقها في قوله تعالى:" فآمنت طّائفةٌ من بني إسرائيل وكفرت طّائفة"[٢]، فالتاء في"آمنت" و"كفرت" تطبق تحت تأثير الطاء بعدها وتدغم فيها فتصبح طاءً مشددة ومثلها التاء في"همّت" من قوله تعالى:" إذ همّت طائفتان"[٣].

وقد تأثرت التاء بالطاء في احتطب بعد تسكينها وتحوّلت الصيغة إلى

احتْطَب ←— حِطّب، قال الشاعر[٤]:

لا حِطّب القوم ولا القوم سقى

ويمكن تمثيل المعادلة الصوتية التالية" انعطّالباً":

انعت طالباً ←—— انعط طالباً ←—— انعطّالباً

٥- **التاء مع الدال**، والدال مع التاء، يقول سيبويه:" والتاء والدال سواء، كل واحدة منهما تدغم في صاحبتها حتى تصير الدال تاءً، لأنهما من موضع واحد، وهما شديدتان ليس بينهما شيء إلا الجهر والهمس، وذلك قولك: انْعَدُّ لاما، وانْعَتّلك فتُدغم"[٥].

إذن هذان الصوتان متشابهان إلى حدّ كبير ولا يختلفان إلا في الجهر والهمس، أما المخرج فذاته، إضافة إلى أنهما شديدان. وتتأثر الدال في وجدتُ بالتاء فتصبح تاء ثم تدغم في مثل:

وَجَدْتُ ←—— وَجتُّ، أُردْتُ ←—— أُرتُّ

(١)سيبويه، الكتاب ٤٦٠/٤.

(٢)سورة الصف، الآية ١٤.

(٣)سورة آل عمران، الآية ١٢٢.

(٤) ابن جني، الخصائص ٣٣٧/٢.

(٥) سيبويه، الكتاب ٤٦١/٤.

عبدتُ ←── عبتُّ. ومثال ذلك قوله تعالى:" ولا أنا عابد ما عبدتم"[١]، تنطق عبتُّم. وقوله تعالى:" لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار"[٢]، وقوله تعالى:" وقد تعلمون أني رسول الله إليكم"[٣]، حيث تنطقان لقتّاب و قتّعلمون.

ويمكن تعليل هذا الإدغام في أن الصوت الذي يكون في بداية المقطع هو الأقوى في الظهور وله القدرة على التأثير[٤].

ويمكن تمثيل انعدُّلاماً، وانقتّلك بالمعادلتين التاليتين:

انعتْ دُلاماً ←──── انعدْ دُلاماً ←──── انعدُّلاما.

انقد تلك ←── انقتْ تلك ←── انقتّلك.

٦- **الصاد مع الزاي والسين**، يقول سيبويه:" وقصة الصاد مع الزاي والسين كقصة الطاء والدال والتاء. وهي من السين كالطاء من الدال، لأنها مهموسة مثلها، وليس يفرق بينها إلا الإطباق، وهي من الزاي كالطاء من التاء، لأن الزاي غير مهموسة، وذلك قولك: افْحسّالماً فتصير سيناً وتدع الإطباق على حاله. وإن شئت أذهبته. وتقول: افحزّردة. وإن شئت أذهبت الإطباق وإذهابه مع السين أمثل قليلاً، لأنها مهموسة مثلها. وكله عربي"[٥].

وربما يقصد سيبويه بقوله:" فتصير سيناً وتدع الإطباق على حاله بأن تتصعد هذه السين إلى الحنك الأعلى لتقترب من لفظ الصاد أي أن تكون بين الصاد والسين من حيث الإطباق والأمر كذلك بالنسبة للزاي إلا أن إذهاب الإطباق بالنسبة للسين أفضل لأنها تشترك مع الصاد في صفة الهمس بينما تختلف الزاي عن الصاد في أن الزاي مجهورة والصاد مهموسة. ويمكن تمثيل هذا التأثر بالمعادلة التالية:

---

(١)سورة الكافرون، الآية ٤.

(٢)سورة التوبة، الآية ١١٧.

(٣)سورة الصف، الآية ٥.

(٤) د.فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربي ٢١٥.

(٥)الكتاب ٤/٤٦١.

افحصْ سالماً ←— افحس سالماً ←— افحسَّالماً

افحص زرده ←— افحززرده ←— افحزَّرده

٧- **الزاي والسين مع الصاد** حيث تقلب الزاي والسين إلى صاد ثم تدغم، وذلك قولك: احبصّابراً، وأوجصّابراً. تريد: احبس صابراً، وأوجز صابراً[١]. ويمكن التمثيل بالمعادلتين التاليتين:

احبس صابر ←— احبص صابراً ←— احبصّابراً

اوجز صابراً ←— اوجصْ صابراً ←— أوجصّابراً

٨- **السين مع الزاي والزاي مع السين**، يقوله سيبويه:" والزاي والسين بمنزلة التاء والدال، تقول: احْبِزَّرْده، ورُسَّلَمه فتدغم"[٢].

هذان الصوتان من المخرج ذاته وكلاهما رخو إلا أن الزاي مجهور والسين مهموس لذلك كان الإدغام. ويمكن أنْ نمثل ذلك بالمعادلتين:

احبسْ زرده ←— احبززرده ←— احبزّرده

رزْ سلمة ←— رُسْ سلمة ←— رُسَّلمة

٩- **الظاء مع الذال**:" وذلك قولك: احفذًّ لك فتدغم، وتدع الإطباق"[٣]، تريد: احفظ ذلك.

والظاء والذال من المخرج ذاته إلا أنهما يختلفان في صفة الإطباق. يمكن أن نمثل ذلك في المعادلة التالية:

احفظ ذلك ←— احفذ ذلك ←—احفذّلك

١٠- **الظاء مع الثاء**:" ونقول: احفَثّابتاً. وإنْ شئت أذهبت الإطباق"[٤]، تريد: احفظ ثابتاً.

---

(١) انظر سيبويه، الكتاب ٤٦٢/٤.

(٢) المصدر نفسه ٤٦٢/٤.

(٣) المصدر نفسه ٤٦٢/٤.

(٤) المصدر نفسه ٤٦٢/٤.

وتتفق الظاء مع الثاء في المخرج وتختلف عنه في صفتي الإطباق والجهر فالظاء مطبقة مجهورة ونقيضها الثاء. والإدغام فيهما إما بإظهار صفة الإطباق أو بإزالة هذه الصفة. ويمكن تمثيل هذا التأثر بالمعادلة التالية:

احفظ ثابتاً ←——— احفث ثابتاً ←——— احفثّابتاً

١١- **الذال والثاء مع الظاء**، وذلك قولك خُظَّالماً وابعظَّالماً[١]، تريد: خذ ظالماً وابعث ظالماً.

وهذه الحروف من المخرج عينه وتختلف الذال مع الظاء في صفة الإطباق بينما الثاء فتختلف مع الظاء في صفتي الإطباق والجهر. ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة التالية:

خذ ظالماً/ابعث ظالماً ←——— خظ ظالماً/ابعظ ظالماً ←——— خظّالماً/ابعظّالماً

١٢- **الذال مع الثاء، والثاء مع الذال**:" وذلك قولك: خثّابتاً وابعذّلك. والبيان فيهن أمثل منه في الصاد والسين والزاي لأن رخاوتهن أشد من رخاوتهن... والإدغام فيهنّ أكثر وأجود؛ لأن أصل الإدغام لحروف اللسان والفم"[٢]، تريد: خذ ثابتاً وابعث ذلك.

ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة التالية:

خذ ثابتاً/ابعث ذلك ←——— خثْ ثابتاً/ابعذْ ذلك ←——— خثّابتاً/ابعذّلك

والذال والثاء من المخرج ذاته إلا أنهما يختلفان في صفة الجهر فالذال مجهور والثاء مهموس.

١٣- **الطاء والدال والتاء مع الصاد والزاي والسين**:" وذلك لقرب المخرجين لأنهن من الثنايا وطرف اللسان... وذلك قولك: ذهبَسَّلمى وقَسَّمِعَتْ فتدغم. اضبزَّردة

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٢.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٦٢.

فتدغم وانعصّابراً فتدغم"[1]، تريد: ذهبتْ سلمى، وقدْ سمعت، واضبطْ زردةَ، وانعت صابراً.

ومن قبيل هذا الإدغام بيت ابن مُقْبل:

فكأنما اغْتَبَقَصَّبيرَ غمامةٍ   بِعراً تُصفِّقُهُ الرياحُ زُلالا[2]

وقرأ بعضهم:" لا يسَّمَّعون"[3]، يريد: لا يستمعون.

يحدث هذا الإدغام لقرب المخرجين حيث إن هذه الأصوات من طرف اللسان وأصول الثنايا. ويمكن أن نمثل هذه التفاعلات الصوتية فيما يلي:

ذهبتْ سلمى ←ـــ ذهبسْ سلمى ←ـــ ذهبسَّلمى

قدْ سمعتْ ←ـــ قسْ سَمعت ←ـــ قسَّمعتْ

اضبط زردة ←ـــ اضبزْزردة ←ـــ اضبزَّردة

انعتْ صابراً ←ـــ انعصْ صابراً ←ـــ انعصّابراً

١٤- الثاء والظاء والذال مع السين والصاد والزاي:" وذلك قولك: ابعسَّلمة، واحِفسَّلمة، وخُصّابراً واحفزَّردة"[4]. يريد: ابعث سلمة، واحفظ سلمة، وخذ صابراً، واحفظ زردة. ويمكن أن أمثل ذلك بالمعادلات التالية:

ابعثْ سلمة ←ـــ ابعسْ سلمة ←ـــ ابعسَّلمة

احفظ سلمة ←ـــ احفس سلمة ←ـــ احفسَّلمة

خذ صابراً ←ـــ خصْ صابراً ←ـــ خُصّابراً

احفظ زردة ←ـــ احفزْزردة ←ـــ احفزّردةَ.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٢-٤٦٣.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٣، ديوانه ٢٦٠، اللسان(قرح ٣٩٣، صفق ٧١، عرى ٢٧٣.

(٣) سورة الصافات، الآية ٨، والقراءة لحمزة والكسائي وحفص وخلف تفسير أبي حيان ٧/٣٥٣، وانظر الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر ٣٦٨.

(٤) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٤.

١٥- الذال مع الزاي والسين:" وسمعناهم يقولون مُزَّمان، فيدغمون الذال في الزاي. ومُسَّاعة، فيدغمونها في السين. والبيان فيها أمثلُ لأنها أبعد من الصاد وأختيها، وهي رخوة فهو فيهن أمثلُ منه في الطاء وأختيها"[1]، يريد: مُذْ زمان، ومُذْ ساعة.

وعدم الإدغام أجود والسبب في ذلك أن الذال أبعد مخرجاً من السين والزاي، يمكن تمثيل هذا التفاعل الصوتي في المعادلتين:

مُذْ زمان ←—— مُزْزمان ←—— مُزّمان

مُذْ ساعة ←—— مُسْ ساعة ←—— مُسّاعة

١٦- الظاء والثاء والذال مع الطاء والدال والتاء، ومثال ذلك اهبّطالما، وأبْعِذَّلك، وانْعَثَّابتاً، واحفطَّالباً، وخُذَّاود، وابعتَّلك. وقد علل سيبويه هذا الإدغام في أنّ هذه الأحرف من حيّز واحد حيث يقول:" والطاء والثاء والذال أخوات الطاء والدال والتاء لا يمتنع بعضُهنّ من بعض في الإدغام، لأنهنّ من حيّز واحد"[2].

ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلات التالية:

إهبط ظالماً ←—— اهبظْ ظالماً ←—— اهبظّالماً

أبعدْ ذلك ←—— أبعذْ ذلك ←—— أبعذّلك

انعتْ ثابتاً ←—— انعثْ ثابتاً ←—— انعثّابتاً

احفظ طالباً ←—— احفط طالباً ←—— احفطّالباً

خذْ داود ←—— خُدْ داود ←—— خُدّاود

ابعث ذلك ←—— ابعذ ذلك ←—— ابعذّلك

١٧- الطاء والتاء والدال مع الضاد، وفسّر سيبويه هذا الإدغام حيث يقول:" لأنها اتصلت بمخرج اللام وتطأطأت عن اللام حتى خالطت أصول ما اللام فوقه

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٤.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٦٤.

من الأسنان، ولم تقع من الثنية موضع الطاء لانحرافها، لأنك تضع للطاء لسانك بين الثنيتين، وهي مع ذا مطبقة، فلما قاربت الطاء فيما ذكرتُ لك أدغموها فيها كما أدغموها في الصاد وأختيها، فلما صارت بتلك المنزلة أدغموا فيها التاء والدال كما أدغموها في الصاد لأنها من موضعها، وذلك قولك: اضبضّرمة، وانعضّرمة"[١]، تريد: اضبط ضرمةً، وانعت ضرمةَ.

وأدغمت التاء أيضاً في الضاد في قول الشاعر: ثار فضَجَّضَّجة ركائبه[٢]، يريد: ضجتْ ضجةً.

ويمكن تمثيل هذا الانسجام الصوتي بالمعادلتين التاليتين:

اضبط ضرمة ← اضبضْ ضرمة ← اضبضّرمةَ

انعت ضرمة ← انعضْ ضرمة ← انعضّرمة

١٨- **الطاء والذال والثاء مع الضاد ومع الشين**، وفسّر سيبويه الإدغام مع الضاد بقوله:" لأنهن من حروف طرف اللسان والثنايا يُدغمن في الطاء وأخواتها، ويدغمن أيضاً جميعاً في الصاد والسين والزاي، وهن من حيّز واحد، وهن بعدُ في الإطباق والرّخاوة كالضاد فصارت بمنزلة حروف الثنايا، وذلك: احفضّرمة، وخضّرمة، وابعضّرمة"[٣]، ومع الشين حيث يقول:" لأنهم قد أنزلوها منزلة الضاد، وذلك قولك: احفشّنباء، وابعشّنباء، وخشّنباء، والبيان عربي جيد. وهو أجود منه في الضاد لبعد المخرجين، وأنه ليس فيها إطباق ولا ما ذكرت لك في الضاد"[٤].

أي أن الإدغام جائز كما أن الإظهار جائز ويعود حسن الإظهار إلى مردين صوتيين: أولهما بعد المخرجين بين الشين وتلك الأصوات وثانيهما ليس في الشين إطباق حتى تستأثر بالصوت وتبدل ما قبلها كمثلها.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٥.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٥، ابن عصفور، المقرب ٧٣، ابن عصفور، الممتع ٢/٧٠٥.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٥.

(٤) المصدر نفسه ٤/٤٦٦.

١٩- الطاء والدال والثاء مع الشين، يقول سيبويه:" لأنهم قد أنزلوها منزلة الصاد حين اتصلت بمخرجها، وذلك قولك: اضبَشَّبثاً، وانعشَّبثا، وانقشَّبثا"[١]، تريد: اضبط شبثاً، وانعت شبثا، وانقد شبثا.

فالسبب في إدغام هذه الأحرف مع الشين هو تفشي الشين لدرجة أنها اتصلت بمخرج الضاد وبالتالي ما انطبق على الضاد مع هذه الأحرف في الإدغام ينطبق على الشين.

٢٠- الظاء مع الطاء:" وكذلك الظاء لأنهما إذا كانا منفصلين، يعني الظاء وبعدها التاء، جاز البيان، ويترك الإطباق على حاله إن أُدغمت، فلما صارا في حرف واحد ازدادا ثقلاً، إذ كانا يستثقلان منفصلين، فألزموها ما ألزموا الصاد والتاء... وذلك قولهم: مظطعن، ومظطلم، وإن شئت قلت مُطَّعِن ومُطَّلم"[٢]. ومنه قول زهير بن أبي سلمى:

هذا الجواد الذي يعطيك نائلهُ عفواً ويُظْلم أحياناً فَيطَّلمْ[٣].

٢١-الذال مع الدال:" وكذلك تُبدل الذال من مكان التاء أشبه الحروف بها، لأنهما إذا كانتا في حرف واحد لزمَ أنْ لا يُبيّنا إذْ كانا يُدغمان منفصلين، فكرهوا هذا الإجحاف، وليكون الإدغام في حروف مثله في الجهر، وذلك قولك مُدّكر"[٤]، فهذان الصوتان مجهوران ومن المخرج ذاته إلا أنهما يختلفان في الشدة والرخاوة.

ومن أمثلة ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى:" فهل من مدّكر"[٥].

وعلل سيبويه امتناع مُذْ دكر بقوله:" أن كل واحد منهما يدغم في صاحبه في الانفصال، فلم يجز في الحرف الواحد إلا الإدغام"[٦]. أي أن الذال والدال إذا كانتا في كلمتين منفصلتين كان الإدغام، فمن باب أولى أن تدغما إذا كانتا في كلمة واحدة وهذا الإدغام واجب.

(١)سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٦.

(٢)المصدر نفسه ٤/٤٦٨.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٨، وديوانه ١٥٢وفي الديوان فيظلم، وبناءً عليه فلا وجود للشاهد، ابن يعيش، شرح المفصل ٤٧/١٠، والاستراباذي، شرح شواهد الشافية ٤٨٣، و الأزهري، التصريح ٣٩١/٢.

(٤) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٩.

(٥)سورة القمر، الآية ١٥.

(٦) سيبويه، الكتاب ٤/٤٧٠.

٢٢- الضاد مع الطاء:" وقال بعضهم: مُطّجع حيث كانت مطبقة، ولم تكن في السمع كالضاد، وقُربت منها وصارت في كلمة واحدة"[١].

ومن هذا القبيل قراءة ابن محيصن:" ثم اطُّروه"[٢]، من قوله تعالى:" ثم اضطره إلى عذاب النار"[٣]. وقرأ أيضاً" فمن اطُّر"[٤]، من قوله تعالى:" فمن اضطُر في مخمصة"[٥]. ومنه قول الراجز:

لما رأى أن لا دعة ولا شبع   مال إلى أرطاة حقف فاطّجع

ويروى: فالطجع، وفاضطجع[٦].

٢٣- التاء مع الطاء والذال والسين، ومثال ذلك قولهم: يطّوعون في يتطوعون، ويذّكرون في يتذكّرون، يسّمعّون في يتسمعون. والإدغام في هذا أقوى. إذ كان يكون في الانفصال. والبيان فيهما عربي حسن لأنهما متحركان[٧]. وتصديق ذلك قوله تعالى:" يّطيروا بموسى"[٨]، وقوله تعالى:" يذّكّرون"[٩].

أما إذا كانت التاء في بداية الكلمة وأرادوا الإدغام مع الطاء والذال فإنه حينها لا بُدّ من الاتيان بهمزة الوصل لأنه لا يبتدأ بالساكن، وذلك قولك: اطّوع من تطوع، واذّكر من تذكر[١٠]. ومثال ذلك قوله-عز وجل-:" فادّارأتم فيها"[١١]. يريد: فتدارأتم " وازّينتْ"[١٢]، يريد: تزينت.

---

(١)المصدر نفسه ٤٧٠/٤.

(٢)ابن جني، المحتسب ١٠٦/١.

(٣)سورة البقرة، الآية ١٢٦.

(٤)النحاس، إعراب القرآن ٣١٢/١.

(٥)سورة المائدة، الآية ٣.

(٦) ابن جني، المحتسب ١٠٧/١.

(٧) سيبويه، الكتاب ٤٧٤/٤-٤٧٥.

(٨)سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٩)سورة البقرة، الآية ١٢١.

(١٠) سيبويه، الكتاب ٤٧٥/٤.

(١١)سورة البقرة، الآية ٧٢.

(١٢) سورة يونس، الآية ٢٤.

ب- المماثلة الكلية المقبلة المتصلة

١- **الثاء مع التاء**، يقول سيبويه:" وإذا كانت هذه الحروف المتقاربة في حرف واحدٍ ولم يكن الحرفان منفصلين ازدادا ثقلاً واعتلالاً، كما كان المثلان إذْ لم يكونا منفصلين أثقلَ، لأن الحرف لا يفارقهُ ما يستثقلون، فمن ذلك قولهم في مُثْتَرد: مُثَّرد لأنهما متقاربان مهموسان. والبيان حسن. وبعضهم يقول مُتَّرد؛ وهي عربية جيدة.

والقياس مُتَّرد؛ لأن أصل الإدغام أن يدغم الأول في الآخر"(١).

في هذا الموضع الصوتي ثلاثة وجوه:

١- الإظهار: مُثْتَرد.

٢- تأثير الأول في الثاني: مُثَّرد.

٣- تأثير الثاني في الأول: مُتَّرد، وهو الأصل.

ومن قبيل التأثير المدبر- وهو الأصل- قوله تعالى:" قال كم لبثت"(٢)، فقال الفراء في هذه الآية:" وقد جرى الكلام بالإدغام للثاء، لقيت التاء وهي مجزومة"(٣).

وفي غير فعلت قرأ كل من حمزة والكسائي وأبي عمرو، وهشام:" اورتُّموها"(٤)، من قوله تعالى:" ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها"(٥). ومثال قول الشاعر:

بدا بأبي ثم اتّنى ببني أبي وثلّث بالأدْنَيْنَ ثَقْفُ المخالب.

قال ابن جني بصددها:" هذا هو المشهور في الاستعمال وهو أيضاً القوي في القياس"(٦).

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤٦٧/٤.

(٢)سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

(٣)الفراء، معاني القرآن ١٧٢/١.

(٤)أبو شامة، إبراز المعاني ١٩٧.

(٥)سورة الأعراف، الآية ٤٣.

(٦)ابن جني، سر صناعة الإعراب ١٩٠/١.

والغالب في هذا الإدغام هو تأثير الثاني في الأول وتؤكده معظم الشواهد اللغوية. وأما في قولنا مُثّرد فإن الصوت الأول أثر في الصوت الثاني كما في المعادلة التالية:

اثترد ← اثثرد ← اثّرد

٢- **الصاد مع الطاء:**" وأراد بعضهم الإدغام حيث اجتمعت الصاد والطاء، فلما امتنعت الصاد أن تدخل في الطاء قلبوا الطاء صاداً فقالوا: مُصّبر"[١]. وقرأ بعضهم:" فلا جناح عليهما أن يَصّلِحا بينهما صلحاً"[٢]. ولكن السؤال لماذا لم يتم إدخال الصاد في الطاء على الأصل؟ الإجابة في أن الصاد يملك خاصية مميزة له وهي الصفير في حين أن الطاء لا يمتلكها فإذا أدخلت في الطاء، تنحت هذه الصفة عن الصاد وبالتالي يذهب هذا التميّز لهذا الصوت.

وقال الفراء:" سمعت بعض بني عقيل يقول: عليك بأبوال الظباء فاصّعطها فإنها شفاء للطحل"[٣]، وهذه أصلها: اصطعطها. فالطاء في هذه الأمثلة ونحوها قُلبت صاداً وذلك بسبب قوة الصاد الناشئة عن الصفير.

ويمكن تمثيل التغير في الأداء الصوتي كالآتي:

مُصنطبر ← مُصنصبر ← مُصّبر

٣- **الزاي مع الدال:**" والزاي تبدل لها مكان التاء دالاً، وذلك قولهم: مُزدان في مُزتان، لأنه ليس شيء أشبه بالزاي من موضعها من الدال، وهي مجهورة مثلها، وليست مطبقة كما أنها ليست مطبقة. ومن قال مُصّبر قال مُزّان"[٤].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٧.

(٢) سورة النساء، الآية ٢٨، وقراءة الإدغام هذه قراءة عاصم الجحدري كما في القراءات الشاذة لابن خالويه ٢٩، ابن جني، المحتسب ١/٢٠١.

(٣) الفراء، معاني القرآن ١/٢١٦.

(٤) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٧-٤٦٨.

في هذه الكلمة حدث عدة تغيرات تتمثل في الإبدال تارة والإدغام تارة أخرى ويمكن تمثيل الأداء الصوتي كالآتي:

مُزْتان ←——— مُزْدان ←—— مُزْزَان ←——— مُزّان

فالزاي صوت مجهور والتاء مهموس فأبدلت التاء إلى أقرب الأصوات مع الزاي مع توفر صفة الجهر وهو الدال ثم أثر الزاي في الدال فقلب الدال زايا ثم أدغما. ولكن لماذا لم يؤثر الدال في الزاي فيقلبه دالاً على أصل الإدغام؟ لأن الزاي تملك صفة إضافية غير الجهر وهي الصفير فلو أدخلت في الدال لذهبت الغاية الصوتية التي وضعت من أجلها الزاي.

٤- **السين مع التاء:**" وتقول في مستمع: مُسَّمع فتدغم؛ لأنهما مهموسان ولا سبيل إلى أن تدغم السين في التاء، فإذا أدغمت قلت مُسَّمع كما قلت مُصَّبر، حيث لم يجُزْ إدخال الصاد في الطاء"(١).

لمْ تُدغم السين في التاء-على أصل الإدغام- وإنما أثر الصوت الأول في الثاني فقلبه مثيله ثم أدغما. والسبب في هذا الإدغام هو الصفة المميزة للسين عن التاء وهي صفة الصفير التي ينبغي أن تبقى لتحقق الغرض الصوتي منها.

وقد موثلت التاء للسين في طست فصارت طسّ، والطسّ كلمة معربة عن الفارسية أصلها الفارسي كما ذكر أنولتيمان هو طشْست(٢). وقد ذهب أدى شير إلى أنها معربة عن تشْت، قال: الطسّ: إناء من نحاس لغسل اليد، تعريب تَشْت والطست والطشت والطسة لغات فيه"(٣).

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٨.

(٢) أنولتيمان، بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي ١٩.

(٣) أدى شير، الألفاظ الفارسية المعربة ١٠٤٢.

واختلف آراء السلف في الطسّ، فقد ذهب سفيان الثوري إلى أنّ الطسّ هو في الأصل الطست ولما عربته العرب قالوا فيه الطس[١]. والرأي كذلك بالنسبة لابن دريد[٢] والجوهري[٣] وابن منظور[٤].

أما الفراء فيذهب إلى أن الأصل الطسّ، وأن التاء بدل من السين حيث يقول:" كلام العرب الطسة... وقد يقال الطس بغير هاء... وبعض أهل اليمن يقول الطست، كما قالوا في اللص: لصت"[٥].

ورأى أبو زيد أن التاء في الطست بدل من السين[٦].

٥- الضاد مع الطاء:" وقالوا في اضطجر: اضّجر، كقولهم: مُصَّبر"[٧].

وقد ذكر ابن جني اضّرب ومضّرب في اضطرب ومضطرب[٨]، وقال ابن يعيش:" وقالوا: اضّرب واضّجع ويضّرب ويضّجع فهو مضّرب ومضّجع"[٩].

ففي جميع هذه الأمثلة اتصلت الطاء بالضاد مباشرة، وهما متكافئان بالإطباق في كل منهما، إلا أن الضاد تفوقت عليها بالجهر.

ويمكن تمثيل ذلك بالمعادلة التالية:

اضتجر ←—— اضطجر ←—— اضضجر ←—— اضّجر

إذْ حدث في بنائها صرفياً وصوتياً تغيران: الأول يتمثل في المماثلة الجزئية المقبلة(الإبدال) حيث أثرت الضاد في (اضتجر) في التاء فقلبتها إلى مماثلتها جزئيا من ناحيتي المخرج وصفة الإطباق وهذا الصوت هو الطاء، ثم أثرت الضاد في

---

(١) الجواليقي، المعرب ٢٦٩.

(٢) ابن دريد، الجمهرة (ط س س) ٣/٥٠٢.

(٣) الجوهري، الصحاح (ط س س) ٢/٩٤٠.

(٤) ابن منظور، اللسان (ط س س) ٧/٤٢٨.

(٥) الأنباري، المذكر والمؤنث ١/٤١٧.

(٦) ابن منظور، اللسان (ط س س) ٧/٤٢٩.

(٧) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٨.

(٨) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/٢٢٣.

(٩) ابن يعيش، شرح المفصل ١٠/١٤٩.

الطاء في بناء(اضطجر) في مماثلة كلية مقبلة متصلة حيث قُلبت الطاء ضاداً ثم أدغمت في الضاد الأولى لتصير إلى اضجّر.

٦- **الذال مع الدال:**" ومن قال مُظّعن قال مُذّكر"[١]، وقرأ قتادة بالذال المعجمة:" فهل من مُذّكر"[٢] على أصل الإدغام في إدخال الأول في الثاني.

وقرأ الحسن" واذَّكر بعد أمةٍ"[٣]، في تأثير الصوت الأول في الثاني. وقال ابن جني: قال بعضهم في ادّكر اذّكر، ولكن الأكثر في الاستعمال هو ادّكر[٤] على الأصل.

٧- **الطاء مع التاء،** وعلل سيبويه عدم إدخال الطاء في التاء-على الأصل- وإنما تأثير الأول في الثاني وقلبه مثيله حيث يقول:" وإذا كانت الطاء معها، يُعني مع التاء، فهو أجدر أن تقلب التاء طاء، ولا تُدغم الطاء في التاء فتُخِلُّ بالحرف، لأنهما في الانفصال أثقل من جميع ما ذكرناه. ولم يدغموها في التاء لأنهم لم يريدوا إلا أن يبقى الإطباق إذ كان يذهب في الانفصال، فكرهوا أن يلزموه ذلك في حرف ليس من حروف الإطباق. وذلك قولك: اطّعنوا"[٥]. يريدون: اطتعنوا.

فالعلة في عدم إدخال الطاء في التاء-أي في عدم تأثير الصوت الثاني في الأول هو صفة الإطباق المميّزة للطاء والتي تجعلها أقوى تأثيراً في التاء التي لا تحمل صفة مميزة.

ومثال ذلك قوله تعالى:" أحطتُ بما لم تحطْ به"[٦]، فأحطت تنطق أحطُّ، يقول الفراء:" تخرج التاء في اللفظ طاءً"[٧].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٦٩.

(٢) الآية ١٥ من سورة القمر، تفسير أبي حيان، وقال أبو حيان: وقرئ"مذكر" على الأصل.

(٣) انظر ابن خالويه، القراءات الشاذة ٥٥.

(٤) ابن خالويه، القراءات الشاذة ١٤٨، وانظر ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/١٩٠.

(٥) سيبويه، الكتاب ٤/٤٧٠.

(٦)سورة النمل، الآية ٢٢.

(٧) الفراء، معاني القرآن ١٧٢.

ودليل ذلك شعراً قول علقمة الفحل:

وفي كلِّ حيٍّ قد خبطَّ بنعمةٍ فَحُقَّ لشأسٍ من نَداك ذنوب[1]

يريد: خبطتَ

ويرى سيبويه أن الأجود هو الإبقاء على الأصل في عدم الإدغام يقول سيبويه:" وأعرب اللغتين وأجودهما أن لا تقلبها طاء، لأن هذه التاء علامة الإضمار، وإنما تجيء لمعنى"[2]. أي أن هذه ضمير غير لازم للفعل ويجيء لمعنى لذلك فالأفضل الإبقاء عليه.

والحال كذلك بالنسبة لابن جني فقد ترسّم خُطى سيبويه، فهو يقول معلقاً على بيت علقمة:" فإنه أراد(خبطت)، ولو قال (خَبطْتَ) لكان أقيس اللغتين. وذلك لأن هذه التاء ليست متصلة بما قبلها اتصال تاء(افتعل) بمثالها الذي هي فيه، ولكنه شبّه تاء خبطتَ بتاء(افتعل) فقلبها طاء لوقوع الطاء قبلها"[3].

أما الرضي فقد عدّ ذلك من قبيل اللهجة حيث اعتبرها لهجة لتميم ووصفها بالقلة حيث يقول:" هذه لغة تميم، ولبست بالكثيرة، أعني جعل الضمير طاء، إذا كان لام الكلمة صاداً أو ضاداً"[4].

٨- **الدال مع التاء:**" وكذلك الدال، وذلك قولك: ادّانوا من الدين، لأنه قد يجوز فيه البيان في الانفصال على ما ذكرنا من الثقل، وهو بَعدُ حرف مجهور، فلما صار ههنا لم يكن له سبيل إلى أن يفرد من التاء كما يفرد في الانفصال، فيكون بعد الدال غيرها، ... كما كرهوا ذلك في الذال"[5]. فكراهية إذهاب الجهر من الدال لم يتم

---

(١)انظر ديوانه ١٣٢، ابن جني، المنصف ٢/٣٣٢، وأمالي ابن الشجري ٢/١٨١، وابن يعيش، شرح المفصل ٥/٤٨، و البغدادي، شرح شواهد الشافية ٤٩٤، والمفضل الضّبي، المفضليات ٣٩٦.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٤٧١.

(٣) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/٢٢٥.

(٤) الاستراباذي، شرح الشافية ٣/٢٢٦.

(٥) سيبويه، الكتاب ٤/٤٧٠-٤٧١.

الإدغام على الأصل وهو إدخال الأول في الثاني إنما عُكس التأثير فدخل الثاني في الأول. ويمكن تمثيل التغير الصوتي بالمعادلة التالية:

ادتانوا ←——— ادْدَانوا ←——— ادّانوا

فقد أثرت الدال في التاء -على غير الأصل- فقلبتها إلى مثيلتها تماما ثم أدغمتا.

وفي ختام هذا المبحث أودّ أن أشير إلى أن الأصل في حروف طرف اللسان والثنايا الإدغام للتقارب الكبير في المخرج ويخرج عن ذلك حروف الصفير؛ لأنها تحمل صفة تجعلها واضحة في السمع وإدغام الضاد في السين والصاد والزاي لأن الضاد مستطيلة مثلها مثل الشين.

الفصـــــل الثانـــــي

دراسة الصوائت عند سيبويه:

الإعلال

الوقف

الإمالة

الإعـــــلال

أولاً: تعريف الإعلال.

ثانياً: المماثلة الصوتية.

ثالثاً: المخالفة الصوتية.

رابعاً: نماذج من الإعلال بالنقل و الحذف.

أولاً: تعريــــف الإعـــلال

بعد أنْ أطلعت على الإعلال عند سيبويه لم أجد تعريفاً محـــدداً عنـده عـن الإعلال، ولكنه بدأ بتطبيق الإعلال دونما ذكر تعريف له، إذْ يُلمحُ من خـلال هـذا الموضوع إلى أن الإعلال هو التغيير الذي يطرأ على حروف العلّة ســواءٌ أكـان التغير إبدالاً لحروف العلّة أو حذفاً أو نقلاً للحركة.

أمّا علماء اللغة القدماء فقد وضعوا تعريفات متشابهة في مضمونـها يجمعـها التغير الذي يطرأ على حروف العلّة. فقد عرّف ابن يعيش الإعلال بقوله:" والعلّـة تغيّر المعلول عمّا هو عليه، وسميت هذه الحروف حروف العلّة لكثرة تغيّرها"(١).

أما الأسترابادي فقد عرّف الإعلال ذاكراً أنواعهُ والغرض منه حيث يقـول:" الإعلال تغيير حرف العلّة بالقلب أو الحذف أو الإسكان والغرض من هذا التغيـير التخفيف"(٢).

أما الغرض من الإعلال عند سيبويه فيمكن تقسيمها قسمين:

أ- طلب الخفة، حيث يقول سيبويه في موضع حذف حرف العلّـة فـي المثـال الواوي إذا صيغ منه مصدر على(فِعْلة):" فأما فِعْلة إذا كانت مصـدراً فإنـهم يحذفون الواو منها كما يحذفونها من فِعْلها، لأنّ الكسر يسـتثقل فـي الـواو، فاطّرد ذلك في المصدر، وشبّه بالفعل"(٣).

وقوله أيضاً في موضع آخر:" فأرادوا أن تعتلّ إذا كانت قبلها كسرة وبعدهـا حرف يشبه الياء، فلما كان ذلك فيها مع الاعتلال لم يقرّوها، وكان العمل من وجـه واحد أخف عليهم، وجسروا على ذلك للاعتلال"(٤).

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل ٥٤/١٠.

(٢) الأسترابادي، شرح الشافية ٦٦/٣-٦٧.

(٣) سيبويه، الكتاب ٣٣٦/٤.

(٤) المصدر نفسه ٣٦٠/٤.

ب- كراهية توالي الأمثال، حيث يكون ذلك في اجتماع الواوات أو الياءات فيتم الإعلال بالقلب لزوماً إلى تحقيق حالة التوازن، يقول سيبويه:" ولكنك همزت كما همزوا في راية وآية حيث قالوا رائي، وآئي، فأجريته مجرى هذا حيث كثرت الياءات بعد الألف"(١). وهذا ما يعرف من المنظور الحديث باسم المخالفة الصوتية في الصوائت.

أمّا علماء اللغة المحدثون فقد نحو نحو القدماء في التعريف مع تغييرات طفيفة فيعرفه الشيخ الحملاوي:" تغيير حرف العلّة للتخفيف بقلبه أو إسكانه، أو حذفه"(٢)، كما عدّ الدكتور حسنين التغيير الذي يطرأ على الواو إعلالاً أو تطوراً(٣).

ويرى الدكتور تمام حسان أنّ الإعلال يكون في صوتي الواو والياء دون الألف حيث يقول:" موضوع الإعلال كما رأينا هو الحرف اللين الواو والياء دون الألف، ويكون الإعلال في هذين الحرفين بإحدى طرق ثلاث: النقل والقلب والحذف"(٤).

ولم أجد ما يسمى بالإعلال بالنقل بل إن الإعلال يقتصرُ على نوعين: بالحذف أو القلب، وسأعرض نماذج لما يسمى بالإعلال بالنقل في مبحث مستقل والذي وجدتُ فيه أن هذا الإعلال ما هو إلا إعلال بالحذف حيث تحذف شبه الحركة ويعوّض عنها بإطالة الحركة.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤١٥.

(٢) الشيخ الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف ١٤٩.

(٣) صلاح الدين حسنين، المدخل إلى علم الأصوات ١٧٣.

(٤) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ٢٧٦-٢٧٧.

ثانياً: المماثلـــة الصوتيـــة

والمماثلــة الصوتيــة أو مــا يســمى بالتــأثر أو انســجام أصــوات الليــن (vowelharmony) هي تأثير صوت في آخر فيقلبه إلى صوت مثله أو قريب منــه يحمل بعضاً من صفاته. وتقسم هذه المماثلة إلى كلية وجزئية وأرى أن المماثلة فــي هذا الباب هي مماثلة كلية إذا عددنا الألف فتحة والواو ضمـــة واليــاء كســرة ولا اختلاف بينهما سوى ما يخص الطول. وسأعرض في هذا الباب التأثيرات الصوتيـة للصوائت التالية:

أ- تأثير الكسرة.

ب- تأثير الضمة.

هـ- تأثير الفتحة.

د- تأثير الياء.

تأثيـــر الكســـرة

تُعدّ الكسرة صائتاً قصيراً وهي بعض الياء، فهي تؤثر في(الواو) فتقلبه(ياء)، تحقيقاً لحالة الانسجام في أصوات اللين. أما المواضع التي تؤثر فيها الكســرة فــي الواو فهي:

١- **تقلب الواو ياءً في المصدر على فِعال**، ومثالها حالتْ حيالاً، وقمتُ قياماً، وعلل سيبويه ذلك بقوله:" فأرادوا أن تعتّل إذا كانت قبلها كسرة وبعدها حرف يشـبه الياء، فلما كان ذلك فيها مع الاعتلال لم يقرّوها، وكان العمل من وجهٍ واحد أخــفَّ عليهم، وجسروا على ذلك للاعتلال"[١]. فعبارة سيبويه" العمل من وجه واحد" تشـير إلى مصطلح المماثلة أو الانسجام الصوتي.

ويرى ابن عقيل أنّ الواو قُلبت ياءً في هذه المصادر حملاً لها على الافعـــال، فلو صحّت الواو في أفعال هذه المصادر لم تعتل هنا[٢]. وما حدث في هذا الإعـلال هو ضربٌ من المماثلة الصوتية حيث أثّرت الكسرة في الواو فقلبتها إلى نظيرتـــها وهي الياء، ذلك نحو: حال حِوالاً، وعاج عِوجا، قال تعالى:" خالدين فيها لا يبغـون عنها حِولاً"[٣]، وكذلك قوله تعالى:" ولم يجعل له عِوجاً"[٤].

٢- **الجمع على فِعال نحو سوط سياط**، وثوب ثياب، وروضة رياض. وعلـل سيبويه ذلك بأن الواو ساكنة ميتة:" لما كانت الواو ميتة ساكنة شبهوها بواو يقـول، لأنها ساكنة مثلها، ولأنها حرف الاعتلال... صارت الكسرة بمنزلة ياء قبلها، عملت فيه الألف لشبهها بالياء، كما عملت ياء يوْجل من ينْجل"[٥].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣٦٠/٤.

(٢) ابن عقيل، شرح ابن عقيل ٢٢٠/٤.

(٣) سورة الكهف، الآية ١٠٨.

(٤) سورة الكهف، الآية ١.

(٥) سيبويه، الكتاب ٣٦٠/٤.

ويرى ابن جني أن اجتماع عدّة أسباب هي التي أدّت إلى هذا الإعلال وهذه الأسباب هي أن الكلمة جمعٌ وهو أثقل من الواحد، وسكون الواو في الواحد والساكن ضعيف يقبل العلّة، وانكسار ما قبل الواو في الجمع، ووقوع الألف بعدها" والألف قريبة الشبه من الياء"(١). قال:" فلما تجمعت هذه الأشياء المستثقلة كلها هربوا من الواو إلى الياء"(٢) وعدّ ابن جني أن اجتماع هذه العلل كانت مسوغاً للقلب حيث إن جمع طويل طوال فثبتت الواو في الجمع لأنها متحركة في المفرد، إلا أن بعض العرب أوردها بالياء، وشاهد ذلك شعراً:

تبيّن لي أنّ القماءَة ذِلةٌ وأنّ أعزّاء الرجالِ طيالُها

وعلل ابن جني ذلك بأنه حمل على ثياب وليس مثله(٣)

ويبدو أن المماثلة والانسجام بين الكسرة والياء هو الذي جعلهم يبدلون الواو ياء، أما في بقاء الواو مسبوقاً بكسر مثل طوال وسوار وجوار فقد كان العرب يشتقون بعض الكلام من بعض، فقلب بعضهم ولم يقلب الآخرون.

وعلل(فلش) حدوث الإعلال بقوله:" الضعف النطقي الكبير لهذه الأصوات الضعيفة-الواو والياء- بحيث تنحو نحو الاختفاء حين تقع بين مصوتات"(٤)

٣- **الجمع على فِعَل نحو**: دِيمة ودِيَم، وقامة وقيم، وتارة وتير، وعلل سيبويه ذلك بأن الواو قُلبت في المفرد فألزمت البدل في الجمع، حيث يقول:" وأما ما كان قد قُلب في الواحد فإنه لا يثبت في الجمع إذا كان قبله الكسر، لأنهم قد يكرهون الواو بعد الكسر حتى يقلبوها فيما قد ثبتت في واحدة، فلما كان ذلك من كلامهم ألزموا البدل ما قُلب في الواحد"(٥)، ثم يقول:" فلما كانت أخفَّ عليهم والعمل من وجهٍ واحد،

---

(١) ابن جني، المنصف ٣٤٢/١.

(٢) المصدر نفسه ٣٤٢/١.

(٣) المصدر نفسه ٣٤٢/١.

(٤) الدكتور عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة المعاصر ٥٥ نقلاً عن: Etudes de phonētique arabe P.248.

(٥) سيبويه، الكتاب ٣٦٠/٤.

جَسّروا عليه في الجمع؛ إذا كان في الواحد محولاً، واستثقلت الواو بعد الكسرة كما تستثقل بعد الياء"[١].

أما جمع فِعلة مما كان مفردها ليس منقلباً إلى ياء فإن الواو تثبت ولا تُقلب، ومثال ذلك: كوز وكِوزة، وعور وعَورة، وزوج ووزوجة. وعلل سيبويه ذلك بأمرين: إنّ مفردها ليس فيه قلب، وأن الواو ليس بعدها ألفٌ، يقول سيبويه:" لأن الواحد قد ثبت فيه، وليس بعدها ألف فتكون كالسياط"[٢].

أما الذي يجمع بفتح الأول فلا تُقلب الواو مثل: خيانَة وحياكة حيث تُجمع على خَوائن وحَوائك، وعلل سيبويه عدم القلب بقوله:" لأن الواو إذا كانت بعد فتحة أخفُ عليهم، وبعد ألف، فكأنك قلبت عاود، فتقلبها واواً كما قلت ميزاناً وموازين، ولا يكون أسوأ حالاً في الرد إلى الأصل من ردّ الساكن إلى الأصل حيثُ قُلب"[٣].

٤-**الجمع على أفْعُل**، على أنْ تكون الواو حرف إعراب، كقولنا: دلو أدْل، وحقو أحقٍ، حيث قلبت الواو ياء وكسر المضمومُ اللام في أدلٍ، والقاف في أحق. وعلل ذلك سيبويه ذلك بقوله:" فلما كثرت هذه الأشياء عليها وكانت الياء قد تغْلِبُ عليها لو ثبتت، أبدلوها مكانها، لأنها أخفُ عليهم والكسرة من الواو والضمة. وهي أغلب على الواو من الواو عليها"[٤].

وعلل ابن جني هذا الإعلال لاجتماع(في آخر الكلمة ضمة وواو وكسرة وبعض هذا مكروه... قلبت ياء، لأن الواو وعلى كل حال أثقل من الياء"[٥]. ثم جرى على الكلمة ما جرى على نحو غاز فصارت أدل.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣٦١/٤.

(٢) المصدر نفسه ٣٦١/٤.

(٣) المصدر نفسه ٣٦١/٤.

(٤) المصدر نفسه ٣٨٤/٤.

(٥) ابن جني، المنصف ١١٨/٢.

أما إذا لم تكن الواو حرف إعراب فإنها تثبت كقولنا: عُنفُوان، وقَمحْدُوَة، وأُفْعُوان[1].

إذْ أثرت الكسرة في (أدلوِ) بالواو تأثيراً رجعياً فقُلبت الواو ياء ثم جرى حذف الياء كما يحدث في الاسم المنقوص.

٥- **الجمع المسبوقة الواو فيه بالكسر**، نحو: ثُديّ، وعُصيّ وقد تُقلب في غير الجمع كقول الشاعر عبد يغوث بن وقاص الحارثي:

وقدْ علِمتْ عِرسي مُلَيْكَةُ أنّني　　　أنا الليثُ معْديّاً عليه وعاديا[2]

والشاهد فيه(مَعْديّا) حيث قلبت الواو إلى ياء.

فقد سُبقت الواو بالكسرة فأصل ثدِيّ ثُدِوّ، حيث قلبت الواو ياءً لوجود الكسرة.

وقد يكسرون الحرف الأول للاتباع فيقولون ثديّ، وحِقِيّن وعِصِيّ، وجِثِيّ[3]، حيث تؤثر الكسرة فيما قبلها وفيما بعدها فتؤثر بالضمة لتقلبها كسرة ثم تؤثر في الواو لتقلبها ياءً.

٦- **إذا سُبقت الواو مطلقاً بالكسر** مثل: غُزِي، وغازٍ، ورضو ورضي، وقوي[4]. وأصلها: غُزوَ، وغازو، وقَوِوَ، كلها قلبت إلى ياء للانسجام الصوتي حيث أثرت الكسرة في الواو فقلبتها إلى ياء.

٧- **المبني للمجهول(فُعِل) إذا خُفّفَ على (فُعْل)**، ومثاله: غُزْيَ. وعلل سيبويه ذلك بأنها قُلبت بتقدير الأصل وكأن هناك كسرة مقدرة لأن الأصل فيه كسرة" لأنّي إنما خففتُ ما قد لزمته الياء، وإنما أصلها التحريك وقلب الواو، وليس أصل هذا بفُعْل ولا فَعْل"[5].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣٨٤/٤.

(٢) انظر الكتاب ٣٨٥/٤، والمفضليات ١٥٨، وابن جني، المنصف ١١٨/١، والأستراباذي، شرح شواهد الشافية ٤٠، وأمالي القالي ١٣٢/٣، وشرح الأشموني ٣٢٦/٤.

(٣) سيبويه، الكتاب ٣٨٥/٤.

(٤) المصدر نفسه ٣٨٦/٤.

(٥) المصدر نفسه ٣٨٦/٤.

فالتأثير افتراضي للكسرة الموجودة قبل التخفيف.

٨- صيغة مفعال من المثال

وجدت هذا القلب في، مثل: الميزان والميعاد. وعلل سيبويه ذلك بكراهية الانتقال من الكسر إلى الضم، يقول:" وكما يكرهون الضمة بعد الكسرة حتى إنه ليس في الكلام أن يكسروا أول حرف ويضمّوا الثاني نحو فِعُل، ... وترك الواو في ميْزان أثقل، من قِبل أنه ساكن فليس يحجزه عن الكسر شيء... فكان العمل من وجهٍ واحدٍ أخفّ عليهم"[١]. ويقول ابن جني في علة هذا الإعلال أنّ الثقل هو السبب في ذلك" لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة، أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمتَ فيه مشقّة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصحاح"[٢]. وفسر هذه الكلفة بأنها مع ذلك غير مستحيلة" وإن كان مستثقلاً فليس بمستحيل في الطاقة والطوع كاستحالة مجيء الألف بعد الكسرة أو الضمة"[٣].

وعلل القلب بالميل إلى الانسجام والتجافي عن التناقض لأنك عندما تأتي بالضمة يتوقع أن تأتي بعدها الواو، لأن الضمة بعدما الواو، فإذا بدأت بالضمة ثم"عدلت إلى الياء فقد ناقضت بآخر لفظك أوله"[٤].

والتناقض الصوتي يكون في التحول من الكسرة إلى الواو" لأنك إذا بدأت بالكسرة فقد جئت ببعض الياء وآذنت بتمامها، فإذا تراجعت عنها إلى الواو فقد نقضت أول قولك بآخره وخالفت بين طرفيه"[٥].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣٣٥/٤.

(٢) ابن جني، الخصائص ٤٩/١.

(٣) المصدر نفسه ٢٦٢/١.

(٤) المصدر نفسه ٢٦٢/١.

(٥) المصدر نفسه ٢٦٢/١.

وعلل فلش كراهية التقاء الواو بالكسرة حيث ذكر ذلك بقوله:" ترى نوعاً من تكلف النطق وثقله، فلكي تنطق بالواو تستدير الشفتان ولكي تنطق بالكسرة يحدث العكس فتنفرجان"(١).

أما في صيغة(مفْعِل) فإن الواو لا تقلب لخفّة الفتح، ومثال ذلك: موْعد، وموّقِف(٢).

ومن خلال الكتابة الصوتية لميزان:

مِوْزان ←—— ميزان

miwzān ←—— mīzān

فالذي حدث هو سقوط الواو في المزدوج الحركي(iw) ثم عوض عنها بتطويل الكسرة.

٩- **وزن فَعِلت:** وجدتُ هذا التأثير في وزن فَعِلتُ ، حيث تكون الواو مضاعفة، ومثال ذلك: قَويتُ وحَويتُ." الأصل: قوِوْت kawiwtu حذفت شبه الحركة في المزدوج الحركي الهابط(iw) ثم عوّض عنها بإطالة الكسوة kawītu' ومثلها حَويت: hawiwtu تسقط الواو شبه الحركة من المزدوج الهابط (iw) ثم يعوض عنها بتطويل الكسرة hawitu، ولا يجيء فَعلتُ أو فَعْلتُ كراهية أن تثبت الواوان. فإنما يصرفون المضاعف إلى ما يقلب الواو ياءً"(٣).

أما إذا كان أصلُ العين الإسكان فإن الواو لا تُقلب، ومثال ذلك: قُوَّة، وحبوّة، وجوّ وجُوَّة، وتو(٤). فقد أثرت كسرة العين في قوِوت، فقلبت اللام إلى ياء للانسجام الصوتي.

---

(١) الدكتور هنري فلش، العربي الفصحى، تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين ٢٠٤.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٣٣٥.

(٣) المصدر نفسه ٤/٤٠٠.

(٤) المصدر نفسه ٤/٤٠٠.

تأثيـــر اليـــاء في الـــواو

تؤثر الياء شبه الحركة في الواو كما تؤثر الكسرة، فالكسرة بعض الياء، وليس هناك فرق بينهما سوى ما يخصّ الطول وسأعرض المواضع التي أثّرت فيها اليـــاء في الواو:

أ- الأجوف الواوي:

١- وزن(فَيْعِل): ومثاله: سيّد وصيّب(وأصلها سَـيْوِد، وصيـوب)، وعلــل سيبويه ذلك بتأثير الياء دون فاصل وتداني مخرجي الواو والياء لكثرة الاســتعمال، يقول سيبويه:" وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التي تدانت مخارجها لكثرة اســتعمالهم إياهما وممرهّما على ألسنتهم، فلما كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد اليـاء ولا قبلها كان العمل من وجه واحد ورفع اللسان من موضع واحد، أخـــفّ عليـــهم، وكانت الياء الغالبة في القلب لا الواو، لأنّها أخفُّ عليهم لشبهها بالألف"(١).

فالسبب في قلب الواو ياءً هو خفّة الياء كما يذكر سيبويه وفي موضـــع آخــر يشير إلى خفة الياء إذْ يقول:" ويدلك على أنّ الياء أخفُّ من الواو عندهم أنهم يقولون ييئِس وييبس فلا يحذفون موضع الفاء كما حذفوا يعد"(٢).

ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كالآتي:

سَيْوِد ←——— سيّد

saywid ←——— sayyid

إذ تحوّلت الواو الساكنة شبه الحركة (w) إلى الياء الساكنة شبه الحركة(y) ثـم أدغمتا.

ويجوز حذف الياء للتخفيف يقول سيبويه:" فإنهم يحذفون العين كما يحذفـــون الهمزة من هائر، لاستثقالهم الياءات"(٣). لتصير المعادلة إلى:

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٣٦٥.

(٢) المصدر نفسه ٤/٣٣٨.

(٣) المصدر نفسه ٤/٣٦٦.

سيْوِد ← سيّد
سيْد

saywid → sayyid

sayd

٢- وزن(فَيْعل)، ومثاله من قال: قَيَّل[١].

وما جرى على (فيعِل) جرى على فَيْعل، فالأصل قبل القلب(قيْول) فأثر شبه الحركة(الياء) بشبه الحركة(الواو) ليحوله إلى شبه الحركة (الياء). ويمكن أن نمثل ذلك صوتياً كالآتي:

قَيْوَل قيَّل

ḳaywal ḳayyal

إذْ تحوّلت الواو شبه الحركة(w) إلى شبه الحركة الياء (y) ثم أدغمتا.

٣- وزن(فيعال)، و(فيعول) نحو: ديّار وقيّام، وفيعول نحو: قيّوم وديّور[٢].
والأصل ديوار، وقيوام، وقيووم، وديوور.

وكل هذا حدث للمماثلة الصوتية حيث أثّر شبه الحركة(y) بشبه الحركة(w) فقلبها إلى مثيله (y)، لتكون المماثلة كليّة مقبلة متصلة، ويمكن توضيح ذلك من خلال الكتابة الصوتية التالية:

ديْوار ← ديّار

daywār ← dayyār

قَيْوام ← قيّام

Ḳaywām ← Ḳayyām

(١) سيبويه، الكتاب ٣٦٦/٤.
(٢) المصدر نفسه ٣٦٧/٤.

٤- وزن(**تفيعل**)، مثل: تحيَّزتُ مصدرها التحيُّز. والتغيير الصوتي طرأ نتيجة المماثلة الصوتية حيث أثّر شبه الحركة(y) بشبه الحركة(w) تأثيراً مقبلاً ليحوله إلى صوت مطابق له(y) لتكون المماثلة كليّة مقبلة متصلة، ويمكن توضيح ذلك في الكتابة الصوتية التالية:

تحيْوَزتُ ←―――― تحيّزتُ

taḥaywaztu ←―――― taḥayyaztu

أما صيُود وطويل وأشباههما فلا قلب فيهما لأن المعتل الأول متحرك، ولا يكون إدغام إلا بسكون الأوّل[1]. والأصل بالإدغام طلب الخفّة وهذا المقياس تقاس عليه معظم التغيرات الصوتية.

٥- وزن(**فوْعَل**) نحو: بيِّع، وأصلها بوْيع. حيث أثرت الياء رجعياً بالواو لتقلب إلى الياء ثم تدغما لتصيرا إلى بَيِّع والتغير الصوتي نتج من تأثير شبه الحركة الثاني(y) في شبه الحركة الأول(w) ليقلبه إلى مثيله على سبيل المماثلة الكليّة المدبرة المتصلة، ويمكن توضيح ذلك في المعادلة الصوتية التالية:

بَوْيَعٌ ←―――― بيّعٌ

bawya<un ←―――― bayya<un

إذْ قلب شبه الحركة (w) إلى شبه الحركة(y) ثم أدغما.

أما في فُوعِل فلا قلب فيها مثل سُوير، وبُويع. وعلل سيبويه ذلك حيث يقول:" لأن هذه الواو ليست بلازمة ولا بأصل، وإنما صارت للضمة حين قلت فُوعِل"[2].

والحال كذلك في إبدال الهمز إلى واو مثل: رُوْية ورُوْيا، ونُويّ. لا تقلب لأن الواو ليست بأصل لأن الهمزة هي الأصل[3].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣٤٧/٤.

(٢) المصدر نفسه ٣٦٨/٤.

(٣) المصدر نفسه ٣٦٨/٤.

٦- وزن(فُعْلُول) من الناقص اليائي، حيث نقلب واو فُعلول إلى ياء، ومثال ذلك: رمى رُمْيِيّ، وأصلها رُمْيُوِيّ. وعلل سيبويه ذلك بقوله:" ولكنك قلبت الواو التي قبل الياء لأنها ساكنة وبعدها ياء"(١).

إذاً، فقد أثّرت الياء الثانية في الواو الساكنة التي تسبقها فأبدلتها إلى مثيلتها.

ويمكن تمثيل ذلك صوتياً:

رَمْيُوِيّ ←——— رميِيّ

rumyuwyun ←——— rumyiyyun

حيث وقعت شبه الحركة(W) قبل شبه الحركة(Y) فقلب شبه الحركة(W) إلى شبه الحركة (Y) للمماثلة الصوتية.

أما فِعْلِيل من الناقص الواوي فنحو: غِزْوِيٌّ والأصل غِزْوِيْو، فأبدلت الواو في نهاية الكلمة ياء لأنها مسبوقة بياء ساكنة ثم أدغمت الياءان، وعلل سيبويه ذلك بقوله:" لأن قبلها ياءً ساكنة"(٢).

ويمكن تمثيل ذلك صوتياً:

غِزْوِيْوٌ ←——— غِزْوِيٌّ

ġizwiywun ←——— ġizwiyyun

حيث أثرت الياء الساكنة(شبه الحركة Y) بالواو(شبه الحركة W) فقلبتها إلى مثيلتها على سبيل المماثلة التقدمية.

٧- **وزن فَعْل من اللفيف المقرون**، ويتم القلب في وزن فَعْل إذا كانت العين واواً واللام ياءً، ومثال ذلك شَوْيٌ شَيّ، فأبدلت الواو ياءً ثم أدغمت الياء المبدلة من الأصلية، وعلل سيبويه ذلك بقوله:" قُلبت الواو ياءً حيث كانت ساكنة بعدها ياء،

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٠٧.

(٢)المصدر نفسه ٤/٤٠٧.

وكُسرت الشين... كما تكره الواو الساكنة وبعدها الياء"[١]. وبعض العرب ضم الأول فقالوا: قرنٌ الوي، وقرون لُيٌّ[٢].

ويبدو أن الذّوق العربي يؤثر الياء على الواو فقلبت الواو ياءً ولم يكن العكس حيث يرى سيبويه أن الياء أخف" ويدلك على أن الياء أخفّ من الواو عندهم أنهم يقولون ييئس وييس فلا يحذفون موضع الفاء كما حذفوا يعد"[٣].

والعرب تبدل الواو ياءً إذا التقتا وكانت الأولى ساكنة إذْ يقلبون الواو ياءً ويدغمون كقولهم:" لويت ليّا وطويت طيّا وسيّد وهيّن وطيّ"[٤]. ويمكن أن نمثل ذلك صوتياً كالآتي:

شوْيٌ ——◄ شَيٌّ ——◄ شيٌّ

šiyyun ◄—— šayyun ◄—— šawyun

فقد أبدلت الواو(شبه الحركة W) ياء(شبه الحركةY) بتأثير رجعي لشبه الحركة(Y) ثم أبدل الصائت القصير(a) صائتاً قصيراً (I) بتأثير رجعي للياء (شبه الحركة Y).

---

(١) الكتاب ٤/٤٠٤.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٠٤.

(٣) المصدر نفسه ٤/٣٣٨.

(٤) ابن جني، الخصائص ٢/٢٣٠.

تأثيـــر الفتحـــة في الواو والياء

تؤثر الفتحة في الواو والياء إذا سبقتهما فيتم تحويلهما إلى الألف ضربـــا مـــن الانسجام الصوتي في الصوائت ويتم ذلك في:

<u>أ- الأجوف</u>: سواء اليائي أو الواوي، فجعل سيبويه عين الكلمة تابعة لما قبلـــها فإذا كانت الفاء مفتوحة فإن الواو والياء تقلبان ألفاً، يقول سيبويه:" فإذا قلـــت فَعـــل صارت العين تابعة، وذلك قولك: باع، وخاف، وهاب، وقال"[1]. وعلل سيبويه هـــذا القلب:

أولاً: الاستواء أو الانسجام حيث يقول:" حيث اتبعوا العين الفاء في أخواتـــهن ليستوين"[2].

ثانياً: الالتباس، حيث إن وزن فَعل يلتبس في فُعِل فنقول: بيع في وزني فَعـــل وفُعِل، يقول سيبويه:"ولو لم تجعل تابعةً لالتبس فَعل من باع وخاف وهـــاب بِفُعِـــل، فأتبعوهن"[3]. والأمر يزداد لبساً ليصل إلى أن الأجوف الواوي يبنى على فُعِل بالواو وليس بالياء في بعض اللغات فنقول قُول، يقول سيبويه:" إذْ كان بعضهم يقول: قـــد قُولَ ذاك. فاجتمع فيها هذا وأنهم شبهوها بأخواتها حيث أتبعوا العين فيهن ما قبلـــهن. فكما اتفقن في التغيير كذلك اتفقن في الإلحاق"[4].

ويذكر ابن جني:" أن الواو والياء متى تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفيـــن"[5]، معللاً ذلك القلب بأن العرب كرهت اجتماع ثلاثة أشياء متجانسة هي الفتحة والـــواو أو الياء والحركة فيهما فتحولوا إلى حرف لا يتحرك وهو الألف[6]. ويتم التحول إلى الألف بعد تغيرين أولهما سكون عين الفعل(الواو أو الياء) هروباً من المتجانســـات.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٣٤٢/٤.

(٢) المصدر نفسه ٣٤٢/٤.

(٣) المصدر نفسه ٣٤٢/٤.

(٤) المصدر نفسه ٣٤٢/٤.

(٥) ابن جني، الخصائص ١٤٦/١.

(٦) ابن جني، سر الصناعة ١/د٢.

والتغير الثاني القلب إلى الألف بفعل تأثير الفتحة السابقة، يقول ابن جني:" قوم وبيع وخوف، وهيَب وطوُل، اعتلت العينات لتحركهن وانفتاح ما قبلهن فسلبن ما فيهنّ من الحركات هرباً من جميع المتجانسات، فقُلبن ألفات لتحركهن في الأصل وانفتاح ما قبلهن الآن"(١).

قَوَمَ ——◄ قَوْم ——◄ قام

بيَع ——◄ بيْع ——◄ باع

وبين ابن جني قاعدة هذا القلب حيث يقول:" وذلك أن تقول في علة قلب الواو والياء ألفاً: إنهما متى تحركتا حركة لازمة وانفتح ما قبلهما وعري الموضع من اللبس، أو أن يكون في معنى ما لا بد من صحة الواو والياء فيه، أو أن يخرج على الصحة منبهة على أصل بابه، فإنهما يقلبان ألفا"(٢).

أما المنظور الحديث لهذه الظاهرة الصوتية فيمكن تفسيرها بكراهية العرب النطق بالصوامت الضعيفة مع مصوت من جنسها أو بعض ما يغايرها(٣)، وهذا قول ابن جني في كراهية اجتماع ثلاثة أشياء متجانسة(٤).

وذهب الدكتور رمضان عبد التواب إلى أنّ قلب عين الأجوف ألفاً قد سار بأربع مراحل، ورجحّ أن تكون العربية القديمة قد نطقت فعلاً بعين الأجوف محركة واستدل على ذلك بما هو موجود الآن في لغة الحبشة حيث يقولون مثلاً

(bayana– تحقق، dayana دان)، وهذه هي المرحلة الأولى، أما الثانية فهي سكون الوسط للتخفيف، كقولهم في كَتِف كتْف، ثم المرحلة الثالثة وهي(مرحلة انكماش الصوت وتحوله مع الواو إلى ضمة طويلة ممالة – O– ومع الياء إلى

---

(١) ابن جني، المنصف ١/٢٤٧. ..

(٢) ابن جني، الخصائص ١/١٤٧.

(٣) هنري فلش، العربية الفصحى، تعريب عبد الصبور شاهين ٤٧.

(٤) ابن جني، سر الصناعة ١/٢٥.

كسرة طويلة ممالة e "[١]، وذكر أن هذه المرحلة موجودة الآن في الحبشيّة كقولهم في عَور: ôra وفي قامَ: qoma أما المرحلة الرابعة فهي التحوّل من الإمالة إلى الفتح الخالص.

وأرى أنّ ما حدث في الأجوف الواوي أو اليائي هو حذف شبه الحركة في المزدوج الحركي، ثم التقاء فتحتين فيصبحان فتحة طويلة على النحو التالي:

قَوَلَ ← قَ َ لَ

kāla ← ka ala ← kawala

بيع ← بَ َ عَ

bā<a ← ba-a<a ← bay<a

ب- الناقص: الواوي واليائي، وتكون الواو أو الياء مسبوقة بالفتح، ومن هذه المواضع: الماضي والمضارع المبني للمجهول واسم المكان نحو: رمى ويُرمى، وغزا ويُغزى، ومَرْمى ومغزى.

حيث تعتلُّ الواو والياء لتصير إلى الألف" وإذا كانت الياء والواو قبلها فتحة اعتلتْ وقلبت ألفاً كما اعتلت وقبلها الضم والكسر، ولم يجعلوها وقبلها الفتحة على الأصل إذْ لم تكن على الأصل وقبلها الضمة والكسرة، فإذا اعتلت قلبت ألفاً، فتصير الحركة من الحرف الذي بعدها كما كانت الحركة قبل الياء والواو حيث اعتلت مما بعدها"[٢]

أما إذا كانت الواو أو الياء في موضع السكون فإنه يؤتى بهما على الأصل كقولنا غزوْتُ، ورميْتُ، وغزَوْنَ ورميْن. يقول سيبويه في ذلك:" فإنما جئْت على الأصل لأنه موضع لا تحرك فيه اللام، وإنما أصلها في هذا الموضع السكون، وإنما تقلب ألفاً إذا كانت متحركة في الأصل"[٣].

---

(١) رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي ٣٧٤.

(٢) سيبويه، الكتاب ٣٨٣/٤.

(٣) المصدر نفسه ٣٨٣/٤.

ولا تُعلاّن إذا سبقتا بساكن كما في دلو، وظبي. وعلل ذلك سيبويه بقوله:" لأنه لم تجتمع ياءٌ وكسرة ولا واو وضمة ولم يكن ما قبلهما مفتوحاً فتجري مجرى ما قبله الكسرة أو ما قبله الضمة في الاعتلال"(١).

ويمكن تفسير هذا القلب من المنظور الحديث-بكراهة العرب النطق بالصوامت الضعيفة مع مصوت من جنسها أو بعض ما يغايرها(٢). حيث اجتمع في رمي الفتحة والياء ثم الفتحة في دعَوَ اجتمع الفتحة والواو والفتحة. ويمكن أن تعلل هذه الظاهرة بوقوع شبه الحركة-الواو أو الياء- بين صائتين قصيرين متماثلين، أدى ذلك إلى سقوط شبه الحركة ثم اتحاد الصائتين القصيرين ليصيرا إلى الألف، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً:

رَمَيَ ←—— رمى

ramaya ←—— ramaa

دَعَوَ ←—— دَعا

da<awa ←—— da<aa

أما إذا لم تقع شبه الحركة-الواو أو الياء- بين صائتين قصيرين امتنع القلب. وذلك كما في مثل: غزَوْتُ، ودلْوٌ، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كالآتي:

"ġazawtu" ، و"dalwun".

(١) المصدر نفسه ٣٨٤/٤.

(٢) فلش، العربية الفصحى ٤٧.

تأثيـــــر الضمـــــة

وتؤثر الضمة في الياء إذ وقعت الضمة سابقة والياء ساكنة. أما مواضع التأثير فيمكن أن نجملها بالموضعين التاليين:

أ- اسم الفاعل من غير الثلاثي، المثال: تؤثر الضمة في الياء في اسم الفاعل من غير الثلاثي نحو: مُوقِن، ومُوسِر[١].

وإذا سبقت الياء بضم في كلمة أخرى مثل: يا زيدُ وإيسْ، حيث أثرت الضمة في الياء الساكنة التي تلحقها فقلبتها إلى الواو. وورد في قراءة أبي عمرو والياء على الأصل دون إعلال في قوله تعالى:" يا صالحُيْتِنا"[٢]. هذا في حال الانفصال وعدّها سيبويه لغة ضعيفة[٣].

فالقلب يحدث في الاتصال شريطة أن تكون الياء ساكنة مسبوقة بالضم، وفي معظم الحالات في حالة الانفصال إلا ما ورد من بعض القراءات كما في قراءة أبي عمرو.

وفسّر ابن جني هذا القلب بالمشقة والكلفة إذ يقول:" لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة، أو الضمة قبل الياء لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها في الحروف الصحاح"[٤].

ولضرب من الانسجام الصوتي والبعد عن التناقض فإن الياء تقلب واوا للتناوءم وتنسجم مع سابقتها الضمة، فإذا بدأت بالضمة ثم"عدلت إلى الياء فقد ناقضت بآخر لفظك أوله"[٥]

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٣٣٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٧٧، وانظر تفسير أبي حيان ٢٣١/١.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/٣٣٨.

(٤) ابن جني، سر الصناعة ٢١/١، وانظر ابن جني، الخصائص ٤٩/١.

(٥) ابن جني، سر الصناعة ٢٢/١.

ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كالآتي:

مُيْقِنٌ ←——— مُوقِنٌ

muukinun ←——— muykinun

. نجد أن الصائت القصير(u) أثر في شبه الحركة(y) فقلبه إلى مثيله(u) ثم حدث اندماج بين الصائتين القصيرين ليصيرا إلى صائت طويل(ū) . وبالتالي فإن الياء لم تقلب واواً وإنما قلبت ضمة ثم التقت الضمتان فصارتا واواً.

وأرى أن ما يحدث هو على النحو التالي:

مُيْقِنٌ ←(بسقوط شبه الحركة)— مُقِنٌ ←(بالتعويض عن شبه الحركة بإطالة الضمة القصيرة)— مُوقِنٌ

muykinun ←——— mukinun ←——— muukinun

ب- الأجوف اليائي: ويكون ذلك في وزنين:(فُعْلى) مثل: الطُوبى، والكوسى. ووزن (فُعْلَل) مثل: كوكل من كال يكيل، ومنه قول الشاعر[1]:

مُظاهِرةَ نيّا عتيقاً وعُوْططا فقد أحكما خَلْقاً لها مُتبايِنا

وقد تنبه ابن يعيش إلى علّة هذا القلب وهي المماثلة حيث يقول:" ومن ذلك (طوبى) الواو فيه مبدلة من الياء، لأنه (فُعلى) من الطيب قلبوا ياءه واواً للضمة قبلها مع سكونها ومثله(الكوسى) وهو مؤنث الأكيس"[2] وما يحدث هو سقوط شبه الحركة الياء ثم يعوّض عنه بإطالة الضمّة:

طيبى ←——— طُبى ←——— طوبى

ṭuybaa ←——— ṭubaa ←——— ṭuubaa

والحال هنا كالحال في المثال حيث قلب الصائت الطويل(y) إلى صائت قصير(u) بفعل تأثير الصائت القصير السابق(u) ليصيرا إلى صائت طويل (uu) أو (ū)، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً:

طُيْبى ←——— طُوْبى

ṭuybaa ←——— ṭuubaa

---

(١) القائل مجهول-انظر الكتاب ٣٧٦/٤، وابن جني، المنصف ١٢/٢، وابن منظور، اللسان(عبط) ٣٢٣. والشاهد في البيت قلب الياء واواً في(عُوْططا) لسكونها وانضمام ما قبلها.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل ٣٠/١٠.

ثالثاً: المخالفــة الصوتيـــة(Dissimilation)

وهذا القانون الصوتي يسير في عكس اتجاه قانون المماثلة وهو ما يعرف عند علماء الأصوات باسم قانون المخالفة وهو يعمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة واحدة، فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلّة الطويلة، أو المائعة، وهي اللام، والميم، والنون، والراء[١].

وسأطبق هذا القانون الصوتي على الإعلال بالقلب حيث سأعرض المواضع التي يتم فيها القلب عملاً بهذا القانون الصوتي ومن هذه المواضع:

أ- اجتماع الياءات.

ب- اجتماع الواوات.

(١) رمضان عبد التواب، التطور اللغوي ٣٧، وانظر د.عبد القادر، المصطلح الصوتي ٣٩.

اجتمـــاع اليـــاءات

فقد قُلبت الياء همزة في الفعل الناقص اليائي حينما يكون على زنـــة فعـــاليل، ومثال ذلك من الفعل رمى: رمائيّ، وأصلها رمايِيّ حيث قلبت الياء همزة، وعلـــل سيبويه هذا القلب بكثرة الياءات بعد الألف" ولكنك همزت كما همزوا في راية وآيـــة حيث قالوا رائي، وآئيٌ، فأجريته مجرى هذا حيث كثرت الياءات بعد الألف"[١].

وبعض العرب تجري الياء على الأصل ولا تقلب يقول سيبويه:" ومـــن قـــال راويٌ فجعلها واواً قال: رماويٌ. ومن قال: أميّيٌ وقال آيـــيٌ قـــال: رمـــاييٌ، فلـــم يغيّر"[٢].

والإبدال طريقة من الطرق التي يُتخلص بواسطتها من توالي الأمثال، وهنـــاك طرق أخرى منها الحذف والفصل والإدغام[٣]. وعلى الرغم أن الهمزة يُفـــرُّ منـــها لأنها صوت حنجري يصاحبه عسرٌ وصعوبة في النطق، فتبدل فـــي كثـــير مـــن الأحيان إلى صوت من أصوات اللين، إلا أنها فُرّ إليها لتوالـــي الأمثـــال، فتوالـــي الأمثال أكثر عُسراً من النطق بالهمزة.

ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كالآتي:

رماييٌ ← رمائيٌ

ramaayiyyun → ramaa'iyyun

وأرى أن الذي حدث هو سقوط شبه الحركة ثم أقحمت الهمزة لتصحيح المقطع الصوتي على النحو التالي:

رماييٌ ← رمايٌ ← رمائيٌ

ramaayiyyun → ramaaiyyun → ramaa'iyyun

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤١٥.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤١٦.

(٣) انظر د. عبد القادر مرعي، ظاهرة كراهية توالي الأمثال في العربية، (بحث) ص ١٥.

فلم يحدث إبدال وإنما حذف شبه الحركة ثم أقحمت الهمزة لتصحيح المقطع الصوتي.

وتقلب الياء واواً في النسب إلى الناقص اليائي وذلك هروباً من توالي الأمثال. ومثال ذلك قولنا رَمَويّة، وأصلها رميّية، حيث أُبدلت الياء واواً، وعلل سيبويه هذا القلب حيث يقول:" فلّما كانت كذلك تعتلّ ويكون البدل أخفّ عليهم، وكرهوها وهي واحدة كانوا لها في توالي الياءات والكسرة فيها أكره، فرفضوها"[1].

وما حصل هو من قبيل المخالفة الصوتية التي تعرّض لها علماء اللغة القدماء تحت عناوين واصطلاحات مختلفة منها: كراهية اجتماع المثلين، وكراهية التضعيف، وكراهية اجتماع حرفين من جنسٍ واحد، وتوالي الأمثال المكروه وما شبه من المضاعف بالمعتل[2].

ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كالآتي:

رَمَيِّةٌ ← رَمَوِيَّةٌ

ramayiyyatun ← ramawiyyatun

فقد توالت ثلاث ياءات (شبه الحركة y) مع الكسرة (I) فعمدت الأصوات إلى تقليل المدّ التأثيري للمماثلة لتحقيق حالة من التتوازن الصوتي، فأبدلت شبه الحركة (y) إلى شبه الحركة الواو (w).

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٠٦.

(٢) انظر عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية ٢٩٥.

اجتمـــــاع الـــــــواوات

وتحدث المخالفة الصوتية كذلك إذا التقت الواوات مثلها مثل اليـــاءات، حيـــث تتنافر الأصوات المتشابهة تحقيقاً لحالة التوازن الصوتي. وسأعرض بعض النمـــاذج الصوتية لهذه الحالة الصوتية:

ففي الأجوف الواوي فإن الواو تقلب همزة هروباً من المتماثلات الصوتية في وزن فواعِل الذي مفردة(فَوعل)، أو وزن فعاول الذي مفردة(فَعْول)، ومثال علـــى ذلك قولنا: قوّل(فوعـــل) وجمعـــها قوائـــل(فواعـــل)، وقـــوّل(فعـــول) وجمعـــها قوائل(فعاول). وعلل سيبويه هذا الإعلال إذْ قال:" وإنما فعلوا ذلك لالتقاء الواويـــن، وأنّ بينهما حاجزاً غير حصين، إنما هو الألف تخفى حتى تصير كأنك قلت قـــوول، وقُرّبت من آخر الحرف فهمزتْ وشبّهت بواو سماء"[1].

إذاً فالعلّة الصوتية هي اجتماع الواوات، فأصل الجمع قواول حيـــث تتـــابعت واوان بوجود فاصل ضعيف وكأننا قلنا قوول بدون فاصل، ونزوعاً إلى تحقيق حالة من التوازن المتمثلة في عملية المغايرة بين الصوتين المتماثلين فقد قلبت الواو الثانية همزة.

أما قول الشاعر جندل بن المثنى الطهوي فقد ورد على الأصل بدون همـــــز، يقول الشاعر: وكحّل العينيين بالعواور[2].

وإنما اضطر الشاعر فحذف الياء من عواوير، ولم يكن ترك الواو لازماً له في الكلام فيُهمز.

وما حدث هنا هو سقوط شبه الحركة(w) وأقحمت الهمزة لتصحيـــح المقطـــع الصوتي على النحو التالي:

قوائلُ ◄—— قوالُ ◄—— قواولُ

Ḳawaa>ilu ◄—— Ḳawaailu ◄—— Ḳawaawilu

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/ ٣٧٠.

(٢) انظر سيبويه، الكتاب ٤/ ٣٧٠، وابن جني، الخصائص ١/ ١٩٥، وابن جني، المحتسب ١/ ١٠٧، وابن جني، المنصف ٢/ ٤٩، والأنباري، الإنصاف ٧٨٥، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٤/ ٢٩، والبغدادي، شرح شواهد الشافية ٣٧٤.

ومن المخالفة بين الواوات أيضاً الأوزان(فُعْلول)، و(مفعـــول)، و(أفْعُــول) شريطة أن تكون من الواوي المضعّف كقولنا: قُوّيّ، ومقويّ، وأُقْويٌّ. وأصل هـــذا الإعلال على التوالي: قُوُوّ مقْوُوّ ، وأُقْوو.

ويعلل سيبويه ذلك باجتماع الواوات حيث يقول:" وتقول في مفعول من قويـتُ: هذا مكان مقويّ فيه، لأنهن ثلاث واوات بمنزلة ما ذكرت لك في فُعْلول من غزوت، وإنما حدها مقوُوّ"(١). وكقوله أيضاً:" وتقول في أُفْعُولِ من قويتُ أُقْويٌّ لأن فيها مـــا في مفعول من الواوات فغيّر منها ما غيّرتَ في مفعول منها"(٢).

وأرى أن قانوني المماثلة والمخالفة الصوتية قد أثرا في بناء هذه الكلمات، فقـد حدثت بدايةً مخالفةٌ صوتيةٌ أدت إلى قلب الواو(شبه الحركة) إلى ياء(شبه الحركــة) ثم حدثت مماثلة صوتية لما بعد الياء (شبه الحركة) ومماثلة للحركة التي تسبق الياء حيث قلبت من ضمّة (صائت قصير u) إلى كسرة(صائت قصير i). ويمكن توضيح ذلك من خلال الكتابة الصوتية التالية:

مقْوُوٌّ	←	مقْوِيٌّ
makwuwwun	←	makwiyyun
أقْوُوٌّ	←	أُقْوِيٌّ
'ukwuwwun	←	'ukwiyyun
قُوُوٌّ	←	قُوِّيٌّ
kuwwuwwun	←	kuwwiyyun

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٠٧.

(٢)المصدر نفسه ٤/٤٠٨.

ثالثاً: نماذج من الإعلال بالنقل والحذف

يُعرّف الإعلال بالنقل على أنه نقل حركة حرف العلّة إلى الحرف الذي يتبعهُ مع إسكان حرف العلة[1].

ولم يصرح سيبويه بتعريف للإعلال بالنقل وإنما نتعرّف مفهوم الإعلال من خلال التطبيق، حيث أورد سيبويه إشارة لهذا الإعلال في باب ما لحقته الزوائد من هذه الأفعال المعتلة من بنات الثلاثة، حيث يقول:" فإذا كان الحرف الذي قبل الحرف المعتل ساكناً في الأصل ولم يكن ألفاً ولا واواً ولا ياءً فإنك تسكن المعتل وتحول حركته على الساكن، وذلك مطرد في كلامهم"[2].

وقد أورد الحملاوي أربعة مواضع للنقل وهي:

١- الفعل المعتل العين.

٢- الاسم المشبه للفعل المضارع وزناً فقط بشرط أن يكون فيه زيادة يمتاز بها عن الفعل مثل وزن مَفْعَل.

٣- المصدر لـ(إفعال واستفعال) من الأجوف.

٤- صيغة مفعول من الأجوف[3].

وسأعرض نماذج لهذا الإعلال على الأقسام الأربعة التي عرضها الحملاوي محاولاً كتابتها صوتياً لملاحظة التغير الذي يطرأ عليها من خلال علم الأصوات الحديث:

يَبْيِعُ ←——— يَبِيعُ

yabyi<u ←——— yabii<u

(١) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/٣٤٥.

(٣) الحملاوي، شذا العرف ١٦٧-١٦٨.

يَقْوُلُ ← يقُولُ

yaḳwulu → yaḳuulu

مَعْيِش ← معاش

ma<yašun → ma<aašun

مَقْوَم ← مقَام

maḳwamun → maḳaamun

إقْوَامة ← إقَامة

'iḳwaamatun → 'iḳaamatun

اسْتَقْوَمة ← استقامة

'istaḳwamatun → 'istiḳaamatun

مَشْيِب ← مَشيب

mašyibun → mašiibun

من خلال هذه الكتابة الصوتية يتبين لنا أنه ليس هناك ما يسمى بالإعلال بالنقل، أي نقل حركة حرف العلة إلى ما قبله ثم إسكان حرف العلّة، وإن ما حدث في هذه الأمثلة هو سقوط شبه الحركة والتعويض عنها بإطالة الحركة.

فليس هناك إعلال بالنقل وإنما هذا الإعلال هو إعلال بالحذف ثم إطالة الحركة تعويضاً عن شبه الحركة المحذوفة.

أمّا الإعلال بالحذف فهو التغير الذي يطرأ على حروف العلّة بحذفها، وقد أشار سيبويه لعلة الحذف، إذْ يمكن جمع العلتين بالثقل والتقاء الساكنين، يقول سيبويه في علة الثقل:" فأما فِعَلةٌ إذا كانت مصدراً فإنهم يحذفون الواو منها كما يحذفونها من فِعْلِه، لأن الكسر يستثقل في الواو، فاطّرد ذلك في المصدر"(١)، ويقول في علّة التقاء الساكنين:" ونقول في الياء مبيع ومَهيب، أُسكنت العين وأذهبت واو مفعول، لأنه لا

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٣٤٢.

يلتقي ساكنان"[١]. وقد قسّم الحملاوي الحذف قسمين: القياسي ويكون لعلتي الاستثقال والتقاء الساكنين وغير القياسي ويقال له الحذف الاعتباطي[٢].

ومن مواضع الحذف التخفيف في مثل هيِّن وسيِّد لتصبح هيْن وسيْد، وعلل سيبويه ذلك بالثقل:" فإنهم يحذفون العين... لاستثقالهم الياءات"[٣].

ويتم الحذف أيضاً في جمع المذكر السالم من الاسم المنقوص مثل: القاضون، وكذلك في عين مفعول من الأجوف مثل: مبيع، ومقول. وحذف العين في الأجوف حين إسناده إلى الياء المتحركة مثل: قُلتُ وبعتُ، والحذف في الأفعال الناقصة إذا حذفت أو أُسندت إلى التاء الساكنة أو بنيت بالحذف، وغير ذلك من المواضع.

وسأعرض بعض النماذج للإعلال بالحذف:

هيِّنٌ	←	هيْنٌ
hayyinun	←	haynun
مَسْوُوقٌ	←	مَسُوقٌ
maswuuḳun	←	masuuḳun
لم يرمي	←	لم يرمِ
lam/yarmii	←	lam/yarmi
لم يدنو	←	لم يدنُ
lam/yadnuu	←	lam/yadnu
لم يقوم	←	لم يقُم
lam/yaḳuum	←	lam/yaḳum
امشي	←	امشِ
'mšii	←	'imši
مَضَيَتْ	←	مَضَتْ
maḍayat	←	maḍat

(١) سيبويه، الكتاب ٣٤٨/٤.

(٢) الحملاوي، شذا الصرف ١٦٨.

(٣) سيبويه، الكتاب ٣٦٩/٤.

من خلال هذه الكتابة الصوتية يتبين لنا أن الحذف على ضربين:

أ- حذف تام، حيث يحذف شبه الحركة كما في الاسم المفعول مسُـوق حيث حذف شبه الحركة(الواو)، والحركة المزدوجة الهابطة في مثل هيْن.

ب- تقصير الحركة، حيث تقصّر الحركة دون حذف فعلي لها في مثل الأمثلة المتبقية حيث قصّرت في لم يرمِ من صائت طويل(ii) إلى صائت قصير (i) وفي لم يدنُ من صائت طويل (uu) إلى صائت قصير (u).

وفي خلاصة هذا المبحث أود أنْ أشير إلى أن الإعلال على ضربين، أولهما بالقلب وثانيهما بالحذف، أما الإعلال بالنقل فهو ضرب من الإعلال بالحذف، حيث تحذف شبه الحركة الواو (w) ، والياء (y)، ويعوّض عنهما بإطالة الحركة بعدهما.

الوقـــــــف

بعد أن قمت بالاطّلاع على موضوع الوقف عند سيبويه ارتأيتُ أن أُصنفهُ إلى الأبواب التالية:

١- الوقف بالإبدال.

٢- الوقف بالحذف.

٣- الوقف بالزيادة.

٤- الوقف بالإشمام والروم.

٥- الوقف بتحريك ما قبل الآخر.

أولاً: الوقف بالإبدال

بعد أن نظرت في المواضع التي يتم فيها إبدال صوت من آخر في حالة الوقف، استطعت أن أحصرها في المواضع الآتية:

١- **الوقف بإبدال تاء التأنيث المربوطة هاءً**، ومثال ذلك: حمزهْ وطلحهْ، حيث أبدلت التاء هاءً ساكنة لأن أساس الوقف هو التسكين، وقد علل سيبويه هذا الوقف بقوله:" أرادوا أن يفرقوا بين هذه التاء والتاء التي هي من نفس الحرف"[١].

أما علة إبدال التاء هاءً لا غير فلم أجد تفسيراً لذلك عند سيبويه، أما في شرح الشافية فقد علل الاسترباذي ذلك بقوله:" وإنما قلبت هاءً، لأن في الهاء همساً وليناً أكثر مما في التاء"[٢].

وقد أشار سيبويه في باب"هذا باب ما أواخر الأسماء فيه الهاء"[٣]. في نداء المرخم إلى أنّ هذه الهاء هي للإلحاق وليست للإبدال ويقول:" واعلم أن العرب الذين يحذفون في الوصل إذا وقفوا قالوا: يا سلمهْ ويا طلحهْ. وإنما ألحقوا هذه الهاء ليبينوا حركة الميم والحاء، وصارت هذه الهاء لازمة لهما في الوقف كما لزمت الهاء وقف ارمهْ، ولم يجعلوا المتكلم بالخيار وحذف الهاء عند الوقف وإثباتها من قبل أنهم جعلوا الحذف لازماً لهاء، التأنيث في الوصل"[٤].

ثم يفسر سيبويه عدم قدرتنا على حذف التاء؛ لأن حذف التاء في الوقف يلزمه تسكين حركة ما قبل التاء وبالتالي يكون إخلال بالكلمة، يقول سيبويه:" فبيّنت الحركة بالهاء في السكوت لكون ثباتها في الاسم على كل حال؛ لئلا يُخلّوا به".

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٦٦.

(٢) الاسترابادي، شرح الشافية ٢/٢٨٨-٢٨٩.

(٣) سيبويه، الكتاب ٢/٢٤١.

(٤) المصدر نفسه ٢/٢٤٢.

ومما يؤكد أنّ هذه الهاء ليست إبدالاً من التاء المربوطة وإنما هي هاء السكت التي زيدت لتبين الحركة التي تسبقها أنّ الشعراء يقفون دون هاءٍ وإنما يمطلون حركة ما قبل التاء ومن ذلك قول الشاعر القُطَامي:

قفي قبل التفرّق يا ضُباعا ولا يكِ موقفُ منك الوداعا[1]

فقد حذف الشاعر التاء المربوطة في " ضباعة" ومطل حركة ما قبل التاء لتصبح ألفاً.

والوقف على التاء المتحركة تاءً ساكنة أيضاً لغة من اللغات ذكرها السيوطي[2]. وفي كلتا الحالتين لم تختلف طبيعة المقطع في الكلمتين، ولكن اختلفت طبيعة مكوناته، فالمقطع الذي ينتهي بالهاء هو مقطع ينتهي بصوت استمراري، والذي ينتهي بالتاء ينتهي بصوت وقفي"[3].

ويمكن تفسير ذلك من الناحية الصوتية الحديثة حيث إن سقوط التاء في حال الوقف يترتب عليه وجود حركة قبل التاء في مثل طلحة لا تلائم الوقف لأن لا يوقف على متحرك وإنما يوقف على مقاطع مغلقة، وإذا وقف على سكون ما قبل التاء فإنه يخلّ فزيدت الهاء لإقفال المقطع المفتوح كما في الآتي:

طلحة ← طلح ← طلحهْ

ṭalḥatu ← ṭalḥa ← ṭalḥah

وبعضهم أبدل الهاء من التاء المفتوحة في مثل فرات حيث وقفوا عليها بالهاء"فراه"، وقد علل ابن جني هذا الإبدال بما يشبه القياس الخاطئ أو الحمل على

---

(١)ديوانه ٣٧، وابن يعيش ٧/٩١، والخزانة ١/٣٩١، والهمع ١/١١٩، وشرح شواهد المغني ٢٨٧، والأشموني ٣/١٧٣، والكتاب ٢/٢٤٣.

(٢)السيوطي، المزهر، تحقيق محمد لأحمد جاد المولى وآخرون(القاهرة: البابي الحلبي) ج، ص ٢٥٦.

(٣) سمير ستيتية، تحليل الظواهر الصوتية في قراءة يعقوب الحضرمي، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ع٤٧، ص ٨٣.

التوهم "وذلك أنك ترى التاء في الفرات تشبه في اللفظ تاء فتاة وحصاة وقطاة، فلما وقف وقد أشبه الآخر أبدلت التاء هاء، ثم جرى على ذلك في الوصل"[1].

وقد ذهب بعض المحدثين إلى أن هذا ليس من الإبدال في شيء وإنما هو وقف بحذف آخر الكلمة يظن معه السامع أن الكلمة تنتهي بالهاء[2].

(١) ابن جني، المحتسب ١/١٣٠.

(٢)ينظر في هذا الموضوع باب الإبدال الصائت من الصامت في حالة الوقف من الرسالة نفسها صفحة (٧٥).

٢- **الوقف على الاسم المنون في حالة النصب بإبدال التنوين ألفاً** مثل: رأيت زيداً، وعلل ذلك سيبويه بقوله:" كراهية أن يكون التنوين بمنزلة النون اللازمة للحرف"[١].

وقد وقف بعض العرب على المنون في حالة النصب بحذف التنوين مطلقاً وإسكان آخره فقالوا:" رأيت فرجْ، ولم يحكِ سيبويه هذه اللغة لكن حكاها الجماعة أبو الحسن وأبو عبيدة وقطرب وأكثر الكوفيين"[٢].

ويرى ابن يعيش أن هذا التنوين مثل الحركة الإعرابية الفتحة فكما أن الفتحة تسكن في حال الوقف فإن التنوين يسكن وتبقى الألف يقول ابن يعيش:" وإنما أبدل من التنوين ألفٌ في حال النصب، لأن التنوين زائد يجري مجرى الإعراب من حيث كان تابعاً لحركات الإعراب، فكما أنه لا يوقف على الإعراب فكذلك التنوين لا يوقف عليه"[٣].

وأرى أن التنوين(النون الساكنة) حذف ثم مُدّت حركة ما قبل التنوين وهي الفتحة لنحصل على زيدا ويمكن تمثيل ذلك بالكتابة الصوتية التالية:

زيداً ← زيدَ ← زيدا

zaydan ← zayda ← zaydaa

وعلى الرغم من أن العربية لا تقف على مقطع مفتوح إلا أنها أجازت في حالة الفتح الوقوف على مقطع مفتوح طويل[٤].

٣- **الوقف بإبدال الياء هاء**، وهي لغةٌ لتميم، كقولهم: هذه فلانة[٥]. ويقول سيبويه أيضاً:" وأبدلت من الياء في "هذهِ". وذلك في كلامهم قليل" [٦]. وعلل سيبويه

(١) سيبويه، الكتاب ١٦٦/٤.

(٢) ابن جني، الخصائص ٩٧/٢.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل ٦٩/٩.

(٤) ينظر في هذا الموضوع باب إبدال الصامت من الصائت في حالة الوقف(٧٢-٧٦).

(٥) سيبويه، الكتاب ١٨٢/٤.

(٦) المصدر نفسه ٢٣٨/٤.

ذلك بخفاء الياء وبخاصة عند الوقف عليها يقول سيبويه:" ونحو ما ذكرنا قول بني تميم في الوقف: هذهْ؛ فإذا وصلوا قالوا: هذي فلانة؛ لأن الياء خفيّة فإذا سُكتَ عندها كان أخفى، والكسرة مع الياء أخفى، فإذا خفيت الكسرة ازدادت الياء خفاءً كما ازدادت الكسرة؛ فأبدلوا مكانها حرفاً من موضع أكثر الحروف بها مشابهةً، وتكون الكسرة معه أبين"(١). أما أهل الحجاز فألزموها الهاء في الوقف وغيره، وأما طيّئ فألزموها الياء(٢).

وقد أورد ابن عصفور الدليل على أن الأصل في هذا الإبدال هو الياء لقوله: " وأبدلت من الياء في "ذيّا"، [وفي تحقير تي: تيّا]. وذي إنما هو تأنيث"ذا"، فكلما لا تجدُ الهاء في المذكر أصلاً فكذلك المؤنث"(٣). إذاً فالتصغير يرد الحروف إلى أصولها وبالتالي فأصل الإبدال هو الياء ثم أبدلت الياء هاء.

ويمكن لنا أنْ نفسّر ذلك من المنظور الصوتي الحديث بالتخلص من المقطع المديد المفتوح في حالة الوقف- وهو الأصل في الوقف- فقد أبدلت الياء هاء للتخلص من هذا المقطع، ويمكن لنا أن نوضح هذا الإبدال من خلال الكتابة الصوتية التالية:

هــذي ◄ بالوصل هذهِ ◄ بالوقف هذه

hāḏih ◄—— hāḏihi ◄—— hāḏii

فالإبدال في الوصل كما ألزمه أهل الحجاز لم يكن إبدالاً وإنما إقحام الهاء بين حركتين ii لتصبح ihi فهذه الهاء- من وجهة نظري- مزيدة وليست مبدلة، أما في حالة الوقف فقد قصّرت الحركة الطويلة ii لتصبح i ثم زيدت "h" فأصبحت dih.

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٨٢.

(٢) المصدر نفسه ٤/١٨٢.

(٣) الممتع في التعريف ٢٣٠.

٤- **الوقف بإبدال الألف همزة**، وذلك قولهم: رأيتُ رجلأْ، وهذه حبلأْ، وهو يضربُهأْ[١]. وقد فسر سيبويه هذا الوقف بقوله:" فهمز لقرب الألف من الهمزة حيث علم أن سيصير إلى موضع الهمزة، فأراد أن يجعلها همزة واحدة، وكان أخفّ عليهم"[٢].

أي أنّ الذي يقف على الألف لا بُدّ له أن سيقطع امتداد صوته فعند قطع الصوت يكون الهمز، لذلك قصّر الطريق عليه فهمز مباشرةً. ولم يكن الوقف بالهمز على التنوين فقط وإنما على كل ألفٍ مثل يضر بهأ.

وعلى الرغم أنهُ يمكن الوقوف على المنون المنصوب بالألف أي بمقطع طويل مفتوح، إلا أنه وقف أيضاً بمقطع مقفل وذلك بهمز الصوت الأخير، فقد طرد الباب على وتيرة واحدة في إقفال المقطع الأخير على الرغم من جواز الوقوف بمقطع طويل مفتوح.

ويلاحظ أن الألف في "حبلى" هي ألف التأنيث وفي "رجلا" ألف الوقوف في المنصوب المنون، وفي " يضربها" ألف الضمير، وقد عومِلتْ جمعياً بصورة واحدة مماَ يدل على أن الدافع إلى ذلك كان صوتياً محضاً[٣].

وقد فسّر النعيمي ذلك بقوله:" وهذا الوقف على الألف معناه أن اللغة الفصحى أساغت الوقف على المقطع المفتوح بنبر الطول وهو ما فرت منه في حالتي الرفع والجر إلا أن بعض العرب كما ذكر ابن جني نقلاً عن سيبويه قد وقف على الألف بصرف النظر عن أصلها بأن أبدلها همزة أي أنه تحول من نبر الطول إلى نبر الشدة ليتحصل له الوقف على مقطع مقفل"[٤].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٧٦-١٧٧.

(٢)المصدر نفسه ٤/١٧٦-١٧٧.

(٣)حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ١٠٣.

(٤)حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ١٠٣، وينظر هذه الرسالة باب إبدال الصامت من الصائت في الوقف صفحة (٨٩).

٥- **الوقف بإبدال الهمزة واواً أو ياءً أو ألفاً:** وذلك قولهم هو الوثوْ، يريدون: هو الوثؤ، ومن الوثي، ورأيت الوثا، فتسكن الثاء في الرفع والجر، أما في النصب فتفتح الثاء[١].

ومن الوجهة الصوتية الحديثة فلا يعتبر هذا إبدالاً وإنما هو حذف ويمكن أن نمثل ذلك كالآتي:

هذا الوثْءُ ←— هذا الوثُ ←— هذا الوثو

'alwat'u ←— 'alwatu ←— 'alwatuu

فما حدث هو حذف الهمزة ثم مد الحركة القصيرة(الضمة) لتصبح حركة طويلة(الواو)، ولم يحدث إبدالٌ البتة.

وفي قولنا من الوثي يمكن تمثيلها كالتالي:

من الوثْءِ ←— من الوثِ ←— من الوثي

'alwt'i ←— 'alwti ←— 'alwatii

وفي حالة النصب رأيتُ الكلأ فتصبح رأيتُ الكلا يمكن تمثيلها كالآتي:

'al kala'a ←—— 'al kalaa

فما حدث هو سقوط الهمزة والبقاء على الحركة الطويلة الألف" aa" .

وقد تمّ تناول هذا في باب إبدال الصائت من الصامت في حالة الوقف في صفحة(٩١-٩٣).

٦- **الوقف بإبدال الألف ياء**، وهي لغةٌ لفزارة وناس من قيسٍ، كقولنا في هذه أفعى: هذه أفعي[٢]. وبعضهم أبدلها واواً وهم بعض طيِّئ حيث يقولون: هذه أفعو، ويعلل سيبويه ذلك في أنها أبين من الياء،" ولم يجيئوا بغيرها لأنها تشبه الألف في سعة المخرج والمد"[٣].

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٧٨.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/١٨١.

(٣)المصدر نفسه ٤/١٨١.

أما الوقف على الألف" فتخفى غاية الخفاء حتى تُظنَّ معدومـــة"[1]، وقـد عــدّ الاستراباذي الإبدال بالواو أكثر لخفّة الياء في الوقف يقول:" والياء أكثر من الـــواو في لغة طيّئ وفي مثله؛ لأنه ينبغي أن يُراعى الخفة اللائقة بـــالوقف مــع مراعـــاة البيان"[2].

وقد فسّر المحدثون هذا الوقف، يقول إبراهيم أنيس:" ويظهر من هـــذا-ومـمـا سنراه في هاء السكت- أن بعض القبائل كانت تنفر من الوقف على المتحــــرك ولا سيّما إذا كانت الحركة هي الفتحة قصيرة أو طويلة-كما تعلم- هي ألف المد، وتنفــر تلك القبائل من الوقف على الفتح سالكةً عدة طرق:

١- مد المقصور ٢- قلب الألف المتطرفة ياءً أو واواً ساكنتين"[3].

ويرى البعض أنّ الألف ليست هي التي تبدل ياء أو واواً وإنما الإبـــدال هـــو للفتحة القصيرة[4].

وما دام أن هذه الواو والياء ليستا مديتين فإنهما يشبهان الصـــوت الصــامت. فهما- الياء والواو- ليستا لينتين أي لم يتسع لهواء الصوت مخرجهما كما الحال في اللينة، وعلى ذلك يمكن القول إننا وقفنا على مقطع مغلـــق وليـس مفتوحـــا أي أن المقطع أقفل بشبه صائت واو أو ياء عل النحو التالي:

أفعى ← أفعَيْ

’af<aa ← ’af<ay

أفعى ← أفعَوْ

’af<aa ← ’af<aw

إنّ ما حدث هو تقصير الحركة الطويلة، ثم جيء بشبه الحركة (الواو أو الياء) لإغلاق المقطع المفتوح، لأن العرب تكره الوقف على المقاطع المفتوحة.

---

(١) الاستراباذي، شرح الشافية ٢/٢٨٦.

(٢) المصدر نفسه ٢/٢٦٨.

(٣) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ٢١٦.

(٤) زكي علي العرموطي، الوقف ومظاهره في العربية (رسالة ماجستير) ص ١٢٤.

٧- **الوقف بإبدال الياء جيماً**، وهي لغة بني سعد، وذلك قولهم: هذا تميمجّ، يريدون: تميمي، وهذا علجّ، يريدون: عليّ[١].

وعلل سيبويه هذا الإبدال في الوقف بالبيان لأن الجيم أبين من صوت الياء وفي ذلك يقول:" وأما ناسٌ من بني سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفيّة فأبدلوا من موضعها أبين الحروف وذلك قولهم: هذا تميمج، يريدون: تميمي وهذا علجّ، يريدون: عليّ"[٢]. ويرى ابن يعيش كما يرى سيبويه بخفاء الياء والتشابه في كل شيء باستثناء أن الجيم شديدة والياء رخوة. يقول ابن يعيش:" ... ولولا شدتها لكانت ياء، وأصل هذا الإبدال لكراهية الوقف على الياء لخفائها بالحركة"[٣].

ويمكن أن نمثل هذا التغير الصوتي كالآتي:

تميميٌّ ⟵ تميمجٌّ

tamīmiyyun ⟵ tamīmiğğun

فقد أبدلت" y" إلى " g".

٨- **الوقف على كاف الخطاب للمؤنث بالشين**، وقد علل سيبويه هذه الظاهرة الصوتية حتى لا يقع اللبس حين الوقوف على كاف الخطاب بين المذكر والمؤنث، وفي ذلك يقول سيبويه:" وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف؛ لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة. فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف... وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها؛ لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة... وذلك قولك: إنّشِ ذاهبةٌ، و(مالش ذاهبة)، تريد:(إنكِ)، و(مالك)" [٤].

أما علة إبدال الشين من الكاف وليس حرفاً آخر فقد أشار سيبويه إلى علتين صوتيتين أولاهما قرب المخرج وثانيهما صفة الهمس، فقال:" وجعلوا مكانها أقرب

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٨٢/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٨٢/٤.

(٣) ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف ٣٣٠، وينظر هذا الإبدال في باب الإبدال من هذه الأطروحة صفحة (٨٨).

(٤) سيبويه، الكتاب ١٩٩/٤.

ما يشبهها من الحروف إليها لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق لأنها ليست من حروف الحلق"[١].

وفسّر فوزي الشايب هذه الظاهرة على أساس قانون الأصوات الحنكيّة، ذلك القانون الذي توصل إليه العلماء من خلال مقارنتهم اللغة السنسكريتية باللغتين اليونانية واللاتينية في أواخر القرن التاسع عشر فقد لاحظوا من خلال مقارنتهم تلك أن الأصوات الطبقية كالكاف"k" أو القاف "g" تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية حين تليها الكسرة؛ لأن الكسرة تؤثر على الصوت الطبقي فتجذبه إلى الأمام قليلاً، فينقلب الصوت الطبقي إلى نظيره من أصوات وسط الحنك[٢].

وعليه فما يعرف بالكشكشة ما هو إلا ظاهرة صوتية في اللغات عامة فكما تحولت الكاف"k" والقاف "g" بفعل الكسرة إلى الجيم الفصيحة وإلى "تش" "tš" و"تس" "ts" فقد تحولت الكاف في الكلمة اللاتينية "circa" وتنطق "kirka" إلى صوت مزدوج مهموس هو "تش""tš" ومن ثم صارت تنطق في الإيطالية "čirca" في حين بقيت الكاف على حالتها في الكلمة "carcum"، وذلك لعدم وجود الكسرة بعد الكاف. وعلى ذلك فلا بد أن تكون هذه الظاهرة في حالة الوصل حتى يطبق قانون الأصوات الحنكية لوجود الكسرة. ومما يدل على أن هذه الظاهرة استخدمت كثيراً في الوصل الشواهد الشعرية والقراءات القرآنية ومن ذلك[٣] يقول الشاعر:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها   سوى عن عظم الساق منش دقيق[٤].

وقد قرأ بعض القراء[٥]:" قد جعل ربش تحتش سريا"[٦]

---

(١) المصدر نفسه ٤/١٩٩.

(٢)تنظر هذه الظاهرة الصوتية من الأطروحة نفسها في باب إبدال الصامت من الصائت في حالة الوقف صفحة (   ).

(٣) فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ٢٧٤.

(٤) انظر ابن دريد، الجمهرة ١/٦، وانظر أبا الطيب، الإبدال اللغوي ٢/٢١١.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل ٩/٤٩.

(٦)سورة مريم، الآية ٢٤.

ثانياً: الوقــف بالحــذف

ويتم الحذف في المواضع التالية:

١- حذف الحركة على لغة من وقف على التاء المربوطة بالتسـكين علـى التاء المفتوحة، يقول سيبويه:" وزعم أبو الخطّاب أن ناساً من العرب يقولون فـي الوقف: طلحتْ"(١).

والوقف بالسكون هو الأصل في الوقف، فعلى الرغم من تعدد وسائل الوقـف إلا أن ما يجمع هذه الوسائل هو التسكين حيـث يغلـق المقطـع بإسـكانه. يقـول الصميري:" أعلم أن أصل الوقف السكون"(٢). وقال ابن يعيش:" هو الأصل والأغلب الأكثر"(٣).

٢- حذف الياء في الاسم المنقوص غير المنصوب، ومثاله: هذا قاضْ، وهـذا غازْ، هذا عمْ(٤).

وعلل سيبويه هذا الحذف بقوله:" أذهبوها في الوقف كما ذهبت في الوصـل، ولم يريدوا أن تظهر في الوقف كما يظهر ما يثبت في الوصل. فهذا الكـلام الجيّـد الأكثر"(٥).

ويرى ابن الأنباري أن الحذف لعلتين:" تقول: هذا قاضٍ يـا فتـى، ومـررت بقاضٍ، والأصل هذا قاضيٌ، ومررتُ بقاضيٍ إلا أنهم استثقلوا الضمة والكسرة على الياء فحذفوهما فبقيت الياء ساكنة، والتنوين ساكناً فحذفوا الياء لإلتقـاء السـاكنين، وكان حذف الياء أولى من حذف التنوين لوجهين: **أحدهما** أن الياء إذا حذفت بقي في اللفظ ما يدل عليها، وهي الكسرة بخلاف التنوين، فإنه لو حذف لم يبق في اللفظ مـا

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٦٧/٤.

(٢) الصميري، التبصرة والتذكرة ٧١٦/٢.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل ٦٧/٩.

(٤) سيبويه، الكتاب ١٦٧/٤.

(٥) المصدر نفسه ١٨٣/٤.

يدل على حذفه، فلما وجب حذف أحدهما كان حذف ما في اللفظ دلالة على حذفه أولى. والثاني: أن التنوين دخل لمعنى وهو الصرف. وأما الياء فليست كذلك، فلما وجب حذف أحدهما كان تحذف ما لا يدخل لمعنى أولى من حذف ما دخل لمعنى"(١).

إذاً فحذف الياء لالتقاء الساكنين-الياء والتنوين- والعلة الثانية في أنّ التنوين دخل لمعنى الصرف على حين أن الياء ليست لمعنى فكانت أولى من حذف التنوين.

ويرى المستشرق(وليم رايت) أنّ ما حدث هنا ليس حذفاً للحركة الموجودة على الياء؛ لأجل أن يلتقي ساكنان، بل هو حذف للمزدوج الصاعد: (يُ- yu) في حالة الرفع و(يِ- yi) في حالة الجر (٢).

وبذلك يتصل التنوين مباشرة بعين الكلمة وعند الوقف تحذف التنوين والحركة السابقة له، ويمكن أن نمثل ذلك كالآتي:

في حالة الرفع:

قاضيٌ ⟵ قاضٍ ⟵ قاضْ

ḳādiyun ⟵ ḳādin ⟵ ḳād

أما في حالة الجر:

قاضيٍ ⟵ قاضٍ ⟵ قاضْ

ḳādiyin ⟵ ḳādin ⟵ ḳād

أما إذا كان الاسم المنقوص معرّفاً بال ففيه وجهان:

أ- إثبات الياء، يقول سيبويه:" فإذا لم يكن في موضع تنوين فإن البيان أجود في الوقف، وذلك قولك: هذا القاضي وهذا العمي؛ لأنها ثابتة في الوصل"(٣).

---

(١) الأنباري، أسرار العربية ٣٧.

(٢) Wright. A Grammar of language. Vol.1 P.go وينظر د. فوزي الشايب، تأملات في بعض ظواهر الحذف ٧١.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/١٨٣.

ب- حذف الياء والوقوف بالإسكان، يقول ابن يعيش:" كأنهم شبهوه بما ليس فيه ألف ولام ثم أدخلوا فيه الألف واللام بعد أن وجب الحذف فيقولون: هذا القاضْ والرامْ"[١].

وقد ورد هذا في فواصل الآيات يقول تعالى:" يوم التنادْ"[٢]، و"الكبير المتعالْ"[٣].

أما في حال النصب فالبيان واجب يقول سيبويه:" وأما في حال النصب فليس إلا البيان؛ لأنها ثابتة في الوصل فيما ليس فيه ألف ولام، ومع هذا أنه لما تحركت الياء أشبهت غير المعتل وذلك قولك: رأيت القاضي. وقال عزّ وجل:" كلا إذا بلغت التراقي" وتقول: رأيت جواري؛ لأنها ثابتة في الوصل متحركة"[٤]. فقد اعتبر سيبويه الياء المفتوحة أقرب إلى الصامت وبالتالي لا داعي من الحذف لأننا سنقف حينئذ على مقطع مغلق.

٣- إذا كانت الهمزة في نهاية الكلمة وقبلها ساكن وأردنا التخفيف فالحذف لازم ثم يجري التسكين على الحرف أو إشمامه أو رومه أو تضعيفه نحو: هذا الوثْ، ومن الوثْ، ورأيتُ الوثْ ورأيتُ الخبْ، وهو الخبْ "[٥].

إذاً تحذف الهمزة ويسكن ما قبلها، ويجوز أيضاً بدل التسكين الروم والإشمام، والتضعيف.

الوثْء ←—— الوثْ

'alwaṯ' ←—— 'alwaṯ

٤- الحذف في الأفعال المعتلة المنتهية بالياء، وقد عوملت في الوقف كمثل المنقوص، إذْ حُذفت هذه الياء ووقف عليها بالسكون وورد ذلك في الآيات القرآنية

---

(١) ابن يعيش، شرح المفصل ٧٥/٩.

(٢) سورة الكهف، الآية ٦٤.

(٣) سورة غافر، الآية ٣٢.

(٤) سيبويه، الكتاب ١٨٣/٤-١٨٤.

(٥) المصدر نفسه ١٧٩/٤.

وفي فواصل السور يقول جل من قائل:" والليل إذا يسْـر"[١]، " مـا كنـا نبـغْ"[٢].
وبالرغم من أنه تشكل مقطع مرفوض إلا أنه جائز في حالة الوقف. وقد عدّ سيبويه فواصل الآيات(ص ح ص ص) والقوافي باباً من أبواب الحذف وهي أجدر بالحذف من غيرها" وجميع ما لا يحذف في الكلام، وما يُختار فيه أن لا يحذف، يُحذف في الفواصل والقوافي"[٣].

أما في القوافي فقول زهير:

وأراك تفري ما خلقتَ وبعـ ضُ القوم يَخْلُقُ ثم لا يفْرْ[٤].

وهذا كله من أجل الوقوف على مقطع مغلق وليس مفتوحاً ويمكن أن أمثل ذلك من خلال الكتابة الصوتية التالية:

yafrii ⟵ yafr حيث تحولت نهاية الكلمة حال الوقف عليـها مـن مقطع طويل مفتوح ص ح ح إلى مقطع قصير مغلق بصامتين ص ح ص ص.

٥- **حذف ياء المتكلم**، وذلك قولك: هذا غلامْ، وأنت تريد: هـذا غلامـي[٥]، ومنها قراءة أبي عمرو:" فيقول ربي أكرمنْ"[٦]، و"ربي أهاننْ"[٧]. وشاهد هذا شعرا قول النابغة:

إذا حاولت في أسد فجورا فإني لست منك ولست منْ[٨].

ويبدو أن مسألة الحذف هي مسألة صوتية بحتة فسواءٌ كـانت الكلمـة اسـما منقوصاً أو فعلاً معتلاً ناقصاً أو كلمة منتهية بياء المتكلم فكلـها علـى المسـتوى الصوتي ياءٌ(حركة طويلة) فعند الوقف يفضل الوقف على مقطـع مغلـق وليس مفتوحاً، لذلك كان الحذف.

أكرمني ⟵ أكرمنْ

'akramanii ⟵ 'akraman

---

(١) سورة الفجر، الآية ٤.

(٢) سورة الكهف، الآية ٦٤.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/١٨٤-١٨٥.

(٤) انظر سيبويه، الكتاب ٤/١٨٥، وديوانه ٩٤، وابن جني المنصف ٢/٧٤.

(٥) سيبويه، الكتاب ٤/١٨٦.

(٦) سورة الفجر، الآية ١٥.

(٧) سورة الفجر، الآية ١٦.

(٨) ديوانه ٧٩، وانظر سيبويه، الكتاب ٤/١٨٦.

ثالثاً: الوقف بالزيادة

الوقف بزيادة الهاء

ويقع ذلك في المواضع التالية:

١- **الفعل المعتل الناقص في حالة الجزم:**" وذلك قولك في بنات الياء والواو التي الياء والواو فيهن في حال الجزم: ارمهْ، ولم يغزُهْ، واخشَهْ، ولم يقضهْ، ولم يرضَهْ"[١]. والعلة في ذلك كما يقول سيبويه:" وذلك لأنهم كرهوا إذهاب اللامات والإسكان جميعاً، فلما كان ذلك إخلالاً بالحرف كرهوا أن يسكنوا المتحرك"[٢].

وقد جوّز سيبويه الوقف بالهاء أو بدون زيادة إذْ يقول:" وقد يقول بعض العرب: ارمْ في الوقف، واغزْ، واخشْ... هذه اللغة أقل اللغتين"[٣].

والتعليل الصوتي الحديث هو ميل العربية إلى إقفال المقطع القصير المفتوح بزيادة ها السكت فليست لتبيان حركة أو التفريق بين لغة وأخرى، وإنما هي وسيلة لغاية، هي تمكين الوقوف على المقاطع القصيرة المغلقة فحسب[٤].

أما اللغة الثانية فيتم اسقاط أحرف العلة والوقف بتسكين الحرف الأخير الصحيح، وعد سيبويه هذه اللغة أقل شأناً من سابقتها لأنه يتم فيها حذفين أولهما حذف حرف العلة وثانيهما حذف الحركة. ويمكن أن نمثل حالة الحذف مع زيادة الهاء، وحالة الحذف مع التسكين كالآتي:

ارمي ← ارمِ ←(بزيادة الياء) ارمِهْ

'irmii ← 'irmi ← 'irmih

(١) سيبويه، الكتاب ١٥٩/٤.

(٢)المصدر نفسه ١٥٩/٤.

(٣)المصدر نفسه ١٥٩/٤.

(٤)فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت، الحولية الثامنة ١٩٨٧م، ص ٢٨.

فما حدث هو تقصير الحركة أي التحول من حركة طويلة إلى قصيرة ثم إقفال المقطع بصامت وهو الهاء للتخلص من المقطع القصير المفتوح في حالة الوقف والمعادلة الثانية:

ارمي ← ارمِ ← بدون زيادة الهاء ارمْ

'irmii ← 'irmi ← 'irm

حيث حُذف الصائت الطويل كاملاً وليس حذفاً وتسكيناً.

ويجب زيادة الهاء في حالة الوقف على اللفيف المفروق المجزوم وذلك لذهاب حرفين منه، يقول سيبويه:" وأما لا تَقِهْ من وقيتُ، وإن تع أعهْ من وعيتُ، فإنه يلزمها الهاء في الوقف... لأنها ذهبت منها الفاء واللام"[1]، حيث إن الفعل لم يبق منه سوى حرف واحد فوجبت زيادة الهاء ويمكن تمثيل ذلك صوتيا:

توقي ← تَقِي ← لا تقِ ← بزيادة الهاء لا تَقِهْ

tawkii ← takii ← laa taki ← laa takih

ففي تقي حذفت الواو وفي حالة الجزم قُصّرت الحركة من طويلة إلى قصيرة ثم زيدت هاء السكت لإغلاق المقطع القصير المفتوح.

٢- الكلمات المنتهية بالنون لتبين الحركة وما قبل آخرها ساكن:

أ- في الأسماء، مثال ذلك: هما ضاربانه، وهم مسلمونَهْ. وفي الضمائر مثل هُنَّهْ، وأسماء الاستفهام مثل: أينَهْ، فالعلة في هذه الزيادة هي بيان الحركة يقول سيبويه:" هذا باب ما تلحقه الهاء لتبيّن الحركة"[2]، وهذه الزيادة هي من قبيل الجواز وليست الوجوب" وكل متحرك ليست حركتُهُ إعرابية يجوز عليه الوقف بالهاء"[3].

إذاً فالعلة في زيادة الهاء كون هذه الحركة-نون جمع المذكر ونون المثنى- ليست إعرابية وإنما بنائية فلتبيين حركتها- كما أشار سيبويه- وللهروب من مقطع

(١) سيبويه، الكتاب ١٥٩/٤-١٦٠.

(٢) المصدر نفسه ١٦١/٤.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل ٤٥/٩.

مرفوض في حالة الوصل وبالتالي طرد الباب على وتيرة واحدة في حال الوقف. فإذا وقفنا بالسكون فإنه يتشكل لدينا المقطع ص ح ح ص وهو مقطع مرفوض في حالة الدرج، وجائز حين الوقف عليها ولطرد الباب على سُنّة واحدة جاز التخلص من هذا المقطع بزيادة الهاء وليس الوقف على النون بالتسكين فيصبح المقطع المقفل ص ح صْ وهو مقبول في الوصل والوقف.

ب- في الأفعال المنتهية بالنون مثل: ضربتنّهْ، وذهبتنّهْ[1]. والحال في هذه الأفعال كمثلها في الأسماء؛ فقد انتهت هذه الأفعال بحركة بنائية وليست إعرابية فلتبيين حركتها زيدت الهاء وكذلك يتشكل المقطع الثاني إذا وقفنا بالتسكين ص ح ص ص، وهو جائز في الوقف ممتنع في الوصل ولطرد الباب على وتيرة واحدة تخلصنا منه بإضافة هاء السكت. إذاً فزيادة هاء السكت لها أهميتان:

أولاً: تبيين الحركة البنائية في الكلمات.

ثانياً: طرد الباب على وتيرة واحدة في التخلص من المقاطع المرفوضة حتى في حالة الوقف على الرغم من جواز الوقوف عليها.

ج- في الأحرف المنتهية بالنون مثل: إنَّهْ، حيث ورد في الشاهد الشعري لعبد الله بن قيس:

وَيَقُلْنَ شيبٌ قد علا   كَ وقد كَبِرتُ فقلتُ إنَّهْ[2]

وكذلك الحال بالنسبة للأحرف في تبيين حركات أواخرها وطرد الباب على وتيرة واحدة والتخلص من المقطع القصير المفتوح الذي تكره العربية الوقوف عليه. إذْ يتحول المقطع إلى مقطع قصير مغلق بصامت (ص ح ص)، ويمكن توضيح ذلك بالمعادلة التالية:

إنّ ←—— إنّه

'inna ——► 'innah

(١) سيبويه، الكتاب ١٦١/٤.

(٢)ديوانه ٦٦، وانظر سيبويه، الكتاب ١٦٢/٤، و الجاحظ، البيان ٢٧٩/٢، وأمالي ابن الشجري ٣٢٢/١، وابن يعيش شرح المفصل ١٢٠/٣.

٣-الكلمات المتنهية بغير النون وقبل آخرها حرف ساكن مثل: كيفهْ، وليتهْ، ولعلّهْ. وفي الأفعال أيضاً: انطلقتهْ.

وفي الأسماء مثل: غُلاميّهْ، وعصايهْ، وبُشرايهْ(١). وعلل سيبويه عدم الوقف بتسكين الآخر بالتقاء الساكنين حيث يقول:" لأن ما قبله مُسكّن فكرهوا أن يسكن ما قبله، وذلك إخلالٌ به"(٢).

ويجوز أنْ لا تزاد الهاء، ويعلل سَيبويه ذلك بقوله:" وغير هؤلاء من العرب، وهم كثير، لا يلحقون الهاء في الوقف. ولا يبيّنون الحركة لأنهم لم يحذفوا شيئاً يلزم هذا الاسم في كلامهم في هذا الموضع، كما فعلوا ذلك في بنات الياء والواو"(٣).

فبعض العرب، وهم كثر، لم يجوّزوا إلحاق الهاء والسبب عندهم أن الزيادة يجب أن تكون لحذف مما يحدث نوعاً من التعادل في بناء الكلمة كما هو الحال في حذف أحرف العلة في الأفعال وزيادة هاء السكت وذلك لوجود حذف في بنية الكلمة.

و أرى أن طرد الباب على وتيرة واحدة في الدرج والوقف هو المسبب الحقيقي لزيادة الهاء، وليس لبيان الحركة حيث إن المقطعين(ص ح ح ص) والمقطع ص ح ص ص مرفوضان في حالة الوصل وجائزان في الوقف إلا إنه وللسير على السنّة ذاتها فقد تخلصوا من هذين المقطعين بزيادة الهاء.

ففي مثل ليتَ حينما نقف عليها بالتسكين تصبح المقاطع كالتالي:

ليتَ(في الوصل) ← لَيتْ(في الوقف بتسكينه) ← ليْتَهْ(في الوقف بزيادة الهاء)

ص ح ص/ص ح ← ص ح ص ص ← ص ح ص/ص ح ص

فالمقطعان في حالة الوصل ص ح ح و ص ح مقبولان في بنية الكلام بينما حين الوقف يتحول المقطعان إلى ص ح ح ص و ص ح ص وهذان المقطعان

(١)الكتاب ١٦٢/٤-١٦٣.

(٢)المصدر نفسه ١٦١/٤.

(٣)المصدر نفسه ١٦٢/٤.

جائزان في الوقف والمقطع ص ح ص جائز في الوصل والفصل، إلا أنه ولطرد الباب على وتيرة واحدة فقد تخلص بعض العرب من هذا المقطع حتى في الوقف فزيدت الهاء ليصبح المقطعان مقبولين في الحالات كافة وصلها ووقفها. ويمكن أن نمثل لعلّ في الوقف والوصل كالتالي:

لعلٍّ(وصل) ◄———— لعلّ(وقف) ◄———— لعلّهْ(وقف بالزيادة)

ص ح/ص ح ص/ص ح—◄ص ح/ص ح ص—◄ص ح/ص ح ص/ص ح ص

ولطرد الباب على وتيرة واحدة تخلص العرب منه بزيادة الهاء لتُقفل الكلمة في مقطع مقبول في الوقف والوصل وهو(ص ح ص) وهذه إحدى الطرق في إقفال المقطع في حالة الوقف.

٤- الكلمات التي قبل آخرها متحرك:

أ- ما انتهت بضمير المتكلم المتحرك بالفتح ومثاله: هذا غلاميَهْ، وجاء من بعد يَهْ، وإنّه ضربنيهْ[١].

أما إذا كان ساكناً فلا تلحقه الهاء؛ لأنّ الوقف يتم بالإسكان.

وقد علل سيبويه كراهية التسكين في ياء الضمير المتحرك بالفتح لسببين أولهما أنها ليست حرف إعراب وإنما هي اسم أضيف إلى بنية الكلمة وثانيهما أنها خفيّة فسهل تبيانها. وفي ذلك يقول سيبويه:" كرهوا أن يسكّنوها إذا لم تكن حرف الإعراب وكانت خفيّة فبينوها"[٢].

ويجوز الوقف عليها بالتسكين وعلل ذلك سيبويه إذْ يقول:" وأما من رأى أن يسكّن الياء فإنه لا يُلحق الهاء، لأن ذلك أمرَها في الوصل، فلم يُحذف منها في الوقف شيءٌ"[٣].

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٦٣/٤.

(٢)المصدر نفسه ١٦٣/٤.

(٣) المصدر نفسه ١٦٣/٤.

ب- الضمائر المنفصلة للغائب والغائبة وهما: هي، وهو. فقد وقفوا عليها بزيادة الهاء فقالوا: هيَه، وهوه.

وقد بين سيبويه علةَ هذا الوقف(الوقف على هي) بالتشابه بين الياء في هي مع ياء الضمير فقال:" وقالوا: هيهْ، وهم يريدون هي، شبهوها بياء بعدي"[١].

إذاً فعلة الوقف على هذه الياء كعلتها في الوقف على ياء المتكلم المتحركة فالعلة في ذلك هي أنها ليست حرف إعراب وهي خفيّة أيضاً لذلك تمت زيادة الهاء.

وعوملت الواو في(هو) معاملة الياء في هي وبيّن ذلك سيبويه بقوله:" وقالوا: هُوَهْ، لمّا كانت الواو لا تصرّفُ للإعراب كرهوا أن يُلزموها الإسكان في الوقف، فجعلوها بمنزلة الياء"[٢].

إذاً فالتعليل عند سيبويه قسمان:

أولاً: صرفي حيث عدّ الياء والواو بأنهما ليستا للإعراب فقد ميّز بين الياء التي هي للإعراب والتي ليست للإعراب وهذا تبرير صرفي.

ثانياً: صوتي، فقد عدّ الياء خفيّة فلخفائها الصوتي أراد العرب أن يبينوها فزيدت الهاء والسبب الصوتي لذلك هو عدم الوقوف على المقطع القصير المفتوح الذي تكره العربية الوقوف عليه، لذلك تزاد الهاء لإغلاق المقطع المفتوح على النحو التالي:

هِـي ← هيه

hiya ← hiyah

وهُـوَ ← هُـوَه

huwa ← huwah

---

(١)سيبويه، الكتاب ١٦٣/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٦٣/٤.

ج- الوقف على كاف الخطاب في حالة اتصاله:" ومثل ذلــك قولــهم: خُــذهْ. بحُكمكهْ"[1]، أما علة ذلك فلبيان الحركة فلو وقفنا على الكاف بالسكون وربما حــدث لُبسٌ بين الكاف للمخاطبة والمخاطب فزيادة الهاء يمتنع اللبس لأن حركــة الكــاف ستظهر، إضافةً إلى أنّ الكاف ليست حرفاً للإعراب مثلها مثلُ الوقــف علــى يــاء الضمير، كما أنّه جيء بالهاء لإغلاق المقطع القصير المفتوح.

٥- الوقف على "ما" الاستفهاميّة:

أ- المسبوقة بحرف الجر، نقول: علامَه، ومِمهْ، وبِمهْ، وحتامهْ؟ وعدّ ســيبويه هذا الوقف بأنه أجود والسبب في ذلك أن زيادة الهاء تكون فــي الأصــل لوجــود الحذف حيث إن الهاء هي تعويضٌ عن المحذوف يقول سيبويه:" فالهاء فــي هــذه الحروف أجود إذا وقفت، لأنك حذفت الألف من ما"[2]، ولم يعدّ سيبويه هذه الزيــادة واجبة ويعود ذلك أن بمَ لم تكن منفصلة وإنما متصلة بحرف ثانٍ فعُــدّت كحرفيــن مثلها مثل الوقف على ارمهْ واغزه فالزيادة في ارمه واغزه جائزة وليست واجبــة والأجود الزيادة لوجود حذف للياء والواو، والحال كذلك بالنسبة لـ"ما" الاســتفهامية المتصلة بحرف جر يقول سيبويه:" لأنك حذفت الألف من ما، فصار آخــره كــآخر ارمِهْ واغزُه"[3].

وبما أنّ- الوقف على ما الاستفهامية المجرورة بحرف جر كمثل الوقوف على الفعل المنقوص المحذوف الآخر فإنه يجوز الوقف أيضاً بحذف الألف دون زيــادة الهاء وإنما الوقف بالتسكين، وقد عدّ سيبويه ذلك لغة لقوم" وقد قــال قــوم: فيــم، وعلامْ، وبِمْ، ولِمْ؟ كما قالوا: اخشْ، وليس هذه قبل إنّ، لأنه لم يُحذف منها شيء من آخرها"[4].

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٦٣/٤.

(٢)المصدر نفسه ١٦٣/٤.

(٣)المصدر نفسه ١٦٣/٤.

(٤)المصدر نفسه ١٦٤/٤.

إذاً فالوقف على ما الاستفهامية المسبوقة بحرف جر يجوز فيها وجهان:

١- تقصير الصائت الطويل(الألف) ليصبح قصيراً(الفتحة) ثم زيادة هاء السكت لإقفال المقطع ويمكن أن نمثل ذلك صوتياً كالآتي:

بِمَا ← بِمَ ← بالوقف بِمَهْ

bimaa ← bima ← bimah

٢- حذف الصائت الطويل وبالتالي إقفال المقطع بصامت وهو الأكثر شيوعا:

بِمَا ← بِمْ

bimaa ← bim

ب- المجرورة بالإضافة، حيث أوجب سيبويه فيه زيادة الهاء إذْ يقول:" وأما قولهم: من مجيءَ مَ جئت، ومثلُ مَ أنت، فإنك إذا وقفت ألزمتها الهاء ولم يكن فيه إلا ثباتُ الهاء"(١)، والسبب في ذلك كما يُفهمُ من كلام سيبويه أنّ مَ لا يتكلم بها مفردة حيث لا يجوز التكلم بحرف واحد والوقوف عليه يقول سيبويه:" وأما الحروف الأوَل فإنها لا يتكلم بها مفردة من ما، لأنها ليست بأسماء فصار الأوّل والآخر بمنزلة حرف واحد لذلك"(٢).

وفسر الأزهري هذا الحذف إذْ يقول:" والأصل: جئت مجيءَ مَ؟ وهو سؤال عن صفة المجيء، أي: على أي صفة جئت؟ ثم أخّر الفعل؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام ولم يكن تأخير المضاف"(٣).

ومثل الوقف على ما كمثل الوقف على اللفيف المفروق فلا يبقى سوى حرف واحد منه لذلك يوقف عليه بزيادة الهاء وجوباً ويمكن أن نمثل ذلك كالآتي:

مـا ← مَ ← مهْ

maa ← ma ← mah

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٦٤/٤.

(٢)المصدر نفسه ١٦٥/٤.

(٣)الأزهري، شرح التصريح ٣٤٤/٢.

حيث قُصّر الصائت الطويل(الألف) إلى صائت قصير(الفتحة) وزيدت الهاء لإقفال المقطع المفتوح لتصير إلى مهْ(mah).

٦- **بعد الألف**، في مثل هؤلاه، وههُناه. وعلل سيبويه ذلك في أن الألف خفيّة فأرادوا بيانها فزيدت الهاء، يقول سيبويه:" وقد لحقت هذه الهاءات بعد الألف في الوقف لأن الألف خفيّة فأرادوا البيان"(١). ووضع سيبويه شرطاً لزيادة الهاء وهو أن تكون الأسماء غير متمكنة، فإذا كانت متمكنة كمثل أفعى وأعمى فلايحق. وفسر ذلك بالالتباس بهاء الضمير وأن هذه الحروف هي حروف إعراب" ولا يقولون في أفعى وأعمى ونحوهما من الأسماء المتمكنة، كراهية أن تلتبس بهاء الإضافة. ومع هذا أن هذه الألفات حروف إعراب"(٢).

وأرى في الوقف على هؤلاء بـ(هؤلاه) هو التخلص من الهمزة التي تخرج من الصدر باجتهاد فحذفت فبقيت الألف وهي صائت طويل وغالباً ما نتخلص من هذا الصائت في حالة الوقف فزيدت الهاء للوقف على مقطع مقفل بصامت ويمكن أن نمثل ذلك حسب المعادلة التالية:

هؤلاءِ ←—— هؤلاءْ ←—— هؤلا ←—— هؤلاه

laa'i ←—— laa' ←—— laa ←—— laah

فإذا وقفنا على الهمزة(وهذا جائز) فإنهُ تنشأ مسألتين:

أ- الوقف على همزة وفي ذلك اجتهاد وصعوبة.

ب- تشكل مقطع(ص ح ح ص) وغالباً ما يُتخلص منه في حالة الوقف وهو مرفوض في درج الكلام.

أما في الوقف على ههنا فإننا سنقف على مقطع طويل مفتوح حيث تخلصت العربية فيه في كثير من حالات الوقف فزيدت الهاء لإقفال المقطع بالرغم من تشكل المقطع(ص ح ح ص) بعد زيادة الهاء، فتخلصنا من مقطع مديد مفتوح(غير مستحسن في الوقف) إلى مقطع(ص ح ح ص) غير مستحسن أيضاً في الوقف) ولكن يبدو لي أنّ التخلص من المديد أهم من التخلص من ص ح ح ص لأن أصل الوقف هو الإقفال. وأمثل ذلك في المعادلة التالية:

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٦٥.

(٢)المصدر نفسه ٤/١٦٥.

هُهنـــا ◄——— هُهنـــاه

hāhunaa ◄——— hāhunaah

٧- **إلحاق الهاء مع الألف في النداء** مثل: ياغلاماه، وإلحاق الألف أو الـــواو أو الياء مع الهاء في الندبة مثل: وازيداه، واغلامهوهْ، واذهابَ غُلامهيه[١]. وأوضـــح الصّبّان الحكم في هذه الزيادة حيث يقول:" والذي في باب الندبة من الشرح والـــهمع وغيرهما أن الوقف على المندوب بالألف فقط جائز، وأن الجمع بين الألف والـــهاء غالبٌ لا واجب"[٢].

وعلل سيبويه هذه الزيادة بقوله:" لأنه موضع تصويت وتبييـــــن، فـــأرادوا أن يمدّوا فألزموها الهاء في الوقف لذلك، وتركوها في الوصل؛ لأنه يُستغنى عنها فـــي المتحرك في الوصل لأنه يجيء ما يقوم مقامها".

إذاً، فالنداء والندبة هي مواضيع للتصويت وإيصال الصوت لا بُدّ له من مدّ له فزيدت الألف والهاء لبيان الصوت وتوضيحه ومده. وتخلصنا من الوقف على الألف لميل العربية لإقفال المقطع المفتوح فزيدت الهاء لهذا الإقفال.

أما زيادة الواو والياء في واغلامهوه، ووذهاب غلامهيةْ فـــهي كمثـــل زيـــادة الألف مع الهاء، لأن الواو والياء تشبهان الألف في أنهما حرفا مدّ يُظهران الـــهدف المعنوي من الندبة وهو إسماع الصوت، ويمكن أن نمثل ذلك بالمعادلة التالية:

يا غلامُ ——◄يا غُلامْ ——◄ يا غُلاما ——◄يا غُلاماه

فلو وقفنا بتسكين الميم فإنه يتشكل ص ح ح ص وعلى الغالب تتخلص العربية منه في الوقف بالرغم من جواز الوقف عليه فزيدت الألف التي تـــؤدي إلـــى مـــدّ الصوت المرغوب في النداء فإذا وقفنا عليه فإننا نقف على مقطع مفتـــوح فزيـــدت الهاء للوقوف على مغلق.

والحال كذلك بالنسبة للندبة، ويمكن تمثيل ذلك كالآتي:

واغلامْ ———◄ واغلاما ———◄ واغلاماه

واغلامهُ ———◄ واغلامهو ———◄ واغلامهوه

واذهابَ غلامهِ ———◄ واذهابَ غلامهي ———◄ واذهابَ غلامهيه

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٦٥-١٦٦.

(٢) الصّبّان، حاشية الصبان ٤/٢١٨.

الوقـــف بالتضعيـــف

ويعرّف الوقف بالتضعيف بـ:" أن تجيء بحرف ساكن من جنس الحرف الموقوف عليه فيجتمع ساكنان فيحرّك الثاني، ويدغم فيه الأوّل"(١).

وعدّ سيبويه التضعيف زيادةً في التوكيد حيث يقول:" وأما الذين ضاعفوا فهم أشدّ توكيداً؛ أرادوا أن يجيئوا بحرف لا يكون الذي بعده إلا متحركاً لأنه لا يلتقي ساكنان"(٢).

أما علامة التضعيف فهي الشين، والشين أول حرف في شديد؛ فدلّ به عليه لأن الحرف مشدد(٣).

واعتُبر هذا الوقف قليل الاستعمال لأن الوقف موطن تخفيف والتضعيف ثقل" والتضعيف أقل استعمالاً من الروم والإشمام؛ لأنه إثبات بالحرف في موضع يحذف فيه الحركة فهو تثقيل في موضع التخفيف"(٤).

ومثاله قول رؤبه:

بدء يجب الخُلُقَ الأضْخَمَّا(٥)

يريد: الأضخما.

وعدّ بعض المحدثين هذا الوقف من قبيل القلقلة البطيئة حيث يقول تمام حسان:" إنما شبه بقلقلة بطيئة للحرف الموقوف عليه... لإرادة التأكيد أو أي معنى آخر مناسب"(٦).

---

(١)السيوطي، الهمع ٢٠٩/٦.

(٢) سيبويه، الكتاب ١٦٨/٤.

(٣)المصدر نفسه ١٦٩/٤.

(٤)الاسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب ٣١٥/٢.

(٥)ابن جني، المحتسب ٢١، والكتاب ٢٧٠/٤.

(٦)د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ٢٧٢.

أما شرط هذا الوقف فهو أن يكون ما قبل الحرف الأخير متحركا لا ساكنا، يقول سيبويه:" فإن كان الحرف الذي قبل آخر حرف ساكنا لم يضعفوا، نحو عمرْو وزيْد وأشباه ذلك"(١).

وهذا الوقف يحصل في الحالات الإعرابية الثلاث الرفع والجر والنصب ففي الرفع مثل: هذا خالدّ، وهو يجعلّ، وهذا فرجّ.

ويجوز ذلك في التنوين هذا خالدٌ، أو في الضم هو يجعلُّ. ويجوز التضعيف أيضاً في النصب مثل رأيت أحمدّ، وقول رؤبة:

لقد خشيتُ أن أرى جدبّا   في عامنا ذا بعدما أخْصبّا(٢)

وورد هذا الوقف أيضاً في حالة الجر كقولنا: مررت بخالدّ.

وبعضهم زاد الهاء مع التضعيف يقول سيبويه:" وحدثني من أثق به أنه سمع عربياً يقول: أعطني أبيضّهْ، يريد: أبيض، ألحق الهاء كما ألحقها في هُنّهْ وهو يريد: هُنَّ"(٣).

وأجدُ أن التشديد لغايتين: أولاهما صوتية حيث تميل العربية إلى إقفال المقطع بعدة طرق منها التضعيف وثانيهما دلالية وهي التوكيد والمبالغة، فتضعيف الحرف مثله مثل تكرار الكلمة لغاية التوكيد وأشار سيبويه لذلك حيث يقول:" وأما الذين ضاعفوا فهم أشدّ توكيداً، أرادوا أن يجيئوا بحرف أشد مبالغة وأجمع؛ لأنك لو لم تُشِمّ كنت قد أعلمت أنها متحركة في غير الوقف"(٤).

ويمكن أن نمثل تغير البنية المقطعية من الوصل إلى الوقف كالآتي:

هذا خالدٌ ←——— خالدْ ←——— خالدّ

ḫālidun ←——— ḫālid ←——— ḫālidd

ص ح ح/ص ح/ص ح ص ←——— ص ح ح/ص ح ص ←——— ص ح ح/ص ح ص ص

فيمكن أن نقفل المقطع بتسكين الآخر أو بتضعيفهِ، أضف إلى ذلك الوقف بالروم والإشمام(٥).

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٧١.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/١٧٠، ملحقات ديوانه ١٦٩، وابن يعيش، شرح المفصل ٩/٦٩، و البغدادي، شرح شواهد الشافية ٢٥، والأزهري، التصريح ٢/٤٣١.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/١٧٢.

(٤) المصدر نفسه ٤/١٦٨.

(٥) المصدر نفسه ٤/١٦٨.

الوقف بزيادة السين أو الشين

وتتم هذه الزيادة على كاف الخطاب للمؤنث في حالة الوقف لتبيين كسرة التأنيث وبالتالي التمييز بين المؤنث والمذكر حيث يلتبس حين نقف عليها بالتسكين، يقول سيبويه:" واعلم أنّ ناساً من العرب يُلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث وإنما ألحقوا السين لأنها قد تكون من حروف الزيادة في استفعل"(١).

والحال كذلك في زيادة الشين حيث زيدت للبيان:" وقومٌ يُلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة في الوقف كما أبدلوها مكانها للبيان. وذلك قولهم: أعطيتكِشْ، وأكرمُكِشْ، فإذا وصلوا تركوها"(٢).

إذاً هذه الزيادة لغرضين:

أ- صوتي: حيث تخلصت بعض العرب من الوقف على مقطعٍ مفتوح قصير، ولكن هذا الوقف خاص بكاف الخطب للمؤنث، فزيدت السين أو الشين للوقوف على مقطع مغلق وهو الذي تميل إليه العربية.

ب- معنوي: فهذه الزيادة بيّنت كسرة الكاف التي هي علامة للتأنيث وبالتالي التمييز بين المذكر والمؤنث، يقول سيبويه:" وإنما يلحقون السين والشين في التأنيث، لأنهم جعلوا تركهما بيان التذكير"(٣).

وقد عدّ إبراهيم أنيس زيادة الشين أو السين إنما كانت صورة تـش(tš) خيل للعلماء، أنه شين أو كاف وشين(٤).

وخالفه في ذلك حسام النعيمي حيث أنكر أن تكون الزيادة مع الكاف هي صوت(tš) لأنه جيء بهذا الصوت لبيان كسرة التأنيث، ولا يمكن أن يقال إن الكاف والكسرة والشين تساوي صوت التاء الساكنة والشين أو بلغة المعادلات:

ك+كسرة+شين≠ تش(٥).

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٩٩/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٩٩/٤.

(٣)المصدر نفسه ٢٠٠/٤.

(٤)إبراهيم أنيس، في اللهجات ١٢٩.

(٥)حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ١٥٠.

ويمكن أن نمثّل ذلك كالآتي:

أعطيتُكِ ← الوقف بالتسكين أعطيتُكْ (مرفوض يؤدي إلى اللبس)

أعطيتُكِ ← الوقف بالإبدال أعطيتُشْ (حسب قانون الأصوات الحنكية)

أعطيتُكِ ← الوقف بالزيادة أعطيتُكِسْ (زيادة السين)

أعطيتُكِ ← الوقف بالزيادة أعطيتُكِشْ (زيادة الشين)

إذاً لا يمكن الوقف بالتسكين كي لا يحدث لُبساً، وبالتالي لا بُدّ من طرق أخرى توضح أن الكاف للتأنيث، لذلك وقفنا بإبدال الشين التي أصبحت تدل على المؤنث وتسدّ مسد الكاف المكسورة، ووقفنا أيضاً بالزيادة للسين أو الشين والتي من خلالها تبين حركة الكسرة للكاف وتُقفِل المقطع المفتوح(ص ح) فيصبح ص ح ص.

الوقف بإشباع الحركة (مطل الحركة)

إشباع الحركة هو إنشاء حرف من حروف المد يجانس الحركة، فلو أشبعنا فتحة العين في عمر مثلاً لوجدنا أنها تصبح ألفاً وتكون اللفظة عامر، وكذلك لو أشبعنا الكسرة في عين عنب لأنشأنا منها ياء مدّية فتصبح عينب، ولو أشبعنا ضمة العين في عُمر لأنشأنا بعدها واوا مدّية فتكون عومر. والذي يؤكد حديث الإشباع هذا أن العرب ربما احتاجت في أشعارها إلى حرف مجتلب لإقامة الوزن فتلجأ حينئذٍ إلى إشباع الحركة فيتولد منها حرف[١].

ومن أمثلة الإشباع في الشعر:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرةٍ نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

وهو يريد الصيارف(فأشبع الكسرة فتولد عنها ياء) [٢]، وتشبع الضمة فتولد الواو كقولنا:

الله يعلم أنا في تلفّتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صُوُرُ

وأنني حوثما يُشري الهوى بصري من حيث ما سلكوا أثني فأنظورُ

فقال أنظور وهو يريد أنظرُ(فأشبع ضمة الظاء فنشأت عنها واو) [٣]، أما إشباع الفتحة كقول الشاعر:

وأنت من الغوائل حين تُرمى ومن قومّ الرجال بمُنتزاح

أراد بمنتزح فأشبع فتحة الزاي) [٤].

والحال كذلك في حالة الوقف، فقد تلمستُ مواضع إشباع الحركة في المواضع الآتية:

---

(١) ابن جني، سر الصناعة ١/٢٧، وانظر ابن جني، الخصائص ٣/١٢١ وما بعدها باب في مطل الحركات.

(٢) المصدر نفسه ١/٢٨، وانظر ابن جني، الخصائص ٢/٣١٥.

(٣) المصدر نفسه ١/٣٠، وانظر ابن جني، الخصائص ٢/٣١٦.

(٤) ابن جني، سر الصناعة ١/٢٩، وانظر ابن جني، الخصائص ٢/٣١٦.

١- الاسم المنتهي بحرف صحيح في حالتي الرفع والجر تمطل حركته كما في قولنا: هذا زيدو، وهذا عمْرو، ومررت بزيدي، وبعمري.

وعد سيبويه هذه لغة لأزد السراة حيث يقول:" وزعم أبـــو الخطـــاب أنّ أزد السراة يقولون: هذا زيدو، وهذا عمْرو، ومررت بزيدي، وبعمْري؛ جعلـــوه قياســـا واحداً؛ فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف"(١).

وفي حالة النصب نقف بالألف وهذه الألف تنشأ عن إشـــباع حركـــة الفتحـــة كقولنا: رأيتُ زيدا. فهذه الألف ليست بدلاً من التنوين وإنما هي إشباع الفتحة علـــى الدال مع حذف التنوين. ويمكن أن نمثل ذلك في المعادلات الآتية:

أ- هذا زيدٌ ←—— هذا زيدُ ←—— هذا زيدو

zayduu ←—— zaydu ←—— zaydun

حيث حذفت النون(التنوين) ومُطل الصـــائت القصـــير(u) ليصبـــح صائتـــا طويلاً(uu).

ب- مررت بزيدٍ ←—— مررت بزيدِ ←—— مررتُ بزيدي

zaydii ←—— zaydi ←—— zaydin

حذفت النون(التنوين) ومُطل الصائت القصير(i) ليصير إلى صائت طويل(ii).

ج- شاهدتُ زيداً ←—— زيدَ ←—— شاهدتُ زيدا

zaydaa ←—— zayda ←—— zaydan

حُذفت النون(التنوين) ومُطل الصائت القصير(a) لينشأ صائت طويل (aa).

وفي هذا الوقف لم يوقف على مقطع مغلق وإنما وُقف علـــى مقطـــع طويـــل مفتوح بالرغم من أن العربية تميل لإغلاق المقطع في حالة الوقف. وعدّ سيبويه هذا لغة لأزد السراة أي أنها أقرب إلى الاستثناء منها إلى القاعدة.

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٦٧/٤.

٢- الوقف على هاء الضمير المسبوقة بكاف الخطاب للمؤنث بمطل حركة كاف الخطاب؛ أي بتحويل كسرة الكاف إلى ياء، وذلك قولك: أعطيكيها وأُعطيكيه. يقول سيبويه:" واعلم أن ناساً من العرب يُلحقون الكاف التي هي علامة الإضمار إذا وقفت بعدها هاء الإضمار ألفا في التذكير وياء في التأنيث"(١).

واعتبر سيبويه هذا الوقف بمطل الحركة لعلتين:

أ- تأكيد حركة كاف الخطاب وتبيانها وهذه العلّة صوتية معنوية يقول سيبويه:" لأنه أشد توكيداً في الفصل بين المذكر والمؤنث كما فعلوا ذلك حيث أبدلوا مكانها الشين في التأنيث"(٢).

ب- تبيين هاء الضمير التي تتبع الكاف لأن الهاء خفيّة مهموسة فلتوضيحها مُطلت الحركة التي قبلها "وأرادوا في الوقف بيان الهاء إذا أضمرت المذكر، لأن الهاء خفيّة، فإذا ألحق الألف بيّن أن الهاء قد لحقت. وإنما فعلوا هذا بها مع الهاء لأنها مهموسة، كما أن الهاء مهموسة، وهي علامة إضمار كما أن الهاء علامة إضمار"(٣).

ويمكن أن نمثل ذلك بالمعادلة التالية:

<u>أعطيتُكِهِ</u> ← <u>أعطيتُكيهْ</u>

tukihi ← tukiih

حيث تحول الصائت القصير(i) إلى صائت طويل(ii)، وقد أدى مطل الحركة إلى مزيد من الثقل حيث تحول المقطع القصير المغلق بصامت(ص ح ص) إلى مقطع طويل مغلق بصامت(ص ح ح ص) وهذا المقطع ثقيل.

٣- الوقف على هاء الضمير المسبوق بكاف الخطاب للمذكر بمطل حركة الكاف لتصير ألفاً. وعلة هذا كعلة كاف الخطاب للمؤنث في تبيين الحركة وتوضيح

---

(١)سيبويه، الكتاب ٤/٢٠٠.

(٢)المصدر نفسه ٤/٢٠٠.

(٣)المصدر نفسه ٤/٢٠٠.

الهاء الخفية، ومثال ذلك قولهم: أُعطيكاه وأعطيكاها. ويمكن أن نمثل ذلك بالمعادلة التالية:

أعطيكَهُ ←—— أعطيكاهْ

kaah ←—— kahu

أي بتحويل الصائت القصير(a) إلى صائت طويل(aa) وقد أدى هذا إلى مزيد من الثقل حيث تحوّل المقطع القصير المغلق بصامت(ص ح ص) إلى مقطع طويل مغلق بصامت(ص ح ح ص).

٤- الوقف على هاء الضمير المسبوقة بتاء المخاطبة بمطل كسرة التاء لتصير ياءً. واعتبر سيبويه هذا الوقف بأنه قليل:" وهذه قليلة"[1]، ومثال ذلك قولنا: ضربتيهْ.

والعلة كسابقتها في بيان الهاء الخفيّة وتوكيد الفصل بين خطاب المذكر والمؤنث، ويمكن أن نمثل ذلك صوتياً:

ضربتِهِ ←—— ضربتِهْ ←—— ضربتيهْ

tiih ←—— tih ←—— tihi

فيتم إقفال المقطع إما بالتسكين وهذا يؤدي إلى عدم ظهورها بشكل واضح أو بمطل الحركة مع التسكين فقد تحول الصائت القصير(i) إلى صائت طويل(ii) كما تحول المقطع القصير المغلق بصامت (ص ح ص) إلى مقطع طويل مغلق بصامت (ص ح ح ص).

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٢٠٠.

الوقف بالترنُّم

الترنم هو مد الحركة في نهاية الشطر لتصير إلى واو أو ياء أو ألف يقول سيبويه:" أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت"[١].

ويختص الترنم بالشعر ولا يتأتى ذلك في النثر، أما مواضع هذا الترنم فيمكن حصرها فيما يلي:

١- الترنم على المنتهي بالتنوين حيث يلحقون الألف والواو والياء:

أ- تنوين الكسر: ومن ذلك قول امرئ القيس:

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلي   بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ[٢]

والشاهد في ذلك منزلي حيث إن الأصل منزلٍ فترنم الشاعر بالياء. ما حدث هو حذف التنوين ثم مطلت حركة الحرف الأخير قبل التنوين

منزلٍ ← منزلِ ← منزلي

manzilin ← manzili ← manzilii

فالذي حدث هو حذف النون(التنوين)(n) ثم أُشبع الصائت القصير(i) ليصير صائتاً طويلاً(ii)، لذلك فالوقف هنا على مقطع مفتوح طويل وهذا لا تميل إليه العربية إلا أنه يجوز في بعض المواضع أو اللغات. والعلة في هذا الوقف مد الصوت الذي يوحي لنا بالترنم والتنغيم فالأصوات الصائته الطويلة يتسع لهواء الصوت مخرجها أشد من اتساع الصوامت مما يحدث ضرباً من النغمة والترنم. وقد عدّ بعض المحدثين هذا الوقف نوعاً من التنغيم[٣].

ب- تنوين النصب، ومن ذلك قول الشاعر:

---

(١) سيبويه، الكتاب ٢٠٤/٤.

(٢) سيبويه، الكتاب ٢٠٥/٤، وانظر ابن جني، المنصف ٢٤٤/١، وابن يعيش، شرح المفصل ١٥/٤، و البغدادي، الخزانة ٣٩٧/٤، و البغدادي، شرح شواهد الشافية ٤٢،و الأزهري، التصريح ١٣٦/٢، و السيوطي، الهمع ١٢٩/٢.

(٣)د. عبد القادر مرعي، المصطلح الصوتي ١٩٨.

فَبِتْنا تحيدُ الوحشُ عنّا كأننا   قتيلان لم يعلمْ لنا الناسُ مصرعا[١]

والشاهد في هذا البيت هو إثبات الألف في الوقف في حال النصب للترنم.

ويمكن أن أمثل ذلك صوتياً كالآتي:

مصرعاً ←—— مصرعَ ←—— مصرعا

maṣra<an ←—— maṣra<a ←—— maṣra<aa

أي أن ما حدث من المنظور الحديث والذي تؤكد عليه الكتابة الصوتية هو حذف التنوين(n) وإشباع الصائت القصير (a) ليصير إلى صائت طويل(aa) وليس ما ذهب إليه سيبويه وهو إلحاق الألف.

ج- تنوين الضم، ومن ذلك قول الاعشى:

هريرة ودّعها وإن لام لائمو   غداة غد أم أنت للبين واجم[٢]

والشاهد فيه وصل القافية بالواو في قوله:" لائمـــو". ويمكـــن أن أمثـــل ذلـــك بالمعادلة الصوتية التالية:

لائمٌ ←—— لائمُ ←—— لائمو

lā'imun ←—— laa'imu ←—— laa'imuu

حيث تحول المقطع القصير المفتوح(ص ح) إلى مقطع طويل مفتـــوح(ص ح ح) لغرض الترنم..

٢- الترنم على غير المنون، ويكون أيضاً بإلحاق الألف أو الواو أو الياء:

أ- المنتهي بالفتحة كقول جرير:

أقلّيّ اللوم عاذلي والعتابا   وقولي إنْ أصبتُ: لقد أصابا[٣]

(١)يزيد بن الطثرية، ويروي لامرئ القيس في ديوانه ٢٤٢، وانظر سيبويه، الكتاب ٤/٢٠٥.

(٢)ديوانه ٥٦٠، وانظر سيبويه، الكتاب ٤/٢٠٥.

(٣)ديوانه ٦٤ و سيبويه، الكتاب ٤/٢٠٢، والنقائض ٤٣٢، وأبا زيد الأنصاري، النوادر ١٢٧، والمبرد، المقتضب ١/٢٤٠، وابن جني، الخصائص ١/١٧١، وابن جني، المنصف ١/٢٢٤، وابن الأنباري، الانصاف ٦٥٥، والبغدادي، الخزانة ١/٣٤، والسيوطي، الهمع ٢/١٥٧.

والشاهد فيه العتابا حيث ألحقت الألف.

أما الوجهة الصوتية الحديثة فيمكن معرفتها من خلال المعادلة التالية:

العِتَابَ ←—— العتابا

'al<itaaba ←—— 'al<itaabaa

أي بتحويل الصائت القصير(a) إلى صائت طويل(aa)، لأن الصائت الطويل يلائم الترنم بسبب صفاته الصوتية ومنها مدّ الصوت الذي يوحي بالترنم.

ب- المنتهي بالضمة، كقول جرير:

متى كان الخيام بذي طلوحٍ سُقيتِ الغيثَ أيتها الخيامُو[1].

والشاهد فيه(الخيامو) حيث مطلت الضمة للترنم ويمكن تمثيل ذلك صوتيا كالآتي:

الخيامُ ←—— الخيامو

'al hiyaamu ←—— 'alhiyaamuu

أي بتحويل الصائت القصير(u) إلى صائت طويل(uu) للترنم، أي أن ما حدث هو مطل الحركة.

ج- المنتهي بالكسرة، وذلك قول جرير أيضا:

أيهاتَ منزلُنا بنفِ سويقةٍ كانت مباركة من الأيّامي[2]

والشاهد(الأيامي) فترنم الشاعر بالياء. ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كالآتي:

الأيّامِ ←—— الأيّامي

'al'ayyaami ←—— 'al'ayyaamii

بتحويل الصائت القصير(i) إلى صائت طويل (ii) للترنم.

(١)ديوانه ٥١، و سيبويه، الكتاب ٢٠٦/٤، و ابن جني، المنصف ٢٢٤/١، وشرح شواهد المغني ٢٢٦.

(٢) سيبويه، الكتاب ٢٠٦/٤، وابن جني، الخصائص ٤٣/٣، وغير موجود في ديوانه.

٣- الترنم بالنون، وعدّ هذا الوقف لغة لناسٍ من تميم حيث يقول:" وأما نـــاسٌ كثير من تميم فإنهم يبدلون مكان المدّة النون"[١].

أما مواضع هذا الترنم ففي المنون وغير المنون وفـــي المكســور والمفتــوح والمضموم، يقول سيبويه:" فيما ينون وما لا ينـــون"[٢]، "وكذلـك الجـرُ والرفـع والمكسور والمفتوح والمضموم في جميع هذا كالمجرور والمنصوب والمرفوع"[٣].

إلا أن الشواهد التي أوردها سيبويه لم تكن في المنون، ولم تكن إلا في المفتوح وسأورد تلك الشواهد التي ذكرها سيبويه وهي جميعها للعجاج:

يا أبتا علّكَ أو عساكنْ[٤]

وقوله: يا صاحِ ما هاجَ الدّموعَ الذُّرَّفَنْ

ومن طَلَلٍ كالأتْحميّ أنهجن [٥].

فكلمة عساكَ منتهية بالفتحة والذُ رَّفَ منتهية بالفتحة، وأنهج منتهيـــة بالفتحـــة فالمواضع الثلاثة انتهت بالفتحة وكل هذه الكلمات غير منونة. وأجد من الصعوبة أن نقف عل النون وفي الوقت نفسه تكون نهاية الكلمة منونة لأن النون هو التنوين مـــن الناحية الصوتية مما يحدث توالياً للأمثال. وأجد أن قول سيبويه:" فيما ينون ومـــا لا ينون" أي في المبني والمعرب وليس فيما ينتهي بالتنوين أو لا ينتهي به، لأن التنوين علامة إعراب عند بعض النحاة.

ولكن لماذا وقف بعض التميميين بزيادة بالنون؟ لأن النون تحمل صفة صوتيـة وهذه الصفة هي الغُنّة التي توصل الشاعر إلى الترنم مثلها مثل حروف اللين التـــي

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه ٤/٢٠٦-٢٠٧.

(٣) المصدر نفسه ٤/٢٠٧.

(٤) المصدر نفسه ٤/٢٠٧، ٢/٣٧٤.

(٥) ملحقات الديوان ٨٢، والعيني ١/٢٦، وأراجيز البكري ٤٨، وسيبويه، الكتاب ٤/٢٠٧.

فيها من المد ما يُمكّن الشاعر من الترنم. ويمكن أنْ أمثل ذلك صوتياً في المعــادلات التالية:

١- عَساكَ ← عساكا ← عساكَنْ

<asaakan ← <asaakaa ← <asaaka

٢- الذُرَفَ ← الذرّفا ← الذرفَن

'addurafan ← 'addurrafaa ← 'addurrafa

٣- أنهج ← أنهجا ← أنْهجنْ

'anhağan ← 'anhağaa ← 'anhağa

فيمكن أن نقف على هذه الكلمات مترنمين بطريقتين:

أ- بمطل الحركة أو إشباعها لتصل إلى صائت طويل وقد جرى الحديث عنه.

ب- بإقفال المقطع بالنون، ففي هذا الوقف عودة إلى أصل الوقف وهو إغـلاق المقطع المفتوح بزيادة النون التي زيدتْ لما تحمل من الخصائص الصوتيـــة التـي تلائم الترنم.

رابعاً: الوقف بالإشمام والروم

الإشمام هو أن يؤتى بالحرف ساكناً ويشار إلى حركته بإعمال الشفتين من غير إظهار صوت، ولذلك قيل إن الإشمام ليس للأذن ويدرك الإشمام البصير وليس الأعمى وحصر سيبويه الإشمام بالرفع حيث يقول:" وأما الإشمام فليس إليه سبيل، وإنما كان ذا في الرفع لأن الضمّة من الواو، فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئتَ ثم تضمّ شفتيك، لأن ضمّك شفتيك كتحريكك بعض جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوت للأذن. ألا ترى أنك لو قلت هذا مَعْنْ فأشممتَ كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تُشمِمْ، فأنت قد تقدر على أنْ تضع لسانك موضع الحرف قبل تزْجيةِ الصوت ثم تضمَّ شفتيك، ولا تقدر على أن تفعل ذلك ثم تحرك موضع الألف والياء"[1].

وذكر ابن يعيش أن الإشمام هو: تهيئة العضو للنطق من غير تصويت، وذلك بأن تضم شفتيك بعد الإسكان، وتدع بينهما بعض الإنفراج ليخرج منه النفس فيراهما المخاطب مضمومتين فيعلم. أنا أردنا بضمهما، الحركة، فهو شيء يختص العين دون الأذن وذلك إنما يدركه البصير دون الأعمى لأنه ليس بصوت يسمع وإنما هو بمنزلة تحريك عضو من جسدك[2].

والوقف بالإشمام لا يكون إلا في الرفع لأن تدوير الشفتين إشارةً إلى الضمة وليس إلى الكسرة إو الفتحة يقول سيبويه:" فالنصب والجر لا يوافقان الرفع في الإشمام. وهو قول العرب ويونس والخليل"[3].

أما في غير الوقف فيجوز إشمام الكسرة ضمة في مثل المبني للمجهول الأجوف حيث يقول ابن جني:" خيف وبيع وقيل... وأما من أشمّ فإنه أراد البيان وقد

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٧١/٤.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل ٦٧/٩.

(٣) سيبويه، الكتاب ١٧٢/٤.

كان في الفاء ضمة فأشمّ الكسرة فصارت الحركة في الفاء بين الضمة والكسرة بمنزلة الحركة في كافر وجابر لأنها بين الفتحة والكسرة"[1].

أما الروم فقد عرّفه علماء العربية القدماء بأنه الإتيان بحركة خفيفة حرصا على بيان الحركة التي تحرّك بها آخر الكلمة في الوصل، ويدركهُ الأعمى الصحيح السمع إذا استمع، لأن في آخر الكلمة صويتا خفيفا[2]. وهذا الصويت الخفيف عبّر عنه سيبويه بقوله:" وأما الذين راموا الحركة... كأنه يريد رفع لسانه"[3].

والروم عند غالبية القرّاء فهو النطق بجزء من الحركة يدرك بالسمع[4]. وللوقف بالروم والإشمام علامات فللإشمام نقطة وللروم خط يقول سيبويه:" فللإشمام نقطةٌ، وللذي أجري مجرى الجزم والإسكان الخاءُ، والروم الحركة خطّ بين يدي الحرف، وللتضعيف الشين"[5].

أما مواضع الروم ففي الحالات الإعرابية كافة في الرفع والنصب والجر، ففي الرفع حيث يقول سيبويه:" وأما الذي راموا الحركة فهم الذين قالوا: هذا عُمرْ، وهذا أحمد"[6]. وفي النصب والجر حيث يقول:" وأما روم الحركة فقولك: رأيتُ الحارثْ ومررت بخالدْ"[7].

وكذا الحال في الوقف على الهمزة المسبوقة بساكن فإننا نحذف الهمزة ويجوز لنا بعد الحذف الروم أو الإشمام كقولنا: رأيتُ الوثْ، ورأيتُ الحبْ، وهو الخبْ[8].

وأرى أن السبب في هذا الوقف هو إشعار المتكلم للمستمع بمعرفته بالحركات الإعرابية، حيث إن اللغة العربية لغة معربة، فجمع هذا الوقف أمرين: أولهما الوقف بإغلاقه المقطع الأخير في حالة الوقف وهذا ما تميل إليه العربية في الوقف وثانيهما الإشارة إلى الحركة المحذوفة في الوقف لتنبيه السامع بمعرفة الحركة الإعرابية.

---

(1) ابن جني، المنصف 1/249.

(2) انظر الاستراباذي، شرح الشافية 2/275، وابن هشام، أوضح المسالك على ألفية ابن مالك 3/288-289.

(3) سيبويه، الكتاب 4/169.

(4) انظر عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية 313.

(5) سيبويه، الكتاب 4/169.

(6) المصدر نفسه 4/169.

(7) المصدر نفسه 4/172.

(8) المصدر نفسه 4/179.

خامساً: الوقف بتحريك ما قبل الآخر

" تجنبت العربية التقاء الساكنين في بنية الكلمة الثلاثية الساكنة العين في حالة الوقف. والتي أجازها علماء العربية القدماء، وذلك بتحريك عين الكلمة"(١). يقول سيبويه:" هذا باب الساكن الذي يكون آخر الحروف فيحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين، وذلك قول بعضهم هذا بكُرْ ومن بكِرْ، ولم يقولوا: رأيتُ البكَرْ؛ لأنه في موضع التنوين"(٢).

ويتم تحريك قبل الأخير بطرق ثلاث:

١- اتباع حركة قبل الأخير لحركة الأخير مع تسكين الأخير ويكون ذلك في المواضع التالية:

أ- في حالتي الرفع والجر، ومثال ذلك قولنا: هذا بكُرْ، ومن بكِرْ. وشاهد ذلك شعراً قول مذكي بن أعبد:

أنا ابنُ ماويّة إذا جدَّ النَّقُرْ(٣)

ولا يكون الإتباع إذا كان ما قبل الآخر حرف مدّ، وعلل سيبويه ذلك بكراهية الضم والكسر في الياء والواو؛ وأنك لو أردت ذلك في الألف قلبْتَ الحرف(٤).

ويمكن تفسير هذا الوقف بالتخلص من مقطع مرفوض حتى في حالة الوقف، وهذا المقطع هو المقطع الصوتي الخامس والمكون من ص ح ص ص، وإن كان جائزاً في الوقف(٥). إذ إن تحريك عين الكلمة بإتباع حركة الأخير يؤدي إلى التخلص من هذا المقطع ففي هذا بكُر فإن حركة الراء في الوصل هي الضم فأسكن الحرف الأخير ونقلت حركة الأخير إلى عين الكلمة وفي قوله" من بكِرْ" أسكن

(١)د.عبد القادر مرعي، ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين في العربية الفصحى بحث منشور ه.

(٢) سيبويه، الكتاب ١٧٣/٤.

(٣) ديوانه ٤٥، وانظر سيبويه، الكتاب ١٧٧/٤، وجمهرة ابن حزم ٢١٧، و السيوطي، الهمع ١٠٧/٢، وشرح شواهد المغني ٢٨٥، والأزهري، التصريح ٣٤١/٢.

(٤) سيبويه، الكتاب ١٧٤/٤.

(٥)أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي ٢٥٦-١٥٧.

الأخير ونقلت حركة الراء، التي هي الكسر في حالة الوصل، فتم التخلص من هــذا المقطع ليصير المقطع الأخير إلى مقطع قصير مغلق بصامت إلى ص ح ص وهــو مقطع مقبول[١].

أما إذا كانت عين الكلمة حرف من(ا، و،ي) فإن ســيبويه كرهــها لكراهيــة الضمة أو الكسرة في هذه الحروف، وهذا ما يفسّر في علــم الأصــوات الحديــث بالمزدوج الحركي حيث إن الألف والواو والياء كلها حركات مثلها مثل الحركــات القصيرة والواو المضمومة أو المكسورة، والياء المضمومة أو المكسورة يتشكل مـن خلالها مزدوج حركي مكروه في بناء الكلمة، ومثال ذلك الوقف على كلمة قَوْل فــي الرفع والجر كقولنا: هذا قَوْلُ، من قَوْلِ، فإذا نقلنا حركة الضم أو الكسر تشكل مــا يسمى بالمزدوج الحركي فتصير إلى: هذا قَوُلْ، ومن قَوِل، ويمكــن إيضــاح هــذا المزدوج من خلال الكتابة الصوتية:

هذا قَوْلٌ	⟵	هذا قَوُلْ
kawlun	⟵	kawul
من قَوْلٍ	⟵	من قَوِلْ
kawlin	⟵	kawil

حيث تشكل المزدوجان (wu)، و(wi).

ب- الوقف على هاء الضمير: بالرغم من أن حركة هــاء الضمــير ليســت إعرابية إلا أنها عوملت كالحركة الإعرابية، ومثال ذلك قولنا: اضربُهْ، وقدْه، ومنْـهْ، وعَنُهْ. يقول الشاعر زياد الأعجم:

عجبتُ والدهرُ كثيرٌ عَجبُهْ   من عنْزِيٍّ سبّني لم أضرْبُهْ[٢]

---

(١)د. عبد القادر مرعي، ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين ٦.

(٢) سيبوي÷ الكتاب ٤/١٨٠، والزمخشري، المفصل ٩/٧٠، و الاستراباذي، شرح شواهد الشافية ٢٦١، والسيوطي، الهمع ٢/٢٠٨، والأشموني ٤/٢١٠.

ومن ذلك أيضاً إلقاء حركة الهمزة إذا كانت نهاية الكلمة على الحرف الذي يسبقها، وذلك قولهم: هذا الوثُؤْ، ومن الوثِئْ، ورأيت الوثَأْ، وهو البُطُؤْ، ومن البُطِئْ، ورأيت البُطَأْ(١).

إذاً فسواءٌ انتهت الكلمة بحركة إعرابية أو بنائية فإننا نتبع الساكن حركة الأخير، وهذا يُدلل على أنّ هذا الوقف صوتيٌّ محض. وما حصل في هاء الضمير في نقل الحركة هو نفسه في حالتي الرفع والجر، حيث تخلصت العربية من المقطع غير المرغوب بالرغم من أنه جائز في الوقف، وذلك لطرد الباب على وتيرة واحدة في الوصل والوقف.

٢- اتباع الساكن حركة ما قبله، ومثال ذلك قولهم: هذا عِدِلْ، وفِسِلْ، فأتبعوها الكسرة الأولى، ولم يفعلوا ما فعلوا بالأول، ولا يجوز أن نقول: هذا عدُل، وفسُل؛ لأنه ليس من كلامهم فِعُل(٢).

إذاً تخلص العرب من المقطع المرفوض ص ح ص ص بتحريك قبل الأخير بحركة ما قبله، فقد أثرت الكسرة في عِدْلْ وفِسْلْ بالدال الساكنة والسين الساكنة لتصبح حركتهما الكسر.

وبالتالي أصبح المقطع الأخير ص ح ص بعد تحريك الساكن بالكسر وهذه طريقة من طرق التخلص من التقاء الساكنين في الوقف أو ما يسمى بالمقطع المرفوض.

أما لماذا لم يؤثر الأخير فيما قبله كالحال بالنسبة لـ(هذا بكُرْ)؟ فالإجابة كما أوردها سيبويه هو الوزن للكلمات فليس في اللغة العربية وزن(فِعُل) وبالتالي أثر الأول في الثاني للتخلص من هذا الوزن غير المستعمل في بناء الكلمة العربية.

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٧٧/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٧٧/٤.

٣- تحريك الساكن بالكسرة مطلقاً في مثل: شَعِب وفخِذْ، وكَتِف، وأمثالها. وهذا هو الأصل في التخلص من التقاء الساكنين، وقد علل علماء العربية القدماء هذا بما يلي:

أ- الأصل في تحريك الساكن الأول الكسر؛ لأنه من سجية النفس.

ب- وقيل إنما كان أصل كل ساكن احتيج إلى تحريكه من هذا الذي نحن فيه، ومن همزة الوصل الكسر؛ لأن السكون في الفعل أي الجزم أقيم مقام الكسر في الاسم، فلما احتيج إلى حركة قائمة مقام السكون مزيلة له، أقيم الكسر مقامه على سبيل التقاص.

ج- وقيل إنما كُسر أول الساكنين وقت الاحتياج إلى تحريكه؛ لأنه لم يقع إلا في آخر الكلمة، فاستحب أن يحركه بحركة لا تلتبس بالحركة الإعرابية فكان الكسر أولى؛ لأنه لا يكون إعراباً إلا مع تنوين بعده، أو ما يقوم مقامها من لام أو إضافة، فإذا لم يوجد بعده تنوين ولا قائم مقامها عُلم أنه ليس بإعراب.

وأما الضم والفتح فقد يكونان إعراباً بلا تنوين ولا شيء قائم مقامه نحو: جاءني أحمدُ، ورأيت أحمدَ، ويضربُ ولن يضربَ، فلو حرك بإحدى الحركتين لالتبس بالحركة الإعرابية(١).

ويعتبر د.إبراهيم مصطفى هذا التعليل بالكسر مضطرباً حيث يقول:" ونرى في كلام علماء العربية القدماء في تعليل التخلص من التقاء الساكنين بالكسر هو الأولى والأصل-نوعاً من الاضطراب وعدم الإقناع- فالكسرة أثقل الحركات في العربية والجهد الذي يبذل في نطقها أكثر من الجهد الذي يبذل في نطق الضمة والفتحة، فالفتحة هي أخفُ الحركات وهي أقرب إلى سجية النفس لخفتها من الكسرة أو الضمة وهي بمنزلة السكون في لغتنا الدارجة(٢).

---

(١)الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٣٥، وانظر ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين، د.عبد القادر مرعي ص٧.

(٢) ابراهيم مصطفى، إحياء النحو ٤٥.

" وأما قولهم: إن الكسر لا يأتي إلا في آخر الكلمة للتخلص من التقاء الساكنين، فهذا الكلام غير صحيح فقد لجأ العرب إلى التخلص من التقاء الساكنين بتحريك وسط الكلمة بالكسر كما في: كَتِفْ، وشَعِبْ، وعِدِلْ، وفِسِلْ وغيرها"[1].

ويرى نعيم علوية أن التخلص من التقاء الساكنين بالكسر هو الأصل يعود إلى سبب صوتي خالص يتعلق بوضع جهاز النطق؛ إذ إن مراكز جهاز النطق واقعة بين الفكين، الفك العلوي ثابت والأسفل متحرك، وعند التسكين أو الوقف يكون الفك الأسفل مستقراً، وتكون أعضاء النطق الثابتة فيه ملتصقة بأجزاء الفك الأعلى، وليس من لفظ دون انفتاح الفكين عن بعضهما، وكل انفتاح يؤدي إلى انخفاض الحنك الأسفل وأيسر الخفض خفض الوقف[2].

(١)د.عبد القادر مرعي، ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين ٧.

(٢) نعيم علوية، بحوث لسانية، بين نحو اللسان ونحو الفكر ١٨٩-١٩٠، وانظر د.عبد القادر مرعي ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين ٧.

* تعريف الإمالة

* أحكام إمالة الألف:

أولاً: جواز إمالة الألف.

ثانياً: امتناع الإمالة.

ثالثاً: امتناع الإمالة مع حروف الاستعلاء.

رابعاً: جواز الإمالة مع حروف الاستعلاء.

خامساً: قوانين الإمالة مع حرف الراء:

أ- جواز الإمالة.

ب- امتناع الإمالة.

سادساً: إمالة الحروف.

سابعاً: الإمالة على غير القياس.

* إمالة الحركات.

أولاً: إمالة الفتحة.

ثانياً: إمالة الضّمة.

تعريـف الإمالـة ودرجاتهـا

لم يُصرّح سيبويه بتعريف الإمالة، وإنما نتعرفها من خلال بعض العبارات التي استغلها النحاة من بعده فأعطوا تعريفات بناءً على إشارات عن مفهوم الإمالة. إذ قال:" وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها منها كما قرّبوا في الإدغام الصاد من الزاي"[1]، فهو يقصد عملية تقريب الألف من الياء بسبب الكسرة التي بعدها وهذا في مثل عالم وعابد، ثم يقول:" فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقربوها منها"[2]، ثم يقول في موضع آخر:" لأن الفتحة من الألف، وشبه الفتحة بالكسرة كشبه الألف بالياء"[3]، فعلاقة الكسرة بالفتحة كعلاقة الياء بالألف وهذا الشبه ربما يكون في بعض الصفات النطقية، حيث إن هذه الأصوات تحدث دون حفيف أو احتكاك في أعضاء النطق، وعلل سيبويه حدوث الإمالة إلى التماس الخفة مثلها كمثل الإدغام حيث يقول في الإدغام:" فأحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين... استثقالاً للمتحركات مع هذه العدة، ولا بد من ساكن "[4]. ويقول في عله الإمالة:" وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام فجعلوها بين الزاي والصاد فقرّبها من الزاي التماس الخفّة"[5].

إذاً يرى سيبويه أن الإمالة كالإدغام من حيث:

أولاً: تحويل صوت إلى صوت آخر فقد تحولت الألف إلى ما يشبه الياء، والفتحة إلى ما يشبه الكسرة.

ثانياً: تأثير صوت في آخر سواء كان ذلك المؤثر تقدمياً أو رجعياً مما يجذبه إلى بعض خواصّه فكما أن الصاد تقترب من الزاي في (صدَرَ) لتأثير الدال رجعياً

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١١٧.

(٢) المصدر نفسه ٤/١١٧.

(٣) المصدر نفسه ٤/١٤٢.

(٤) المصدر نفسه ٤/٤٣٧.

(٥) المصدر نفسه ٤/١١٧.

في الصاد فقلبه إلى ما يشبه الزاي التي تشابه الدال في الاستفالة والإطباق، كذلك الحال بالنسبة إلى تأثير الكسرة تقدمياً أو رجعياً في الألف أو الفتحة مما تقرّبها من بعض خصائصها، وأجد أن الإمالة ضرب من المماثلة الصوتية الجزئية.

وذهب النحويون الذي جاءوا بعد سيبويه مذهبه في الإمالة حيث وردت في المقتضب للمبرد:" الإمالة هي أن تنحو بالألف نحو الياء، ولا يكون ذلك إلا لعلة"(١)، وعرّفها ابن يعيش بقوله:" اعلم أن الإمالة مصدر أملته إمالة والميل الانحراف عن القصد...، ومنه مال الحاكم إذا عدل عن الاستواء، وكذلك الإمالة في العربية عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة"(٢).

وعدّ آخرون الإمالة تقريب الفتحة من الكسرة، يقول الاستراباذي:" الإمالة هي أن يُنحى بالفتحة نحو الكسرة"(٣).

ويرى آخرون أن الإمالة هي تقريب الألف من الياء، والفتحة من الكسرة(٤).

واستخدم بعض النحويين مصطلحات أخرى للدلالة على الإمالة مثل الإضجاع والبطح والكسر(٥)، أما درجات الإمالة فقسمه غالبية النحاة قسمين: شديدة ومتوسطة يقول ابن الجزري:" والإمالة الشديدة يجتنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه، والإمالة المتوسطة والإمالة الشديدة"(٦).

(١) المبرد، المقتضب ٤٢/١.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل ٥٣/٩.

(٣) الاستراباذي، شرح الشافية ٣/٤.

(٤) انظر ابن السراج، الأصول في النحو ١٦٠، وابن جني، اللمع ٣٢٧، والأنباري، أسرار العربية ٤٠٦، وشرح الأشموني ٧٦٢/٣، وحاشية الصبان ٢٢٠/٤.

(٥) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ٣٠/٢.

(٦) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ٣٥/٢.

وذكر الدمياطي درجات الإمالة حيث يقول:" الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيراً، وهي المحضة ويقال لها الكبرى والإضجاع، والبطح، وهي المرادة عند الإطلاق وقليلاً وهو بين اللفظين، ويقال له: التقليل وبين بين، والصغرى"(١).

أما الإمالة في الحركات فيمكن توضيحها على النحو التالي كما ذكرها ابن جني(٢):

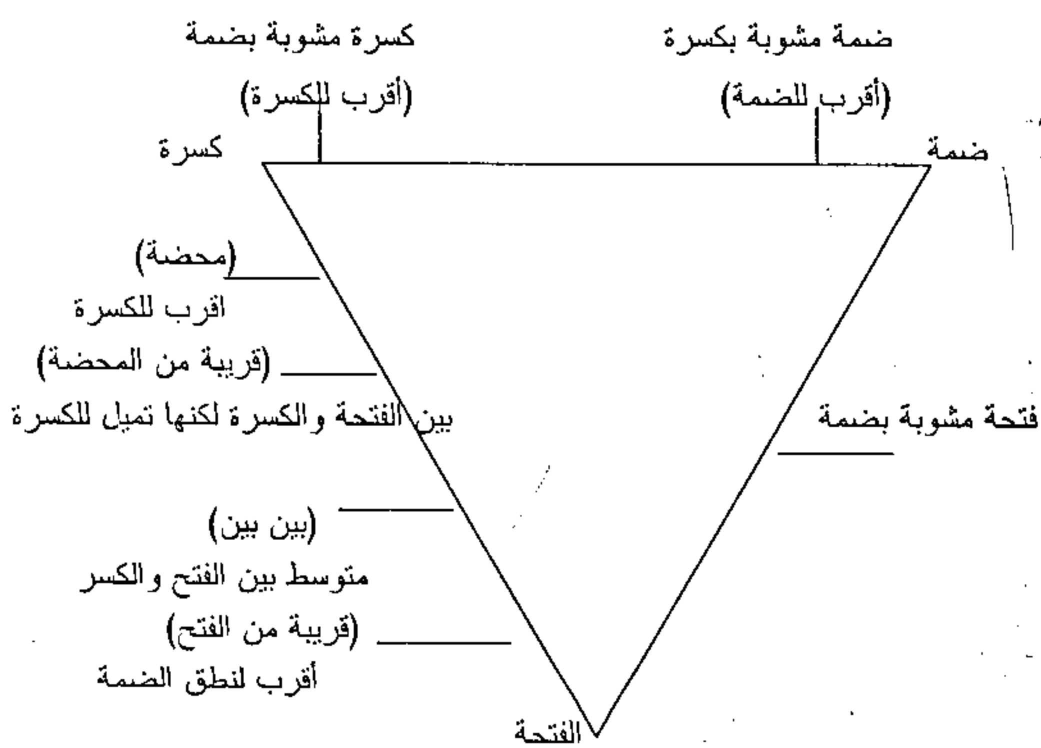
١- الفتحة المشوبة بالكسرة في عالم وعابد.

٢- الفتحة المشوبة بالضمة نحو قام وصام، والصلاة والزكاة.

٣- الكسرة المشوبة بضمة نحو قيل وغيض.

٤- الضمة المشوبة بكسرة في نحو مذعور وابن بور.

وسأمثل ذلك هرمياً كما يلي (٣):



---

(١) الدمياطي، اكتشاف فضلاء البشر ١/٤٧.

(٢) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/٥٨-٥٩.

(٣) عبد الفتاح شلبي، في الدراسات القرآنية واللغوية ٤٤.

أما معنى الإمالة كما يراها المحدثون:" الفتح والإمالة صوتان من أصوات اللين، سواء كانا قصيرين أو طويلين وأصوات اللين القصيرة في الاصطلاح الحديث هي ما كان نسميه القدماء بالحركات أما أصوات اللين الطويلة فهي ما كانوا يسمونه بألف المد وياء المد وواو المد ولا فرق بين القصيرة والطويلة إلا في الكمية، فمخرج الفتحة ووضع اللسان معها هو نفسه مخرج ألف المد ووضع اللسان معها، والفرق بينهما فرق في الكمية، وكذلك الكسرة وياء المد متماثلتان في المخرج ووضع اللسان كما أن الضمة وواو المد متماثلتان فيهما أيضاً.

فلا فرق إذن بين أن تمال الفتحة أو تمال ألف المد؛ لأن العملية العضوية في الحالتين واحدة[1].

أما بالنسبة لحركات ما قبل الألف الممالة حيث عدّها الأقدمون ممالة بسبب إمالة الألف، فيعتبر المحدثون هذه الفتحة لا وجود لها لا في الإمالة ولا في غيرها، حيث يفسر حسام النعيمي بأن حروف اللين هي حركات مشبعة، فلا معنى للقول بأن مثلها حركات من جنسها سواء كان الحرف ممالاً أو غير ممال[2].

وعدّ المحدثون صوت الكسرة(i) أول مقياس لأصوات اللين لتحدد موضعه؛ إذ لو صعد اللسان نحو الحنك أكثر من هذا سُمع الحفيفُ الذي يخرج به صوت اللين إلى مجيط الصوت الساكن الذي نسميه (الياء)، فالفرق بين الياء وصوت اللين (i) هو أن موضع اللسان من الأولى أقرب إلى الحنك الأعلى، والفراغ الذي بين اللسان والحنك معها أضيق منه في حالة صوت اللين (i)، ويترتب على هذا أننا نسمع بعض الحفيف مع الياء[3].

(١) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ٦٤.

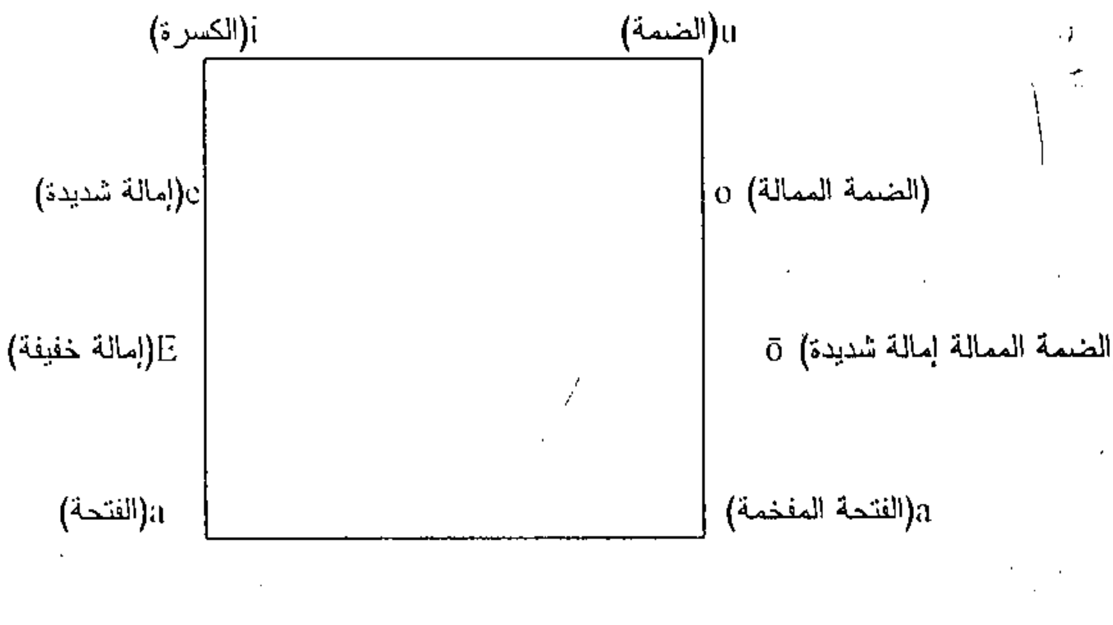
(٢) حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٢٠٢.

(٣) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٢٣، وانظر W.H.T. Gairdnet, The Phonitics of Arabic، وعبد الفتاح شبلي، في الدراسات القرآنية ٦٥.

والمقياس الثاني هو هبوط اللسان إلى قاع الفم مع انحراف قليل في أقصى اللسان نحو أقصى الحنك فتحدد لنا مقياس آخر هو الفتحة المفخمة(a)، وبين أقصى ما يصل إليه اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى وأقصى ما يصل إليه في هبوطه بقاع الفم استنبط المحدثون أربع مراحل عند كل منها يتكون صوت لين، فاللسان في هبوطه من موضع(i) إلى موضع(a) يمر بمراحل ثلاثة وهي من اليمين إلى اليسار (aEe) [1] حيث إن (e) الإمالة الكبرى و(E) الإمالة الصغرى.

وقد اتخذ علماء الأصوات المحدثون ثلاث مراحل أخرى تلي الصوت (a) ناظرين في هذه المرحلة إلى نسبة صعود اللسان إلى الحنك، فآخر ما يصل إليه أقصى اللسن في صعوده نحو أقصى الحنك ليكون الفراغ بينهما من السعة لا يحدث الهواء أي نوع من الحفيف تتكون الضمة المرققة في العربية (u) [2].

وقد أعتد علماء اللغة المحدثون على مقياس دانيال جونز في تحديد درجات الإمالة ويتكون هذا المقياس من:



(١) Gairdner, The Pho. Of Arabic. P.38 ، وانظر عبد الفتاح شبلي، في الدراسات القرآنية ٦٥-٦٦، وانظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٣٢.

(٢) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٣٤، وانظر عبد الفتاح شلبي، في الدراسات القرآنية ٦٦.

حيث إن (I) تمثل المقياس الأول و(a) المقياس الثاني و (u) المقياس الثـــالث، وعلى الجانبين (a,I)، و (a,u) تترتب أصوات اللين الآخرى[١].

و (e) رمز للإمالة الشديدة القريبة من الكسر و (E) رمز للإمالة الخفيفة [٢].

وسأعرض في هذا المبحث الموضوعات التالية:

١- أحكام إمالة الألف:

أ- جواز إمالة الألف.

ب- امتناع الإمالة.

(١) Daniel Jones, The Ph. Of Arabic. P.38، وانظر د.,عبد القادر رعي، المصطلح ١٦١-١٦٢، وانظر د.إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٣٤، وعبد الفتاح شلبي، في الدراسات القرآنية ٦٧.

(٢) عبد الفتاح شلبي، في الدراسات القرآنية واللغوية ٦٧، وانظر إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٤٤.

أحكـــام إمالـــة الألـــف

أولاً: جواز إمالة الألف

تجوز إمالة الألف في المواضع التالية:

١- إذا ولي الألف حرف مكسور، مثال ذلك: عابِد، وعالِم، ومساجِد، ومفاتيح، وعُذافِر، وهابيل، وعلل سيبويه هذه الإمالة للتقريب والتماس الخفة بسبب الكسرة بعد الألف، حيث يقول:" وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كمـــا قرّبوا في الإدغام الصاد من الزاي حيث قال صَدَر فجعلوها بين الزاي والصـــاد... فقربها من أشبه الحروف من موضعها بالدال. وبيان ذلك في الإدغام، فكما يريد فـي الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد، كذلك يقرب الحرف إلى الحرف على قـدْر ذلك، فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقربوها منها"[١].

وأجد أن السبب في هـــذه الإمالـــة هـــي مـــا يســـمى بالمماثلـــة الصوتيـــة(assimilation) وهي جزئية منفصلة؛ لأن الكسرة لم تقلب إلى مثلها وإنما إلى صوت قريب منها بوجود حائل بين الكسرة المؤثرة والألف وهو حرف صامت، ولا يجـوز أن تكون هذه المماثلة متصلة لأنه لا تتوالى حركتان وهي رجعية لتأثير الثاني فـــي الأول، ويمكن أن أمثل ذلك في المعادلة التالية:

عالِمٌ ←——— عا ِلِمٌ

<ālimum ←——— ^{e}Elimun > بإمالة كبرى أو صغرى.

فقد أثرت كسرة اللام في الألف التي تسبقها فقربتها منها فالمماثلة مدبرة جزئية منفصلة.

٢- إذا وقع بين الألف وبين الحرف المكسور الذي يسبقها حرف متحرك نحو: عِماد، وقاس سيبويه ذلك على سبقت التي صارت صَبَقْتُ فجعلوها صـــاداً لمكـــان

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١١٧.

القاف[1]، حيث يقول:" وإذا كان بين أول حرف من الكلمة وبين الألف حرف متحرك، والأول مكسور [نحو عِما د] أملت الألف؛ لأنه لا يتفاوت ما بينهما بحرف: ألا تراهم قالوا: صبقتُ، فجعلوها صاداً لمكان القاف، كما قالوا: صُقْتُ"[2].

ففي صبقت يرى سيبويه أن القاف أثرت في السين مع وجود حرفين يفصلان القاف والسين، فقُلبت السين صاداً لإطباق القاف، وقاس سيبويه ذلك على الإمالة حيث اعتبر سيبويه وجود حرفين بين الكسرة في عِماد والألف ومع ذلك أثرت الكسرة في الألف وحولها إلى ألف ممالة نحو الكسر. إلا أن علم الأصوات الحديث لا يؤمن بوجود حرفين بين الكسرة والألف لأنه لو كتبنا ذلك صوتياً تكون كلمة عِماد كالآتي: imād< أي أن الكسرة (i) ليس بين الألف(ā) سوى حرف واحد صامت وهو(m).

وعزا ابن جني هذه الإمالة لضرب من التجانس الصوتي حيث تؤثر الحركة في الألف لتجانس الصوت" فكما أن الحركة ليست فتحة محضة فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفاً محضة، وهذا هو القياس لأن الألف تابعة للفتحة، فكما أن الفتحة مشوبة فكذلك الألف اللاحقة لها"[3]، إلا أن علم اللغة الحديث كما أسلفت لا يؤمن بوجود حركة قبل الألف وإنما هي ذاتها حركة مشبعة.

٣- إذا وقع بين الألف والحرف المكسور الذي يسبقها حرفان أحدهما ساكن مثل: سِرْبال، وشِمْلان، وعلل ذلك سيبويه بقوله:" وكذلك إن كان بينه وبين الألف حرفان الأول ساكن؛ لأن الساكن ليس بحاجز قوي، وإنما يرفع لسانه عن الحرف المتحرك رفعة واحدة كما رفعه في الأول، فلم يتفاوت لهذا كما لم يتفاوت الحرفان حيث قلت صويق. وذلك قولهم: سِرْبال، وشِملال، وعِمَاد، وكلاب"[4].

---

(١) سيبويه، الكتاب ١١٧/٤.

(٢) سيبويه الكتاب ١١٧/٤.

(٣) ابن جني، سر الصناعة ٥٨/١-٥٩.

(٤) سيبويه، الكتاب ١١٧/٤.

فالكسرة في سربال أثرت في الألف بوجود حرفين صامتين هما الراء والباء فأحدثت الإمالة التي تقترب من الكسرة فهذه من ضروب المماثلة الصوتية الجزئية المتقدمة، ويمكن أن أمثل ذلك صوتياً:

سربال ← سربالٌ

sirbālun ← sirb^{e}Elun

فقد تحولت الألف إلى ألف ممالة، وهذه الإمالة بشقيها الكبرى(e) والصغرى(E).

٤- الفعل الثلاثي المنتهي بألف منقلبة عن واو مثل: غزا، وصفا، ودعا، وعلل ذلك سيبويه بقوله:" والإمالة في الفعل لا تنكسر إذا قلت: غزا، وصفا، ودعا... وإنما كان في الفعل متلئباً، لأن الفعل لا يثبت على هذه الحال، ألا ترى أنك تقول غزا، ثم تقول غُزي، فتدخله الياء"(١).

وفي هذه الأفعال في بعض تقليباتها تعود إلى أصل يائي كما في بنائها للمجهول فتقول: غُزي، وصُفي، ووُعي. وأشار إبراهيم أنيس إلى أن الإمالة ترجع بصفة عامة إلى عاملين:

أ- الأصل اليائي.

ب- الانسجام بين أصوات اللين في حالة البناء للمجهول(٢).

٥- الأسماء الزائدة على ثلاث أحرف والمنتهية بألفٍ منقلبة عن واو مثل: مُصفّى، مشكاة، وعلل سيبويه ذلك بقوله:" فالإمالة مستتبة لأنها قد خرجت إلى الياء"(٣).

ويبدو أن سيبويه يشير إلى رسم الألف إذا زادت الكلمة على حروف ثلاث فإن كلمة " صفّى" مثلاً تعود إلى أصل وواوي بدليل صفا يصفو، ولكن رسم الألف غير

---

(١) سيبويه، الكتاب ١١٩/٤.

(٢) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ٩٨.

(٣) سيبويه، الكتاب ١٢٠/٤.

الثلاثي تكون على صورة ياء فكأن هذه الواو قد خرجت إلى الياء حينما رسمت على صورة ياءٍ غير منقطة إضافة إلى ذلك فإن تقليبات الكلمة الرباعية المنتهية بألف تصبح ياءً كما في زكوت وأزكيت. ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كالآتي:

مُصفّى ← مُصفّى

muṣaffaa ← muṣaffe

٦- الأسماء التي تنتهي بألف زائدة للتأنيث أو لغير التأنيث مثل: معزى، وحُبلى، وعلل سيبويه ذلك بقوله:" لأنها بمنزلة ما هو من بنات الياء"[١].

ويمكن تفسير هذا في التشابه ما بين بنات الياء وهذه الألف الزائدة، وقد علل ذلك ابن الجزري فعدّ هذه الإمالة لأجل الشبه فقال:" وإمالة الألف التأنيث في نحو (الحسنى) وألف الإلحاق في نحو(أرطى) في قول من قال مأرط لشبه ألفيهما بألف (الهوى) المنقلبة من الياء، ويمكن أن يقال بأن الألف تنقلب ياء في بعض الأحوال، وذلك إذا ثنيت قلت الحسنيان، والأرطيان، ويكون الشبه أيضاً بالمنقلب عن الياء كإمالتهم موسى، وعيسى؛ فإنه أُلحق بألف التأنيث المشبهة بألف الهدى"[٢].

إذاً فألف التأنيث أو الزائدة أميلت لعلتين أحدهما بنائية حيث إن في بعض استعمالاتها تنقلب ياءً والثانية تخصّ رسم الألف حيث إن رسم الألف يدل على أنها تشبه بنات الياء إضافة إلى ذلك الأداء الصوتي المتشابه ما بين الألف الزائدة والمنقلبة، ويمكن أن أمثل ذلك صوتياً كالآتي:

مِعْزى ← مِعْزى

mi<zaa ← mi<z ^{e}E

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٠.

(٢) ابن الجزري، النشر، الصفحة ٢/٣٢ وما بعدها.

٧- الفعل الأجوف إذا كانت عينه من بنات الياء إذا كان أول فَعلتُ مكسوراً مثل: مَالَ، وسَار، وعدّ سيبويه هذه الإمالة لغة لأهل الحجاز، فأما العامّة فلا يميلون[١].

إذاً فالكسر مقدرٌ في الفعل عند إسناده إلى التاء المتحركة فتصبح الكلمتان: سِرْتُ ومِلْتُ، فهذه الكسرة المقدرة المفترضة أثرت في الألف مما أدت إلى إمالتها، أضف إلى ذلك أن الألف منقلبة عن ياء بدليل مضارعها ومصدرها فتقول مال يميل ميلاً، وسار يسيراً سيراً.

وعدّ إبراهيم أنيس أن الأصل في مثل ذلك هو الياء ثم تطورت إلى الإمالة ثم إلى الفتح حيث يقول:" وجب أن نفهم من هذا أن الأصل اليائي قد تطور أولاً إلى الإمالة، ثم تطورت الإمالة إلى الفتح، أي أن المراحل التي مرّ فيها مثل هذا الفعل(باع) هي:

(بَيْعَ) ثم (إمالة) ثم (فتح).

baa<ā ◄— be<a ◄— bay<a

فالصوت المركب ay قد تطور أولا إلى : e ثم إلى: a"[٢].

وذكر ابن ذكوان عللاً ثلاث لإمالة مثل: طاب وخاب وضاق وزاغ وزاد"، وهذه العلل هي:

أ- إن أوائلها تتكسر عند الإخبار.

ب- إن عيناتها كلها أصلها الياء.

ج- إن العين في المستقبل في جمعيها مكسورة فقويت الإمالة فيها لاجتماع هذه العلات الثلاث[٣].

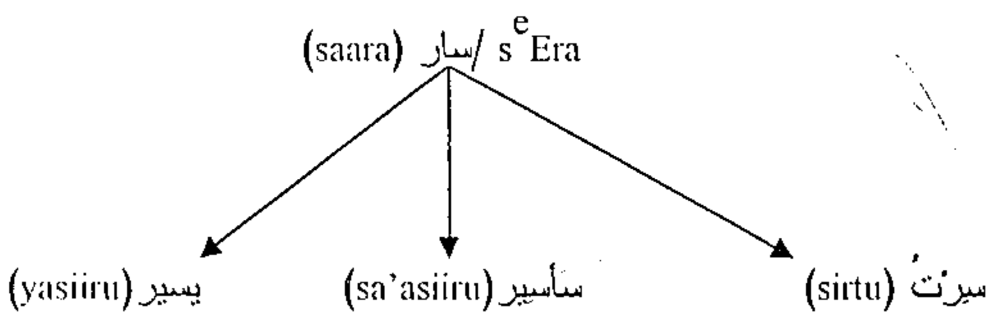
---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/ ١٢٠.

(٢) د.إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ٦٦.

(٣) مكي بن أبي طالب، الكشف ٨٤.

وعلى ذلك فالتأثير كان تقديراً وليس ظاهراً، أي أن العلّة ذات طابع بنائي فقدرت الكسرة في الإخبار وفي الاستقبال إضافة إلى أنّ أصل الألف ياء، ويمكن أنْ أمثل ذلك التأثير المفترض بالآتي:



فقد أثرت الكسرة المفترضة في سِرت(i) والكسرة الطويلة المفترضة في سأسير (ii)، والكسرة الطويلة في يسير (ii)، فأحدثت هذه العلل للإمالة.

٨- الفعل الأجوف ذو الأصل الواوي شريطة أن يكسر أوله حين إسناده إلى التاء المتحركة أو تُكسر عينه ومثال ذلك: خاف، فالأصل البنائي (خَوِف) يكسر عين الفعل وإذا أسندت إلى التاء المتحركة كسر أولها فتصبح(خِفتُ) بكسر فاء الكلمة، يقول سيبويه:" ولا يميلون ما كانت الواو فيه عيناً إلا ما كان مكسر الأول، وذلك خافَ وطاب وهاب"[(١)].

إذاً فإمالة (خاف) لعلتين:

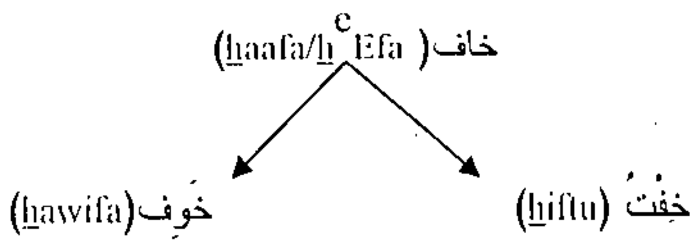
أ- إن الأول معها ينكسر عند إسناده إلى ضمير المتكلم (خِفتُ).

ب- إن عين الفعل أصلها الكسر(خَوِف)، واعتبر إبراهيم أنيس إمالة ما أصله واو ليس لها ما يبررها حيث يقول:" غير أنه من الصعب مع هذا أن نبرر من الناحية الصوتية، ما زعمه بعض النحاة من جواز الإمالة فيما أصله واو مثل[خاف]، لأن الإمالة في مثل هذه الحالة كان حقها أن تكون من الفتح إلى الضم، لا من الفتح إلى الكسر على أن النحاة قد اختلفوا في الحكم على إمالة أمثال[خاف] فأنكرها بعضهم أمثال أبي العباس المبرد، فقد روي عنه أنه قال: إن إمالة ما كان من ذوات

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٢٠-١٢١.

الواو على ثلاثة أحرف نحو(دعا، غزا) قبيحة إلا إذا كان هناك ما يبررها ككسرة تسبق ألف المد كما في إمالة (ربا) التي قرأ بها الكسائي وحمزة"[١].

وعلى هذا يكون التأثير مفترضاً- أي تأثير الكسرة حين الإسناد أو في أصل التاء- ويمكن أن أمثل ذلك صوتياً:



فأثرت الكسرة القصيرة (i) في خفت والكسرة القصيرة (i) في خوف بالألف في خاف ما أحدثت الإمالة فيها.

٩- الألف المسبوقة بالياء في الأسماء ومثالها: كيّال وبيّاع؛ لأن الياء صارت بمنزلة الكسرة[٢]، وعدّ سيبويه هذه الإمالة قليلة حيث يقول:" وكثير من العرب وأهل الحجاز لا يميلون هذه الألف"[٣]، فقد تنبّه سيبويه إلى أن شبه الصائت(الياء) بمنزلة الصائت القصير(الكسرة) في التأثير وتعمل عملها، فقد أثرت الياء في الألف فجذبتها نحوها وقاربتها من لفظها.

"وقد يفصل بحرفين أحدهما الهاء نحوها يدها، وقد يكون الفاصل غير ذلك نحو (رأيت يدنا) من هذا الباب أيضاً، فلم يرد في القرآن الكريم يدنا ولا يدها، وإنما الذي ورد(يده) في قوله تعال:" ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين" وفي قوله تعالى:" إذا أخرج يده لم يكدْ يراها" ويدي، وبيديه، ويديها"[٤].

---

(١) د. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ٦٨-٦٩.

(٢) سيبويه، الكتاب ١٢١/٤.

(٣) المصدر نفسه ١٦١/٤).

(٤) ابن الجزري، مفتاح كنوز القرآن ٥٩."

أما إذا كانت الياء بعد الألف فقد أورد الاستراباذي ذلك بقوله:" وإن تأخرت الياء عن الألف فإذا كانت مكسورة كمبايع فالمقتضى للإمالة أقوى من المقتضى في نحو عابد، وإن كانت مفتوحة أو مضمومة كالمبايع، والتبايُع فلا تؤثر[1].

إذن فالياء تؤثر تقدمية كانت أو رجعية بفاصل أو بغير فاصل ففي مثل كيّال فالمماثلة مقبلة جزئية متصلة وفي مثل يدنا فهي مقبلة جزئية منفصلة (لوجود حائل)، وفي مبايع فهي مماثلة مدبرة جزئية متصلة.

١٠- الأسماء المتبوعة ألفها بكسر عارض مثل: مررت ببابه، وأخذت من مالِه، وعد سيبويه هذه الإمالة ضعيفة؛ لأن الكسرة غير لازمة"[2].

ويرى عبد الفتاح شبلي أن الكسرة وحدها لا تكفي للإمالة، بل لا بد من اجتماع سبب آخر في الكلمة ففي مثل كلمة الكافرين فإنها أُميلت لسببين:" أولهما كسرة الفاء والراء والياء، وثانيهما كثرة الدور في القرآن الكريم، حيث وقع هذا الحرف في القرآن في نحو ٩٠ موضعاً[3].

والحال كذلك بالنسبة لـ(بابِهِ) حيث اجتمعت فيها كسرتان الأولى في الباء والثانية في الهاء.

إذن فقد أثر الصائت القصير بعد الباء في الألف بوجود حائل صامت وهو الباء فأحدث ذلك الإمالة ويمكن أن أمثل ذلك صوتياً:

بابِهِ ← بابِهِ

baabihi ← $b^{e}Ebihi$

حيث أثر الصائت القصير (i) في الصائت الطويل (aa) ليقربه من الصائت الطويل (ii) أي أن الصائت القصير (i) يجذب الألف(aa) نحوه فالمماثلة مدبرة جزئية منفصلة.

---

(١) الاستراباذي، شرح الشافية ٣/١٠.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/١٢٢.

(٣) عبد الفتاح شلبي، في الدراسات القرآنية واللغوية (الإمالة في القراءات واللهجات العربية) ٢٢٩-٢٣٠.

١١- إمالة تنوين الفتح، في حالة الوقف، إذا سُبِقَ آخر حرف بالياء، مثل: رأيتُ زيداً، حيث سُبقت الدال بالياء ولا يميلون في رأيت عبْداً، لأن الدال غير مسبوقة بياء[١].

وقد عومل تنوين الفتح في حال الوقف معاملة الألف، لأن تنوين الفتح يبدل ألفاً من وجهة نظر سيبويه في حالة الوقف حيث يقول:" أما كل اسم منون فإنه يلحقه في حال النصب في الوقف الألف، كراهية أن يكون التنوين بمنزلة النون اللازمة للحرف منه"[٢].

إذاً، فالإمالة مرّت بمراحل، فقد أبدل التنوين ألفاً ثم أميلت الألف، أما لتفسير الحديث لهذه المراحل فيمكن أن أمثله بالمعادلة الآتية:

زيداً ← زيدَ ← زيدا ← زيدا

zaydan ← zayda ← zaydaa ← zayd^{e}E

حيث حُذف التنوين وأشبعت حركة الدال لتصير إلى زيداً، ثم أثرت الكسرة (i) في الألف فأمالتها، فالمماثلة مقبلة جزئية منفصلة.

١٢- إمالة تنوين الفتح إذا سبق آخر حرف في الكلمة بحرفين أولهما ساكن والثاني مكسور، ومثال ذلك: رأيت قِزْحا، ورأيت عِلْما[٣].

وهذه الإمالة على غرار ما سبقها من إمالة التنوين إلا أن هذه الإمالة تخلّف في أمرين:

أولهما: تأثير الكسرة وليس الياء.

ثانيهما: وجود حرفين فاصلين أحدهما ساكن.

أما من وجهة النظر الحديث فأجد أن الإمالة في كلتا الحالتين نتجت عن الكسرة أي الصائت القصير وليس بسبب الصائت الطويل، ولكن في الحالة الأولى

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٢٢.

(٢) المصدر نفسه ٤/١٦٦.

(٣) المصدر نفسه ٤/١٢٢.

فصل الألف صامت واحد وفي الثانية فصل بصامتين، وأوضح ذلك من خلال الكتابة الصوتية:

قِزْحاً ◄—— قِزْحَ ◄—— قِزْحا ◄—— قِزْحا،

kizḥ^{e}E ◄—— kizḥaa ◄—— kizḥa ◄—— kizḥan

حيث حذف التنوين (n) ثم حدث انزلاق حركي للحركة التي قبل التنوين لتصير إلى صائت طويل (aa)، فصارت الكلمة (قِزْحا)، ثم أثر الصائت القصير(i) في الصائت الطويل (aa) بوجود فاصلين صامتين وهما(zḥ)، فأميل الصائت الطويل(aa) إلى إمالة كبرى(e) أو صغرى(E) فالمماثلة مقبلة جزئية منفصلة.

١٣- إمالة تنوين الفتح إذا سُبق بألف ممالة مثل: رأيتُ عمادا. وعلل ذلك سيبويه:" فأمالوا للإمالة"(١).

فقد أمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف أي أن هناك تغيرات صوتية عِدّة يمكن أن نمثلها بالآتي:

عِمَاداً ◄ بحذف التنوين والانزلاق عِمادا ◄ بإمالة الألف الأولى عِمادا ◄ بإمالة الألف الثانية عمادا،

<im^{e}Ed^{e}E ◄—— <im^{e}Edaa ◄—— <imaadaa ◄—— <imaadan

حيث حذف التنوين(n) ثم مُطِلَ الصائت القصير(a) ليصير إلى صائت طويل(aa) لتصبح الكلمة عمادا، ثم أثرّ الصائت القصير(i) في الصائت الطويل الأول(aa) بوجود صامت(m) لتصير الكلمة إلى عمادا بإمالة الصائت الطويل الأول، ثم أميل الصائت الطويل(aa) متأثراً بالإمالة الأولى لتصير إلى الإمالة فتكون الكلمة بشكلها النهائي عمادا، بإمالة الصائتين الطويلين.

١٤- إمالة الألف التي بعد هاء الضمير عندما يكون الحرف الذي قبل الحرف الذي يلي الهاء مكسوراً، مثل: يريد أن يَضْبِبها، ويريد أنْ ينْزِعها، وعلل سيبويه هذه

---

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٢٣.

فالحال كذلك فقد أثرت الكسرة بالألف بوجود الهاء فاصلاً، ويمكن أن أمثل ذلك صوتياً:

ذِهاً ← ذِهَـ ← ذِها ← ذِهاE

dihan ← diha ← dihaa ← dih^{e}E

فحذف التنوين وطُوّل الصائت القصير عند الوقف ليصير إلى صائت طويل(aa) ثم أثرّ الصائت القصير (i) في الصائت الطويل (aa) فأماله. وأجد نهاية أن الإمالة تحدث لسببين رئيسين هما:

١- صوتي.

٢- بنائي.

ويمكن توضيحها بالشكل التالي:

الإمالة

- صوتي(الانسجام أو المماثلة)
  - تأثير الكسرة المقبلة
  - تأثير الكسرة ← تأثير الكسرة المدبرة
  - التأثير المتصل
  - تأثير الياء المقبلة
  - تأثير الياء ← تأثير الياء المدبرة
  - تأثير الياء المتصلة
  - تأثير الياء المنفصلة
  - تأثير الإمالة ← الإمالة للإمالة
- بنائي(ما كان أصله الياء أو الكسر)
  - ما أصله واو وفي تقليباته الياء
  - ما خرج إلى الياء لأنه غير ثلاثي
  - ما كان أصله ياءً

ثانياً: امتنـــاع الإمالـــــة

تمتنع إمالة الألف في المواضع التالية:

١- إذا ولي الألف مضمومٌ أو مفتوحٌ وذلك نحو: آجُر، وتابل، وخاتَم. وعلـــل سيبويه ذلك:" لأن الفتح من الألف فهو ألزم لها من الكسرة، ولا تتبع الواو، لأنـــها لا تشبهها، ألا ترى أنك لو أردتَ التقريب من الواو انقلبت فلم تكن ألفاً"(١).

إذاً، فقد امتنعت الإمالة لوجود الفتحة بعد الألف وعدم وجود كسر يسبق الألف ف مثل: بَابل وخاتَم وبالتالي لا حاجة لوجود إمالة لعدم وجود كســـر أولاً، ولأنـــها ليست في بنائها ياء أو كسر، وبما أن الألف متناسبة تماماً مع الفتح الذي يتبعها فـــلا مسوّغ للإمالة، أما في آجُر فالضمة من الواو ولو أن الضمة أثرّت في الألف لقُلبـت الألف واو ولو تَعُد ألفاً.

٢- إذا سبق الألف مضموم أو مفتوح نحو: رِباب، وَجماد، والبلْبال، والجُماع، والخُطّاف(٢).

تمتنع إمالة الألف المسبوقة بالفتح أو الضم، لأنه ليس هناك من أسباب للإمالـــة حيث لا وجود للكسر قبل الألف أو بعدها وفي الوقت نفسه فالألف ليست من أصـــل يائي، أو حتى تعود في بعض تقليباتها إلى الياء أو الكسر وبالتالي فالإمالة ممتنعة.

٣- الاسم الثلاثي المنتهي بألف منقلبة عن واو، مثل: عصا، وقفــــا، والقنـــا، والقطا، وعلل سيبويه ذلك:" أنهم أرادوا أن يبينوا أنها مكان الواو ويفصلـــوا بينـــها وبين بنات الياء"(٣).

وبعضهم أمالها تشبيها لها بالفعل مثل: الكبا، والعشا، والمَكـــا(وهـــو جحـــر الضب)، حيث إن الفعل يجوز إمالته، لأنه لا يثبت على حال يقول سيبويه:" والإمالة

(١) سيبويه، الكتاب ١١٨/٤.

(٢) المصدر نفسه ١١٨/٤.

(٣) المصدر نفسه ١١٩/٤.

في الفعل لا تتكسر... وإنما كان في الفعل متلئبّاً، لأن الفعل لا يثبت على هذه الحال. ألا ترى أنك تقول غزا، ثم تقول غُزي، فتدخله الياء"[1].

أما هذه الأسماء(عصا، وقفا، والقنا، والقطا...) فإن ألفها ثابتة على هذه الحالة وليست في تقليباتها الياء وبالتالي فليس هناك من مسوغٍ للإمالة سواء أكان المسوغ انسجاما صوتياً أم ما كان أصله ياءً.

٤- ما كانت عينه من بنات الواو شريطة أن لا يكون مكسور الأول حينما يُصاغ على فَعَلْتُ مثل: قام، ودار[2].

فما الفرق إذاً بين قام وخاف على الرغم أنهما من بنات الواو؟ الإجابة أن قام إذا أسندت إلى تاء المتكلم فإنّ فاءَها تكون مضمومة(قُمتُ) في حين أن خاف تصبح (خِفتُ) بكسر الفاء حينما تُسندُ إلى تاء المتكلم وهذه الكسرة هي السبب في إمالة خاف في حين أن قام ليس لها من مسوغ لإمالتها.

٥- امتناع إمالة الألف التي تلي الضمير المتصل في ثلاث حالات:

أ- إذا لم تُسبق بكسر أو ياء مثل: لم يعلَمْها، ولم يخَفْها، فليس هناك مسوغ لإمالة الألف سواء أكان المسوغ صوتياً أو بنائياً، فلم يكن كسر أو ياء يؤثر في الألف فيميلها، وليست الألف ذات أصل يائي يُسوّغ الإمالة[3].

ب- إذا سبقت الألف بكسر أو ياء وفصل بينهما- أي بين الكسر والألف، أو الكسر والياء- بالضمة، فقد عدّ سيبويه الضمّة حاجزاً يمنع الإمالة، يقول سيبويه:" وذلك أنه وقع بين الألف وبين الكسرة الضمّة، فصارت حاجزاً فمنعت الإمالة، لأن الباء في قولك يَضْرِبَها، فيها إمالة، فلا تكون في المضموم إمالة إذا ارتفعت الباء"[4].

---

(١) سيبويه، الكتاب ١١٩/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٢١/٤.

(٣) المصدر نفسه ١٢٤/٤.

(٤) المصدر نفسه ٤/ ١٢٤.

ج- الألف في حال وصل الكلمة(حتى ولو كانت ممالة في الوقف)، ومثال ذلك: يُريد أن يَضرِبَها زيدٌ، وعلل سيبويه ذلك أن الألف في الوصل أبين، يقول سيبويه:" ... إذا وصلوا نصبوها فقالوا: نُريدُ أن يضربا زيداً، ويريدُ أن يضرِبها زيدٌ، ومنّا زيدٌ، وذلك لأنهم أرادوا في الوقف- إذا كانت الألف تمال في هذا النحو- أن يُبينوا في الوقف حيث وصلوا إلى الإمالة، كما قالوا: أفعي في أفعى، جعلوها في الوقف ياءً، فإذا أمالوا كان أبين لها، لأنه ينحو نحو الياء، فإذا وصل ترك ذلك لأن الألف في الوصل أبين"(١).

إذاً فالضمة حاجزٌ حسين يمنع تأثير الكسرة في الألف وبالتالي يمنع إمالتها وعلى ذلك تكون الحالات التي تجوز فيها الإمالة والحالات التي تمتنع فيها إمالة ألف الضمير كما يلي:

أن يَضرِبَها ←في الوقف أن يضرِبَهاا / بالإمالة لوجود الكسر.

لم يَعلَمْها ← لم يَعلَمْها /بالفتح لعدم وجود كسر.

يَضرِبُها ← يَضرِبُها / بالفتح لوجود حاجز حصين وهو الفتحة

يُديرُها ← يُديرُها / بالفتح لوجود حاجز حصين وهو الضمة

أن يَضرِبا زيداً ←في الوصل أن يَضرِبا زيداً/ بالفتح بسبب الوصل.

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٢٦-١٢٧.

ثالثاً: امتناع الإمالة مع حروف الاستعلاء

تمتنع إمالة الألف مع حروف الاستعلاء في المواضع الثلاثة التالية:

١- إذا سبق الألف أحد حروف الاستعلاء، ومثال ذلك قَاعِد، خَامِد، وصَاعِد، وطَائِف، ضَامِن، وظَالِم[١].

وعلّل سيبويه ذلك بأن حروف الاستعلاء والألف التي تستعلي من موضع واحد، لذلك كان العمل من وجهٍ واحدٍ أخفَّ عليهم. يقول سيبويه:" وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبتْ عليها، كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ونحوها، فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي، وقربت من الألف كان العمل من وجهٍ واحدٍ أخفَّ عليهم، كما أن الحرفين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخفَّ عليهم فيدغمونه"[٢].

إلاّ أنه قد قرئ:(فاصطادوا) بإمالة الألف بعد الطاء، وقد علل ابن جني ذلك بأن الذي شجّع على الإمالة مع وجود الطاء وهو من حروف الاستعلاء، وكذلك الصاد كون الألف منقلبة عن ياء الصيّد، وأمر آخر هو:" إن حروف الاستعلاء لا تمنع الإمالة في الفعل إنما تمنعها في الاسم نحو طالب وظالم، فأما في الفعل فلا، ألا تراهم كيف أمالوا طغى وقضى هناك حرفان مستعليان مفتوحان، وسبب ذلك إيغال الأفعال في الاعتلال وأنها أقصد فيه من الأسماء"[٣].

وأورد ابن جني هذا التعليل في المنصف حيث يقول:" الأفعال موضوعة للتوهين والإعلال لتصرفها، وأنها لا تتقارّ على حال واحد، فلذلك كثر فيها الإعلال،

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٢٨/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٢٩/٤.

(٣) ابن جني، المحتسب ٢٠٦/١.

ألا تراهم أمالوا مثل صار وطاب مع أن فيهما حرفاً مستعلياً لأنهما فعـــلان، ولــم يجيزوا ذلك في صالح وخالد لأنهما اسمان"[1].

٢- إذا لحق الألف أحد حروف الاستعلاء مكسوراً:

أ- **دون فاصل ومثال ذلك: ناقِد، وعاطِس،** وعـــاصِم، وعـاضِد، وعــاظِل، وناخِل، وواعل[2].ومن أمال هذه فلا يؤخذ بعربيته:" ولا نعلم أحداً يميل هذه الألــف إلا من لا يؤخذ بلغته"[3]، والحال كذلك في تفسير هذه الظاهرة الصوتيــة، فـالألف وحروف الاستعلاء يتشابهان في صفة التصعد بينما تختلف الألف الممالة مع حروف الاستعلاء يتشابهان في صفة التصعد بينما تختلف الألـــف الممالــة مــع حــروف الاستعلاء في أن الألف الممالة تتسفل في حين تتصعد حروف الاستعلاء.

ب- **إذا لحق الألف أحد حروف الاستعلاء بوجود فاصل مكسور**، ومثال ذلك: نافِخ، نابغ، ونافِق، وشاحِط، عالِط، ناهِض، وناشِط[4]، فالألف تتأثر بعاملين: أولــهما الكسرة اللاحقة لها وثانيهما حرف الاستعلاء، إلا أن التأثير الأقوى هــو لحــروف الاستعلاء المتصعدة في الحنك، حيث إن هذه الحروف شديدة التأثير فــهي تجـذب الأصوات القريبة منها إلى صفتها في الاستعلاء، وقد أورد سيبويه مقارنة بين تـأثير هذه الأحرف في الإبدال وفي الإمالة حيث يقول:" ونحوٌ من هذا قولهم: صُقْتُ، كمـا كان بعدها القاف نظروا إلى أشبه الحروف من موضعها بالقاف فأبدلوه مكانها"[5].

ج- **إذا لحق الألف أحد حروف الاستعلاء بوجود حرفيــن فـاصلين أولـهما مكسور**، مثال ذلك: مناشيط، ومنافيخ، ومعاليق، ومقاريض، ومواعيظ ومبــاليغ[6]،

---

(١) ابن جني، المنصف ١/٥٥-٥٦.

(٢) سيبويه، الكتاب ١٢٩/٤.

(٣) المصدر نفسه ١٢٩/٤.

(٤) المصدر نفسه١٢٩/٤.

(٥) المصدر نفسه ١٢٩/٤.

(٦) المصدر نفسه ١٣٠/٤.

فقد أثرت حروف الاستعلاء بوجود صوتين أحدهما صائت طويل، وهذا يدلل على القدرة الفائقة في تأثير حروف الاستعلاء أكثر من الأصوات الأخرى.

إذاً السبب في امتناع الإدغام مع حروف الاستعلاء سواء أتبعها كسرة أم لم يتبعها أنه يصعب على اللسان الانتقال من حالة التصعّد إلى حالة الاستفال مع الكسرة.

٣- إذا كانت الألف في نهاية الكلمة وكانت ممالة في الوقف وأتبعت بهمزة وصل في حالة الوصول،مثال ذلك : لم يَضْربها الذي تعلم وعلل سيبويه ذلك بذهاب الألف:" وقالوا : لم يضربَها الذي تعلم، فلم يميلوا لأن الألف قد ذهبت،ولم يجعلوها بمنزله ألف حُبلى ومِرمى ونحوهما"[1]. أما ذهاب هذه الألف فهو أدائي لا بنائي مثلها مثل ذهاب اللام الشمسية في الأداء.

إذاً فامتناع الإمالة كان لسبب صوتي محض وليس له علاقة بالبناء، وهذا السبب الصوتي يعود في أحوال الامتناع إلى المماثلة الجزئية بشقيها المقبلة والمدبرة متصلة كانت أم منفصلة، ففي الموضع الأول أثّر حرف الاستعلاء في الألف التي تلحقه فمنعها من الإمالة لأن الألف اقرب من الناحية الصوتية من الإمالة فهما يشتركان في تصعد اللسان في الحنك، وهذه المماثلة مقبلة جزئية متصلة، وفي الموضع الثاني كانت المماثلة مدربه جزئية إلى أنها كانت في الحالة الأولى (ناقِد) متصلة لعدم وجود فاصل، وفي الثانية منفصلة بوجود فاصل(نافخ) وفي الثالثة منفصلة بوجود فاصلين(مناشيط).

أما في الموضع الأخير فسبب الامتناع صوتي لكنه ليس للمماثلة وإنما بسبب حذف الألف من الناحية الأدائية الصوتية، إلا أنة من المنظور الحديث ـ فالصائت الطويل تحوّل إلى صائت قصير وهذا ليس موضعاً من مواضع إمالة الصوائت القصيرة.

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٣٤/٤.

رابعاً: جواز الإمالة مع حروف الاستعلاء

تجوز إمالة الألف مع حروف الاستعلاء في المواضع التالية:

١- إذا سُبقت الألف بحرف استعلاء مكسور بوجود فاصل، وعلل سيبويه ذلك بقوله:" وليس بمنزلة ما يكون بعد الألف، لأنهم يضعون ألسنتهم في موضع المستعلية، ثم يصوبون ألسنتهم، فالانحدار أخفّ عليهم من الأصعاد"[١]. ومثال ذلك الضّعاف، والقِفاف، والخِياث، والغِلاب.

ويمكن تفسير ذلك أنّ حروف الاستعلاء إذا سبقت الألف وكانت مكسورة فلا بُدّ إذاً من نطق حرف الاستعلاء ثم نطق الكسرة، فحرف الاستعلاء يتصعد إلى أعلى في حين أن الكسرة مُتسفّلة وقد تبعت الكسرة الألف فصار التَسَفّل في النطق أخفّ عليهم من التصعّد إلى أعلى لمماثلة الكسرة، أما إذا كان حرف الاستعلاء بعد الألف فإن حرف الاستعلاء يؤثر في الألف لعدم وجود فاصل بينه وبين الألف فإذا نطقنا الألف ممالة؛ أي مُتسفّلة ثم نطقنا حرف الاستعلاء متصعداً ثقل علينا ذلك.

أما القرّاء فلم يميلوا إلا " ضِعاف" في قوله تعالى:" وليخشَ الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم"، إمالة حمزة من رواية خلف، والنحاة يقولون:" النصب في ضعاف جيد والإمالة أجود"[٢].

ويمكن تمثيل ذلك صوتياً بالمعادلة التالية:

ضِعافٌ ←—— ضِعاافٌ

ḍi<aafun ——→ ḍi<^{e}Efun

فقد أثرت الكسرة (I) في الألف (aa) بوجود حائل العين "<" لتلغي تأثير حرف الاستعلاء الضاد (ḍ)، فأمالت الألف، فهذا التأثير الصوتي من قبيل المماثلة الصوتية المقبلة الجزئية المنفصلة.

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٣/٤.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل ٦٠/٩.

٢- إذا كان أول حروف الكلمة مكسوراً وبين الكسرة والألف حرفان أحدهما ساكن، والساكن أحد حروف الاستعلاء، ومثال ذلك: ناقةٌ مِقْلاتٌ والمِصْباح، والمِطْعان.

وعلل سيبويه ذلك بقوله:" لأنك كنت ستُميل لو لم يَدخُل الساكن للكسرة، فلما كان قبل الألف بحرف مع حرف تُمال معه الألف، صار كأنه هو المكسور، وصار بمنزلة القاف في قِفاف"(١).

ووضح السيرافي هذا القول بقوله:" يريد أن حرف الاستعلاء: إذا كان ساكناً بين الكسرة وبين الحرف الذي يلي الألف فبعض العرب لا يعتد به لسكونه وأنه كحرف ميت لا يُعْتدّ به، يكون في جملة الحرف الأول الذي قبله؛ فكأن الكسرة فيه"(٢).

أي أن حرف الاستعلاء عندما يسكن يضعف تأثيره فتسبقه الكسرة باتجاه الألف فيكون أقرب إلى الألف من حرف الاستعلاء فيصير بمنزلة " قِفاف".

ويرى الرضي أن بعض العرب لا تعتد بحرف الاستعلاء الساكن وبعضهم يعتدّ به، لأنه أقرب إلى الألف حيث يميل البعض والبعض يتركون الإمالة(٣). ويمكن أن أمثل ذلك صوتياً:

مِقْلاتٌ ← مِقْلاتٌ

miklaatun ← mikl ^{e} Etun

فأثرت الكسرة(i) بالألف (aa) بالرغم من وجود حرف استعلاء(k) واللام(L) يفصل بينهما، فالمماثلة مقبلة جزئية منفصلة.

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٣٠-١٣١.

(٢) انظر حاشية الكتاب ٤/١٣١.

(٣) الرضي، شرح الشافية ٣/١٨.

٣- إذا كان أول حروف الكلمة حرفاً مستعلياً مكسوراً ويفصل بينه وبين الألف حرفان أحدهما ساكن، مثال ذلك: رأيتُ قِزْحا، ورأيتُ ضِمنا[١].

فقد أثرت الكسرة في الألف لأن حرف الاستعلاء سبقها وفُصل بين الكسرة والألف حرفان أحدهما ساكن فجازت الإمالة، ويمكن أن أمثل ذلك صوتياً:

قِزْحا ⟵ قِزْحا

kizḥ^{e}E ⟵ kizḥaa

٤- إمالة الألف ذات الأصل اليائي مثل: طاب، ومُعْطى، وسقى[٢].

وعلل الرضي ذلك حيث يقول:" أجيزت الإمالة في نحو المُعْطى، والوسطى مع حروف الاستعلاء لقوة السبب؛ لأن انقلاب الألف ياء لغير الإمالة مطرد، والبنية باقية سبب قوي للإمالة فتجري عليها مع حروف الاستعلاء أيضاً"[٣].

والحال كذلك عند ابن جني حيث يفسر إمالة اصطادوا:" فتميل الألف بعد الطاء إذا كانت منقلبة عن ياء الصَّيْد"[٤].

٥- إمالة ما كان أصله الواو ويُكسر حين إسناده إلى التاء المتحركة المسبوقة بحرف استعلاء، يقول سيبويه:" وكذلك خاف، لأنه يروم الكسرة التي في خِفْتُ كما نحو الياء"[٥].

يقول الرضي في علّة الإمالة:" أو قصد مناسبة صوت نطقك بالألف بصوت نطقك بأصل تلك الألف وذلك إذا كانت منقلبة عن ياء، أو واو مكسورة، كباع وخاف"[٦].

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٣٢/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٣١/٤-١٣٢.

(٣) الرضي، شرح الشافية ١٥/٣.

(٤) المحتسب ٢٠٦/١.

(٥) سيبويه، الكتاب ١٣١/٤.

(٦) الرضي، شرح الشافية ٥/٣.

خامساً: قوانين الإمالة مع حرف الراء

أ- جواز الإمالة:

يمكن أنْ نجمل المواضع التي تجوز فيها إمالة مع وجود الراء بما يلي:

١- إذا كانت الراء مكسورة بعد ألفٍ ولم تلحقها الراء، ومثال ذلك: من حمارِك، مِن عَوَارِهِ، وعلل سيبويه ذلك بقوله:" لأنها كأنها حرفان مكسوران، فتميل ههنا كما غَلَبَتْ حيث كانت مفتوحة، فَنُصبتِ الألف"(١) .

ويتفق النحاة والقرّاء على قوّة تأثير الراء" للعرب في كسر الراء رأي ليس لها في غيره"(٢)، وإنما كانت الراء كذلك لأنها حرف تكرير، فإذا نطقت به خرج كأنه متضاعف، فإذا كانت مكسورة فهي تقوي الإمالة أكثر من قوّة غيرها ن الحروف المكسورة؛ لأن الكسرة تتضاعف فهي من أسباب الإمالة(٣). ويرى سبط الخياط البغدادي أنّ" الراء لها نبوة فيما بين ألها وآخرها، وفيها تكرر، وهي بمنزلة حرفين، والكسرة فهيا بمنزلة كسرتين، وكذلك الضمّة والفتحة"(٤).

إذاً فخاصيّة التكرير تجعل الراء كأنها راءان فإذا كانت مكسورة فكأن هناك كسرتين فاجتماع الكسرتين كان سبباً قويّاً لإمالة الألف، فقد أثرت الكسرة - وإن جاز الكسرتان- في الألف تأثيراً رجعياً بوجود فاصل صامت الراء فأمالت الألف، ويمكن أن أمثل ذلك صوتياً:

من حمارِكَ ← من حِمارِكَ

ḥimaarika ← ḥim^{e}Erika

من عَوَارِهِ ← من عَوَارِهِ

<awaarihi ← <aw^{e}Erih

(١) سيبويه، الكتاب ٤/١٣٦.

(٢) أبو شامة، إبراز المعاني ١٦٢.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل ٩-٦١.

(٤) سبط الخياط البغدادي، المبهج ٧٥.

ففي قولنا (من حمارك) تجاذب الألف تأثيران أحدهما رجعي وهو الصائب القصير (i) وثانيهما تقدمي وهو أيضاً الصائت القصير (i) وبالتالي كان هناك سببان للإمالة، أما من (عَوَارِهِ) فكان التأثير رجعياً للصائت القصير (i).

٢- أن يأتي أحد حروف الاستعلاء قبل الألف تليه الراء المكسورة، ومثال ذلك قولنا: قارِب وغارِم، وطارِد.

فقد أثرت الكسرة في الألف بالرغم من وجود حرف استعلاء يسبقها وعلل سيبويه ذلك حيث يقول: "وذلك لأن الراء لما كانت تقوى على كسر الألف في فِعال في الجرّ وفَعال، لما ذكرنا من التضعيف، قويت على هذه الألفات، إذْ كنتَ إنما تضع لسانك في موضع استعلاء ثم تنحدر، وصارت المستعلية ههنا بمنزلتها في قفاف"[1].

إذاً تتنازع الألف قوتّان أحدهما (الراء المكسورة) والثانية (حرف استعلاء) إلا أن قوة تأثير الراء المكسورة أكثر من تأثير قوة الاستعلاء (حرف الاستعلاء)، لما لها من خصائص التكرير فكأنها حرفان مكسوران. ويمكن أن أمثل ذلك صوتياً كالآتي:

قاربٌ ←── قا رِبٌ

kaaribun ←── $k^{e}{}_{E}$ribun

حيث إن تأثير الراء المكسورة أكثر من تأثير الاستعلاء القاف.

٣- إذا سبق الألف راءٌ مفتوحة وتبع الألف راءٌ مكسورة، مثل من قِرارِك، والراء المفتوحة تُعتبر قوةً سالبة إلا أنها لم تكن أقوى من الاستعلاء "فلا تكون أقوى من القاف"[2]، وحيث إن القاف في (قارب) لم تمنع إمالة الألف لوجود الراء المكسورة فمن باب أولى أن لا تؤثر الراء المفتوحة، "فإنما شُبهت الراء بالقاف،

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٣٦/٤-١٣٧.

(٢) المصدر نفسه ١٣٧/٤.

وليس في الراء استعلاء، فجُعلت مفتوحة تُفتح نحو المستعلية، فلما قويتْ على القاف كانت على الراء أقوى"[١] وعدّ سيبويه الراء الفتوحة بزنتها واحدة "لأنها وإن كانت كأنها حرفان مفتوحان فإنما هي حرف واحد، و بزنته"[٢].

ويتحفظ القرّاء من إظهار تكرير الراء خصوصاً إذا شدّدت، ويعدون ذلك عيباً في القراءة، قال ابن الجزري: "وبذلك قرأنا على جميع من قرأنا عليه، وبه نأخذ"[٣].

ويقرر سيبويه أن الراء بزنته حرف واحد لكنه يشبه الحرفين لما له من صفة التكرير. ويمكن أن أمثل ذلك صوتياً:

من قِرَارِك ⟵ من قِرَارِكَ

ḳir^{e}ₗₑrika ⟵ ḳiraarika

وأرى الصائت الطويل (aa) قد تأثّر بقوتين موجبتين إحداهما الصائت القصير (i) الذي يسبق وثانيهما أيضاً الصائت القصير (i) بعد الراء، وليس كما يرى الأقدمون أن الراء المفتوحة قوة سالبة حيث إن الراء ليست مفتوحة وإنما هي متلوة بالصائت الطويل (aa) وحتى لو لم يكن الحرف الأول مكسوراً فإن التأثير سيكون لقوة موجبة واحدة وهي الصائت القصير (i) بعد الراء.

٤- إذا وليت الراء الألف وسبقت الراء بحرف مكسور، ومثال ذلك: الكافرون، ورأيت الكافرين، والكافرُ، والمنابِرُ، لم تستطع القوة السالبة (الراء غير المكسورة) بأن تمنع الإمالة وبالتالي تأثير القوة الموجبة الكسرة في الألف فأمالتها، وعلل سيبويه عدم قدرة الراء في التأثير السلبي (منع الإمالة) بعلتين:

أ-عدم المجاورة، يقول سيبويه: "واعلم أنّ قوماً من العرب يقولون: الكافرون ورأيت الكافرين، والكافِرُ، وهي المنابِرُ، لمّا بعدت وصار بينها وبين الألف حرفٌ لم تقوَ قوة المستعلية"[٤].

(١) سيبويه، الكتاب ١٣٧/٤.
(٢) المصدر نفسه ١٣٧/٤.
(٣) ابن الجزري، النشر ٢١٩/١.
(٤) سيبويه، الكتاب ١٣٧/٤.

ب- **قربها من الياء**، وبالتالي تصبح قوة موجبة لأن الياء من أسباب الإمالة وليست من موانعها، حيث يقول سيبويه:" لأنها موضع اللام وقريبة من الياء ألا ترى أنّ الألثغ يجعلها ياءً فلمّا كانت كذلك عملت الكسرة عملها، إذْ لم يكن بعدها راء"(١).

وبعض العرب لم يُمل في حالتي الرفع والنصب، ولم ينظروا في كسر ما بعد الألف فأثرت الراء المضمومة أو المفتوحة كقوة سالبة في الإضافة" وأما قوم آخرون فنصبوا الألف في الرفع والنصب، وجعلوها بمنزلتها، إذْ لم يحلْ بينها وبين الألف كسر، وجعلوا ذلك لا يمنع[النصب] كما لا يمنع في القاف وأخواتها "(٢).

ويمكن أن أمثل هذا التأثر المدبر المنفصل الجزئي بالمعادلة التالية:

الكافِرُ ←——— الكافرُ

'aLkaafiru ←—— 'aL-KeEfiru

٥- <u>إذا وليت الألف راءٌ مُضعّفةٌ في حالة الجر</u>، ومثال ذلك: مررتُ بفارٍّ، حيث فصل بين الراء المكسورة والألف راءٌ ساكنة حيث عدّها سيبويه ضعيفة لسببين أولهما لسكون الصوت" من قِبَل أنّه ليس بين المجرور وبين الألف في فارٍّ إلا حرف واحد ساكن"(٣)، وثانيهما أن الراء الساكنة والمكسورة صارتا كراء واحدة مكسورة لأنهما من الموضع ذاته" لا يكون إلا من موضع الآخر، وإنما يرفع لسانه عنهما، فكأنه ليس بعد الألف إلاّ راءٌ مكسورة"(٤). والحال كذلك إذا فك المضعف وكان الأول مكسوراً فإن الإمالة جائزة وذلك قولنا: هذه صعاررُ. وشاهده من القرآن

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٣٧/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٣٧/٤.

(٣) المصدر نفسه ١٣٨/٤.

(٤) المصدر نفسه ١٤٠/٤.

الكريم قوله تعالى:" كانت قواريرا، قواريرا من فضةٍ"(١). ويمكن أن أمثل هذه الحالة صوتياً:

بفارٍ ←—— بفارٍ

f^{e}Errin ←—— faarrin

صعَارِرُ ←—— صعارر

ṣa<^{e}Eriru ←—— ṣa<aariru

٦- إذا فَصل بين الراء فاصلان، ومثال ذلك: دنانيرُ، حيث فصلت النون والياء بينهما، وعلل سيبويه ذلك بضعف تأثير الراء كقوة سالبة لبعدها من الألف" فهذا أجدر لأن الراء أبعد"(٢).

فالقوة السالبة إذاً لم تعمل بوجود فاصلين أحدهما صامت والآخر صائت طويل مما سمح للقوة الموجبة(المؤثرة) وهي الصائت الطويل(الياء) بالتأثير في الألف وبالتالي إمالتها، ويمكن تمثيل ذلك كالآتي:

دنانيرُ ←—— دنانيرُ

dan^{e}Eniiru ←—— danaaniiru

فأثر الصائت الطويل(ii) في الصائت الطويل (aa) بوجود فاصل وهو النون(n) تأثيراً رجعياً منفصلاً.

٧- إذا كانت الألف في نهاية الكلمة مسبوقة بالرّاء، والراء مسبوقة بكسر أو ياء، ومثال ذلك: رأيتُ عِرقا، أراد أن يَعقِرَها، وأراد أن يعقِرا، ورأيتُك عسِرا، ورأيتُ عيْرا. وعلل سيبويه ذلك بأمور ثلاثة: أولاً: الراء ليست كحروف الاستعلاء في التأثير السلبي(منع الإمالة)، وثانياً: الألف في آخر الكلمة، وثالثاً: سُبقت الراء بالكسر، حيث يقول سيبويه:" فلما كانت الراء ليست كالمستعلية وكان قبلها كسرة

---

(١) سورة الإنسان، الآية ١٥،١٦.

(٢) سيبويه، الكتاب ٤/١٤٠.

وكانت الألف في آخر الحرف، شبهوها بألف حبلى"[1]. وإذا سبقت الراء بالياء كان حريٌّ بنا الإمالة، يقول سيبويه:" فإذا كانت الكسرة تميل فالياء أجدر أن تميل"[2].

ويمكن تمثيل ذلك صوتياً كالآتي:

عِرْقا ← عِرْقا،

<irkaa ← <irk^{e}E

عَيْرا ← عَيْرا،

<ayraa ← <ayr^{e}E

حيث كانت المماثلة الصوتية مقبلة جزئية منفصلة في المعادلة الأولى أثّرَ الصائت القصير(i) وفي المعادلة الثانية أثّر شبه الحركة الياء(y).

٨- الوقف على الراء في حالة الجر إذا سُبقت بالألف، مثال ذلك: مررتُ بالحمارْ، وعلل سيبويه ذلك في أن الراء عندهم مكررة وكأن هناك راءين فعند الوقف تُسكّن الراء الثانية، وتبقى الأولى مكسورة وبالتالي يتم التأثير في الألف من خلال الكسرة المفترضة على الراء الأولى" لأن الراء كأنها عندهم مضاعفة، فكأنه جرّ راءً قبل راءٍ"[3].

ويرى بعض القرّاء أن الوقف على مثل هذه الكلمات بالإشارة إلى كسرتها في الوقف فيميل دون الإمالة التي تكون في الوصل، وبعضهم يرى الوقف في مذهب من أمال بالإمالة الخالصة، وفي مذهب من قرأ بين اللفظين كالوصل[4].

ويرى الداني ما يراه سيبويه في هذه الإمالة حيث يجد أنّ الراء حرف تكريو، والكسرة فهيا من أجل ذلك ينقلب كسرتين فإذا كان ذلك كانت الإشارة إلى كسرتها في الوقف مقام الإشارة إلى كسرتين، وإذا تكرر الكسر قويت الإمالة وازدادت حسناً، وتجانس الصوت[5].

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٤٠/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٤١/٤.

(٣) المصدر نفسه ١٤٠/٤.

(٤) الداني، الموضح ورقة ٦٢، صفحة ٢٩١، وانظر د. عبد الفتاح شلبي، في الدراسات القرآنية واللغوية ٢٣٩.

(٥) المصدر نفسه ورقة ٦٢ صفحة٢٩٣، وينظر د.عبد الفتاح شلبي، في الدراسات القرآنية واللغوية ٢٣٩.

ب- امتناع الإمالة مع الراء

تمتنع الإمالة مع الراء في المواضع التالية:

١- أن تأتي الراء قبل الألف دون فاصل، ومثال ذلك: راشِد، وفِراش، وعلل سيبويه ذلك بقوله:" فلم يميلوا، لأنهم كأنهم قد تكلموا براءين مفتوحين، فلمّا كانت كذلك قويتْ على نصب الألفات، وصارت بمنزلة القاف، حيث كانت بمنزلة حرفين مفتوحين، فلمّا كان الفتح كأنه مضاعف وإنما هو من الألف، كان العمل من وجه واحد أخفُّ عليهم"(١).

وعلى ذلك فإن الراء المفتوحة كأنها راءات مفتوحان فقوي الفتح والألف تناسب الفتح حتى يكون الأداء الصوتي منسجماً، وبالرغم من وجود الكسر بعد الألف(راشِد) أو قبل الراء(فِراش) إلا أن القوة السالبة (الراء المفتوحة) كانت أقوى في التأثير(منع الإمالة) من القوة الموجبة(المؤثرة في الإمالة).

أما طريقة أداء حرف الراء، فيقول ابن الجزري في هذه الطريقة:" والراء انفرد بكونه مكرراً صفة لازمة له لغلظه، قال سيبويه:" وإذا تكلمت بها خرجت كأنها مضاعفة"، وقد توّهم بعض الناس أن حقيقة التكرير ترعيد اللسان بها المرّة بعد المرّة، فأظهر ذلك حال تشديدها كما ذهب إليه بعض الأندلسيين، والصواب التحفُّظ من ذلك بإخفاء تكريرها كما هو مذهب المحققين"(٢).

٢- إذا سبق الألف أحدُ حروف الاستعلاء ثم أتت الراء بعد الألف بحرف:"يقولون مررت بقادِرٍ، ينصبون الألف ول يجعلوها حيث بَعُدت تقوى، كما أنها في لغة الذين قالوا مررتُ بكافرٍ لم تقوَ على الإمالة حيث بَعُدت، لما ذكرنا من العلّة"(٣).

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٣٦/٤.

(٢) ابن الجزري، النشر ٢١٩/١.

(٣) سيبويه، الكتاب ١٣٨/٤.

إذاً تتنازع الألف قوتان أحدهما سالبة وهي قوّة حروف الاستعلاء في نصب الألف، وثانيهما موجبة وهي الكسر في الراء التي تعُدّ بمنزلة راءين مكسورتين، فكأن هناك كسرتين تؤثران، وبالرغم من وجود كسرتين إلا أن هذه القوة الموجبة لم تستطع أن تؤثر في الألف لبعدها عن الألف ولقرب القوة السالبة منها، وبالتالي غلبت القوة السالبة فأبقت الألف دون إمالة.

وبعض العرب أجاز الإمالة تشبيهاً له بقارب حيث يميلون، يقول سيبويه:" وقد قال قومٌ ترضى عربيتهم: مررت بقادرٍ قبلُ، للراء حيث كانت مكسورة، وذلك أنه يقول قارب أراد أن يجعلها كقوله: مررت بكافر، فيسوّيهما ههنا كما يُسوّيهما هناك"[1]، وشاهد هذا شعراً:

عسى الله يُغنْي عن بلاد ابن قادر   بمُنْهمرٍ جَوْنِ الرَّبابِ سكُوبِ[2]

٣- <u>أن تأتي الراء بعد الألف مضمومة أو مفتوحة</u>، وذلك قولنا: هذا حمارٌ، وشاهدت حماراً، يقول سيبويه:" وإذا كانت الراء بعد ألف تمال لو كان بعدها غير الراء، لم تُملْ في الرفع والنصب، وذلك قولك: هذا حِمارٌ، كأنك قلت هذا فِعالُل. وكذلك في النصب، كأنك قلت: فِعَالَل، فقلبت ههنا فنصبتْ كما فعلت ذلك قبل الألف"[3].

وفي هذه الحالة انتقلت الراء من قوة موجبة إلى قوة سالبة لأنها مضمومة أو مفتوحة، فكأنه هناك فتحتان أو ضمتان، وبالتالي تعمل هذه الراء التي تمتلك خاصيّة التكرير على منع الإمالة في حين هناك قوة موجبة ضَعُف تأثيرها لبعدها عن الألف وهذه القوة هي الكسرة في بداية (حِمار).

---

(١) سيبويه ، الكتاب ٤/١٣٨.

(٢) البيت لُهدبة بن خشرم، ديوانه، انظر الكتاب ٤/١٣٩.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/١٣٦.

٤- إذا ولي الألف راءٌ مكسورة متبوعة بحرف استعلاء، ومثال ذلك: مررتُ بحمار قاسم، وعلل ذلك سيبويه بتأثير حرف الاستعلاء" فينصبون للقاف كما نصبوا حين قالوا مررت بمالِ قاسم"[١].

فقد أثر حرف الاستعلاء كقوة سالبة أكثر من تأثير القوة الموجبة وهي الراء المكسورة التي تعتبر بمثابة كسرتين وبالتالي امتنعت الإمالة، إلا أن الإمالة محتملة في مثل هذا" إلا أن الإمالة في الحمار وأشباهه أكثر لأن الألف كأنها بينها وبين القاف حرفان مكسوران، فمن ثمّ صارت الإمالة فيها أكثر منها في المال"[٢]. ويعتبر سيبويه أن الإمالة في " مررت بحمار قاسم" محتملة أكثر من " مررت بمال قاسم" لأن الراء بمثابة راءين مكسورتين.

وفي نهاية حديثي عن جواز الإمالة وامتناعها مع الراء وجدتُ أن الإمالة فيها تعتمد على صراع القوى- السالبة والوجبة- والراء تُعدّ موجبة التأثير إذا كانت مكسورة، وللحق فإن الكسرة في الراء هي التي تؤثر في الإمالة حيث تعتبر بمثابة كسرتين، أما الراء المفتوحة أو المضمومة فتعتبر قوة سالبة على افتراض أن الضمة مزدوجة والفتحة مزدوجة لوجود الراء(المكررة). وعندما نظرت في مواضع جواز الإمالة رأيت ذلك في أمرين:

أ- أن تأتي الراء بعد الألف متبوعةً بالكسر مثل: (من حمارك) أو أن تسبق الألف بحرف استعلاء مثل: (قارِب)، أو أن تسبق الألف راءٌ مثل: (من قرارك)، وفي الوقف بافتراض وجود راء مكسورة إضافية مثل: (مررت بالحمارْ) في الوقف أو أن تكون الراء مضعفّة مثل بفارّ.

ب- أن تسبق الراء بالكسر أو الياء مثل: (دنانير)، و(الكافرُ) وفي (رأيت عِرقا) حيث وقعت الألف في نهاية الكلمة سُبقت الراء بالكسر.

(١) سيبويه، الكتاب ١٣٩/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٣٩/٤.

أما امتناع الإمالة فوجدته في موضعين:

أ- أن لا تُسبق الراء أو تتُبع بالكسر بدون وجود فاصل ومثال ذلك (راشِـــد) فلم تسبق ولم تتبع بالكسر، و(حِمارٌ) فلم تسبق أو تتبع بالكسر.

ب- أن تكون الراء مكسورة مسبوقة أو متبوعة بحرف استعلاء، ومثال ذلـــك (بقادر) حيث قويت القاف لبعد الراء عن الألف، و(بحمارِ قاسم) حيث تُليت الـــراء المكسورة بحرف استعلاء.

إلا أن بعض العرب أمال حتى بوجود حروف الاستعلاء لتنتهي إلى موضــــع واحد تمتنع فيه الإمالة وهو أن لا تُسبق الراء أو تُلحق بكسر.

سادساً: إمالة الحروف

الأصل في الحروف عدم الإمالة، لأن الحروف غير مستعلية بذاتها ولا بد من كلام بعدها يتمم معناها، يقول سيبويه:" ومما لا يميلون ألفه: حتى، وأمّا، وإلا، فرّقوا بينها وبين ألفات الأسماء نحو حُبلى وعَطْشى"[1].

ومن الأحرف الأخرى التي تمال لا، وعلل سيبويه ذلك بأنها لا تكون اسماً" فلم يميلوا، لمّا لم يكن اسماً فرقوا بينها وبين ذا"[2].

ويرى الشيخ خالد الأزهري بأنّ(لا) يمكن أن تمال لأنها تسد مسدّ الجمل " والذي سهل إمالتها بقصد (أنّى، متى، بلى، لا) نيابتها عن الجمل، فصار لها بذلك ميزة عن غيرها"[3].

و"ما" أيضاً لا تمال لأنها لا تُمكّن تَمكُن ذا علاوة على أنه لا تتم إلا بصلة" وقالوا: ما، فلم يميلوا لأنها لم تتمكن تمكّن ذا، ولأنها لا تتم اسماً إلا بصلةٍ، مع أنها لم تُمكَّن تمكُن المبهمة، فرّقوا بين المُبهمين إذ كان ذا حالهما"[4]، والتمكن كما ذكره ابن يعيش" من قِبَل أنه يشابه الأسماء المتمكنة من جهة أنه يوصف، ويوصف به، ويثنى ويجمع ويصغر..." [5].

ولم يُمل سيبويه حروف المعجم باء تاء..." وقالوا: با، وتا في حروف المعجم، لأنها أسماءُ ما يُلفظ به، وليس فيها ما في قدْ، ولا، وإنما جاءت كسائر الأسماء لا لمعنىً آخر"[6].

وهناك بعض المواضع أميلت فيها الأحرف لعلل يذكرها سيبويه تكون مسوّغاً للإمالة، ومنها عدول الحروف إلى الاسمية، فإذا سمّي رجلٌ أو إمرأة بهذه الحروف

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٣٥/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٣٥/٤.

(٣) خالد الأزهري، شرح التصريح ٣٥٥/٢.

(٤) سيبويه، الكتاب ١٣٥/٤.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل ٦٦/٩.

(٦) سيبويه، الكتاب ١٣٥/٤.

فإنها تمال، يقول سيبويه نقلاً عن قول الخليل:" وقال الخليل: لو سميتَ رجــلاً بــها وامرأة جازت فيها الإمالة"[١].

والأمر كذلك يراه الأزهري: ولهذه العلّة أيضاً لو سميت بهذه الأحرف كـــإلاّ، جازت إمالتها[٢].

وأجازوا إمالة أنّى لأنها بمعنى أين فصارت ظرفاً" ولكنهم يميلون في أنّى، لأن أنّى تكون مثل أين، كخلفك، وإنما هو اسم صار ظرفاً فَقَرُب من عطشى"[٣].

ومن الحروف الممالة أيضاً (يا) " وقالوا: يا زيدُ، لمكان الياء"[٤]، وربمـا أراد بقوله" لمكان الياء" أي بسبب موقع (يا) وهو الفعل أنادي أو أدعو، يقول ابن جنـي:" وقالوا: يا زيدُ، فأمالوا أيضاً، لأنها قويت لما نابت عن الفعـل، أي: أدعـو زيـداً، وأنادي زيداً"[٥].

وتمال بلى، ولم يذكرها سيبويه، لأنها تقوم بذاتها أو تسد مسد جملة" ولا تمـال الحروف لبعدها عن الاشتقاق، إلا أنهم قالوا: بلى، لأنها قويت لمّا قامت بنفسها"[٦].

وأمال القرّاء فأمالوا فواتح السور مثل(المر)؛ لأنها أسماء لهذه الأصوات الدالة على الحروف المحكية[٧]، بدليل أنك تقول:" جيمك حسنة، وصادك محكمة"[٨].

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٣٥/٤.

(٢) الأزهري، شرح التصريح ٣٥٧/٢.

(٣) سيبويه، الكتاب ١٣٥/٤.

(٤) المصدر نفسه ١٣٥/٤.

(٥) ابن جني، اللمع ٢٤٤.

(٦) المصدر نفسه ٢٤٤.

(٧) انظر ابن الجزري، النشر ٦٦/٢.

(٨) مكي بن أبي طالب، الكشف عن علل القراءات ٩/١.

سابعاً: الإمالة على غير قياس

تحدثت عن المواضع التي تتم الإمالة، والمواضع التي لا تتم فيها ذاكراً العلل في الإمالة والعلل في امتناع الإمالة، وسأعرض بعض الكلمات التي تمال مع أنها ليست تخضع لقوانين الإمالة المذكورة سابقاً، ومع ذلك فقد وجد سيبويه تعليلاً لهذه الظواهر غير القياسية كما سمّاها سيبويه حيث يقول:" هذا باب ما أميل على غير قياس، وإنما هو شاذ"، ومن هذه الكلمات:

أ- الحجاج: وعلل سيبويه ذلك بكثرة الاستعمال، شريطة أن يكون الحجاج اسماً لرجل" وذلك الحجاج إذا كان اسماً لرجل، وذلك لأنه كثر في كلامهم فحملوه على الأكثر، لأن الإمالة أكثر في كلامه. وأكثر العرب ينصبه ولا يميل ألف حجاج إذا كان صفة، يجرونه على القياس"(١).

وفسر بعض النحاة ما ورد عن سيبويه يقول السيوطي:" عدّ قوم منهم صاحب البديع والبهاباذي من أسباب الإمالة كثرة الاستعمال كإمالة الأعلام نحو الحجاج، والعجاج اسم الراجز مرفوعاً ومنصوباً"(٢). وذكر ذلك ابن يعيش في شرح المفصل(٣). وأبو حيّان في ارتشاف الضرب(٤)، ونقل القرّاء ذلك كابن الجزري في النشر (٥).

ويرى المبرد أنّ الإمالة في (الحجاج) للتمييز بين الاسم والصفة حيث يقول:" فأما قولهم هذا رجلٌ حجاجٌ لم تجزْ الإمالة: لأنه لا شيء يوجبها، ثم قالوا في الاسم والحجاج، فإنما أمالوا للفصل بين المعرفة والنكرة والاسم والنعت؛ لأن الإمالة أكثر... والنصب أحسن وأقيس" (٦).

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٢٧/٤.

(٢) السيوطي، همع الهوامع ٢٠٣/٢.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل ٦٣/٩.

(٤) أبو حيان، ارتشاف الضرب ٢١١.

(٥) ابن الجزري، النشر ٣٤/٢.

(٦) المبرد، المقتضب ٤٥/٣.

ويرى ابن الحاجب أنّ الحجاج شذّ دون علّة" شـذّ الحجـاج والنـاس لغـير سبب"(١).

ب- <u>الناس</u>، يقول سيبويه:" وأمّا الناس فيميله من لا يقول هـذا مـالٌ بمنزلـة الحجاج، وهم أكثر العرب، لأنها كألف فاعل إذ كانت ثانية، فلم تُمل في غير الجـرّ كراهية أن تكون كباب رميتُ وغزوتُ، لأن الواو والياء في قلتُ وبعتُ أقرب إلـى غير المعتل وأقوى"(٢).

ويحتمل قول سيبويه" بمنزلة الحجاج" أحد احتمـالين أو كليـهما: أولـهما أن التشابه بين الناس والحجاج في أنن كليهما شاذّ في إمالته، وثانيهما أن علّة الإمالـة فيهما متشابهة وهي كثرة الاستعمال.

وأرى أن الاحتمال الأول هو الأقوى لأنه يعقـد مقارنـة بيـن ألـف فـاعل ألف(الناس) حيث إن الألفين وقعتا ثانيةً، وألف فاعل تمال لوجود الكسرة بعد الألف، أم الناس فإن السين تأتي في الوجوه الإعرابية الثلاثة إلا أن سيبويه جوّز الإمالة فـي الجرّ حتى تصير(الناسُ) مثل (فاعل) فتمال.

ويرى ابن الجزري أن إمالة الناس يرجع لسببين أولهما الكسرة علـى السـين وثانيهما أنّ الإمالة لهجة الحجازيين، حيث يقول:" وربما كان سبب إمالة الألف فيـها إلى جانب الكسرة على السين، إن الإمالة فيها لهجة أهل الحجاز، حتى إن بعضـهم حكى إمالته مرفوعة ومنصوبة، وقد حكى بعضهم أن أصل ألفها الياء(٣).

ج- <u>بابٌ، ومالٌ، وعابٌ</u>، وقد جعل سيبويه هذه الإمالة شاذة والسبب فيها شبهها بالألف المشبهة بالألف المنقلبة، يقول سيبويه:" وقال ناسٌ يوثق بعربيتهم: هذا بـابٌ، وهذا مالٌ، وهذا عابٌ، لما كانت بدلاً من الياء كما كانت في رميـتُ شـبهّت بـها،

(١) ابن الحاجب، شرح الشافية ٨.

(٢) سيبويه، الكتاب ١٨٢/٤.

(٣) ابن الجزري، النشر ٣٥/٢.

وشبهوها في باب ومال بالألف التي تكون بدلاً من واو غزوت، فتبعت الواو اليـــاء في العين كما تبعتها في اللام، لأن الياء قد تغلب على الواو هنا"[1].

إذاً عدّ سيبويه غزا ممالة لأنها تشبه ألف رمى حيث إن غزا في بعض تقليباتها تكون ألفها ياء مثل غِزْي، فأميلت لشبهها بألف رمى المنقلبة عن الياء، وشُبهت ألف مال بألف غزا التي هي بدورها تشبه ألف رمى المنقلبة عن ياء.

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٢٨/٤.

إمالة الحركات

أولاً: إمالة الفتحة.

تتّسع دائرة الإمالة في باب الراء عند النحاة لتشمل الحركات إضافة إلى الألف، فقد حصرتُ المواضع التي أمال سيبويه فيها الفتحة نحو الكسرة، وهذه المواضع هي:

١- إذا كانت الفتحة قبل راء مكسورة، مثل: من الضررِ، ومن البقرِ، ومن الكِبَرِ، ومن الصِّغَرِ، فقد أثرت الراء المكسورة فيما يسبقها وهي الفتحة، وعلل سيبويه ذلك بقوله:" لمّا كانت الراء كأنها حرفان مكسوران وكانت تشبه الياء أمالوا المفتوح كما أمالوا الألف، لأن الفتحة من الألف، وشبه الفتحة بالكسرة كشبه الألف بالياء فصارت الحروف ها هنا بمنزلتها إذا كانت قبل الألف وبعد الراء"[1].

ويظهر جليّاً معرفة سيبويه للشبه بين الألف والفتحة ويعدّ الفتحة جزءً من الألف بمعنىً آخر فقد تنبه إلى ما تنبّه إليه المحدثون في تقسيم الصوائت إلى قصير وطويل، فعند قوله(من الألف) يعني أنها صائت قصير والألف وبالتالي هي صائت طويل.

وورد من هذا الباب في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:" إنّا كل شيء خلقناه بقَدَرٍ"[2]، وقوله تعالى:" وما أمرنا إلاّ وواحدة كلمح البَصَرِ"[3]، وأيضاً:" إن المتقين في جنات ونَهرٍ"[4].

والتأثير هنا هو تأثير رجعي منفصل جزئي، حيث أثرت الكسرة بعد الراء، والتي تشبه الكسرتين لما للراء من صفة التكرير، في الفتحة قبل الراء، فأمالتها، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً:

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٤٢/٤.

(٢) سورة القمر، الآية ٤٩.

(٣) سورة القمر، الآية ٥٠.

(٤) سورة القمر، الآية ٥٤.

من الكِبرِ ← من الكِبر

'alkibari ← 'alkib^{e}Eri

٢- إذا فصل بين الراء المكسورة والفتح حرف ساكن، ومثال ذلك: من عمْروٍ حيث عدّ سيبويه الساكن ضعيفاً لا يمكن أن يمنع الإمالة" فتميل العين لأن الميم ساكنة" [١].

فقد أثرت الكسرة بعد الراء في فتحة العين بوجود فاصلين الراء والميم، فأمالت الفتحة، ويمكن تمثيل ذلك كالتالي:

من عمروٍ ← من ٍعمرو

<amrin ← <^{e}Emrin

حيث أثر الصائت القصير (i) بالصائت القصير (a) تأثيراً رجعياً بوجود فاصلين صامتين(mr) فقلب الصائت القصير (a) إلى صائت قصير ممال(^{e}E)، فالمماثلة مدبرة جزئية منفصلة.

٣- إذا سبق الراء المكسورة حرفٌ مفتوحٌ مسبوق بألف ممتنعة الإمالة، ومثال ذلك: من المُحاذرِ، ولا تمال الألف هنا لأنها تقع بين فتحتين" ولا تقوى على إمالة الألف؛ لأن بعد الألف فتحاً وقبلها، فصارت الإمالة لا تعمل بالألف شيئاً"[٢]. بينما تُمال الفتحة على الذال" وتقول: من المحاذر فتميل الذال"[٣]. ويمكن تمثيل ذلك صوتياً:

من المُحاذَرِ ← من المحاذِرِ

'al-muhaadari ← 'almuhaad^{e}Eri

حيث أثرّ الصامت القصير (i) بالصامت القصير(a) تأثيراً رجعياً منفصلاً بوجود (r) مما احدث الإمالة (^{e}E).

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٤٢/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٤٢/٤.

(٣) المصدر نفسه ١٤٢/٤.

ثانياً: إمالة الضمة

يرى إبراهيم أنيس أنّ القبائل البدوية بوجهٍ عام تميل إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة، لأنه من مظاهر الخشونة البدوية. فحيث كسرت القبائل المتحضرة مالت البدوية إلى الضم. والضم والكسر متشابهان، لأنهما من أصوات اللين الضيّقة.(١)

ويرى حسام النعيمي أن الكسرة المشوبة بالضمة والعكس ليس بينهما فرق، فنطق كلمة بُيع، وبور، بإتباع الباء في الكلمتين بصوت بين الكسرة والضمة أو بين الضمة والكسرة فلا فرق بينهما(٢).

وعرض سيبويه إمالة الضمة نحو الكسرة بوجود الراء في باب" هذا باب ما يمال من الحروف التي ليس بعدها ألف إذا كانت الراء بعدها مكسورة"(٣). ووجدت ثلاثة مواضع للروم نحو الكسرة:

١- إذا سُبقت الراء المكسورة بواب مسبوقة بالضمة، فإن الضمة تُقرّب من الكسرة" كأنك تروم الكسرة، لأن الراء كأنها حرفان مكسوران"(٤)، وعلل عدم روم الواو لأنها لا تشبه الياء ثم أنها مسبوقة بالضمة التي هي بدورها ستميل نحو الكسرة فيصبح لدينا رومان" فلا تميل الواو لأنها تشبه الياء، ولو أملتها أملت ما قبلها"(٥).

ولا أرى أن هناك ضمةً قبل الواو بل إن الواو هي ضمة طويلة، ونحن نروم الواو(الضمة الطويلة) ويمكن تمثيل ذلك صوتياً:

ابن مذعورِ ← ابن مذعُورِ

mad<uurin → mad<^{e}Erin

---

(١) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية ٩١.

(٢) حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٢٣٧.

(٣) سيبويه، الكتاب ٤/١٤٢.

(٤) المصدر نفسه ٤/١٤٣.

(٥) المصدر نفسه ٤/١٤٢.

فقد أثرّ الصائت القصير (i) بالصائت الطويل(uu) ليحدث الروم أو الإمالة.

٢- الراء المكسورة المسبوقة بالضمة، مثل: عجبت من السُمرِ، وشربتُ من المنقُرِ[١].

فقد أثرّ الصائت القصير (الكسرة) بوجود الراء المكررة، بالصائت القصير (الضمة) ليحدث الروم أو الإمالة وبما أن الصائت القصير أثّر فيما قبله وقبله إلى بعض صفاته فالمماثلة مدبرة جزئية منفصلة، ويمكن تمثيل ذلك صوتياً:

من السُمُرِ ← من السُمُرِ

assumuri ← $assum^{e}Eri$

٣- إذا كانت الراء المكسورة في كلمة والضمة في كلمة سابقة، ومثال ذلك: هذا خبطُ رياحٍ[٢]، حيث أثرّت الكسرة في الراء بالضمة في الطاء لتحدث الروم أو الإمالة.

وهذا الروم كان نتيجة للمماثلة الصوتية حيث أثرت الكسرة في الراء بالضمة التي تسبقها على سبيل المماثلة المدبرة جزئية المنفصلة ويمكن توضيح ذلك من خلال المعادلة الصوتية التالية:

هذا خبطُ رياح ← هذا خبطُ ، رياحِ

ḫabṭuriyaḥin ← $ḫabṭ^{e}Eriyaḥin$

(١) سيبويه، الكتاب ١٤٣/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٤٣/٤.

الفصـــــل الثالـــــث

منهج سيبويه في تناول القضايا الصوتية

منهج سيبويه
في تناول القضايا الصوتية

بعد النظر في كتاب سيبويه من خلال دراستي لبعض القضايا الصوتية وجدت أن هذه القضايا على ضربين:

الأول: ما كان التغير في بناء الكلمة مثل الإعلال والإبدال والنسب والتصغير، حيث تم التغيير على أصل الكلمة.

الثاني: ما كان التغير بعد أداء اللفظه مثل: الإدغام، والإمالة والوقف وغيرها.

أما ملامح هذا المنهج فيمكن أن أعرض له من خلال مجموعة من الخطوط والقواعد التي اختطها سيبويه لنفسه ومن هذه الملامح:

١- مهدّ سيبويه للموضوعات الصوتية الصرفية، حيث بدأ الحديث عن الأصوات المفردة ومخارجها وصفاتها، ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الصوت في سياقه التركيبي في باب الإدغام والإبدال والإعلال.

٢- إيجاز العبارة التي تحمل مضامين عديدة، فهو يستخدم ألفاظاً واصطلاحات حبلى بالمعاني، فمثلاً يقول في وصف الحرف المجهور:" فالمجهور: حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت"(١)، فهو يعرض آلية نطق المجهور بعبارة مختصرة تحمل اصطلاحات تكشف في حقيقتها معاني كثيرة مثل الاعتماد، والصوت، والموضع.

٣- يعرض سيبويه القاعدة ثم يأتي بالأمثلة وهذه الأمثلة على ضربين، مصنوعة و شواهد شعرية، كانت أو نثرية، فهو يعرض مثلاً في باب الإدغام القاعدة التالية:"وإذا كانت الواو قبلها ضمّة والياء قبلها كسرة، فإن واحدة منهما لا تدغم

(١) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٤.

إذا كان مثلها بعدها"[١]. ثم يأتي بالأمثلة فيقول:" وذلك قولك: ظلموا واقداً، واظلمي ياسراً"[٢].

أما فيما يخصّ الشواهد الشعرية فهو يستشهد بها كثيراً إلا أن كثيراً من هذه الشواهد المنسوبة في الكتاب، وهي نحو ألف شاهد، إنما هي من نسبة أبي عمر الجرمي، وفي ذلك يقول الجرمي:" نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتا، فأما الألف فقد عرفت أسماء قائليها فأثبتها، وأما الخمسون فلم أعرف أسماء قائليها"[٣].

وهناك الشواهد القرآنية والقراءات حيث يستشهد في باب الإدغام ببعض القراءات يقول[٤]:" وأما قول بعضهم في القراءات: إنّ الله نِعِمَّا يعظكم به"[٥]. فحرّك العين فليس على لغة من قال نِعْمَ فأسكن العين.

٤- وقد يستشهد سيبويه بآراء شيوخه أو بفصحاء العرب وبلغائهم في المواضع لصعبة فيقول في باب الوقف:" وزعم الخليل أنهم يقولون: انطلقتُه، يريدون انطلقت"[٦]. ويقول في الباب نفسه:" وزعم أبو الخطاب أنّ ناساً من العرب يقولون: ادْعِهْ من دعوتُ"[٧]. ويقول في الإمالة:" وبلغنا عن ابن أبي إسحاق أنّه سمع كثير عزّة يقول: صار بمكان كذا وكذا"[٨].

٥- يورد سيبويه الأمثلة إمّا نسبةً عامّة حيث ينقلها عن العرب بصورة عامة أو بعض العرب أو نسبة خاصة في النسبة إلى بعض القبائل، ومما يُنسب نسبة عامة

---

(١) المصدر نفسه ٤/٤٤٢.

(٢) المصدر نفسه ٤/٤٤٢.

(٣) الجرمي، الخزانة ١/٨. وانظر سيبويه، الكتاب ١/٣٤.

(٤) سيبويه، الكتاب ٤/٤٣٩-٤٤٠.

(٥) سورة النساء، الآية ٥٨.

(٦) سيبويه، الكتاب ٤/١٦٢.

(٧) المصدر نفسه ٤/١٦٠.

(٨) المصدر نفسه ٤/١٢١.

قوله في الإمالة:" وناسٌ كثير لا يميلون الألف..."[1]، وقوله:" وقالوا: مــات، وهم الذين يقولون: مِتُّ"[2]، وقوله:" وقد يتركون الإمالة" وقوله:" وقال بعــض الذيــن يقولون في السَّكب بمال: من عند الله، ولزيد مال"[3]، وقوله:" واعلم أن بعض من يميل..."[4]، وقوله:" وقال أكثر الفريقين إمالة..."[5]، وقولـــه أيضـــاً:" وقـد قــال قوم..."[6].

وينسب سيبويه نسبة خاصة إلى بعض القبائل فيقول في باب الهمز:" وذلك قولـك: سأل في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم..."[7]، وقوله:" ومنهم من يقول: إن بني تميم الذين يدخلون بين الهمزة وألف الاستفهام ألفاً"[8]. ويشير أحياناً إلى شخص دون ذكر اسمه، يقول:" سمعنا من يوثق به من العرب ينشده هكذا"[9].

٦- أما العلل فيكاد سيبويه يعلل كافة الظواهر الصوتية الصرفية ووجـــدت أن هـــذه العلل هي في عمومها ذات منطلقات صوتية حيث يعلل سيبويه إدغام المثلين بثقل النطق، يقول:" لأنه لما كانا من موضع واحد، ثقل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم مـــن موضع ثم يصدوها"[10]، وقوله: ولم يدغموا الميم في النون لأنها لا تدغم في الباء التي هي من مُخرجها، ومثالها في الشدّة ولزوم الشفتين"[11]. وقوله أيضـــاً:" ولا تُهمز أفعُل من بنات الياء، لأن الضمة فيها أخفّ عليهم" وقلّ تعليل سيبويه غـــير

---

(١) سيبويه، الكتاب ١٢٠/٤.

(٢) المصدر نفسه ١٢١/٤.

(٣) المصدر نفسه ١٣٢/٤.

(٤) سيبويه، الكتاب ١٢٦/٤.

(٥) المصدر نفسه ١٢٦/٤.

(٦) المصدر نفسه ١٢٧/٤.

(٧) المصدر نفسه ٥٤٢/٣.

(٨) المصدر نفسه ٥٥١/٣.

(٩) المصدر نفسه ٤٥٩/٣.

(١٠) المصدر نفسه ٤١٧/٤.

(١١) المصدر نفسه ٤٥٦/٤.

الصوتي، فقد علل قلب الياء واواً في مثل الشّروى والتقوى، تعليلاً ذات منطلق معنوي، حيث يقول:" هذا باب ما تقلب فيه الياء واواً ليفصل بين الصفة والاسم"[1]. حيث إن المعنى هو الذي يؤدي إلى حدوث هذا الإعلال، فإن كانت الكلمة اسماً حدث فيها إعلال، أما إذا كانت صفةً فلا يحدث فيها إعلال.

٧- يغلب على منهج سيبويه الطابع الوصفي فهو يصف الظاهرة الصوتية بطريقة بارعة يعجز عن تحليلها ووصفها علماء اللغة المعاصرون ويبدو ذلك واضحاً في حديثه عن الجهر والهمس والشدّة والرخاوة والإطباق والانفتاح ثم يمزج سيبويه بين المنهج الوصفي التفسيري والمنهج المعياري، حيث يصف الظاهرة الصوتية الصرفية محاولاً تفسيرها وتعليلها، ويتعرض للهجات العربية كلهجة تميم وأهل الحجاز، إلا أنه يصدر الأحكام في بعض الأحيان فينحو نحو المنهج المعياري. يقول سيبويه في باب الإعلال:" وقد قال بعضهم في فَعَلان وفَعلى كما قالوا في فَعِلٍ ولا زيادة فيه، جعلوا الزيادة في آخره بمنزلة الهاء، وجعلوه معتلاً كاعتلاله ولا زيادة فيه، وذلك قولهم: داران من دار يدور... وهذا ليس بمطرّد"[2].

حيث يصف الإعلال في فَعلان فَعلى لدى بعض العرب ثم يقارن بين فَعلان وفَعِلٍ، ويبين أنّ هذا الإعلال ليس بمطرّد ثم يصدر الأحكام في بعض المواضع فيقول:" وكلا القولين حسن جميل"[3]، وقوله:" وأعلم أنّ رُدَّ هو الأجود الأكثر"[4]، ثم يحكم على بعض القضايا الصوتية بالرداءة فيقول في الإدغام:" وقد تكلم ببعضه العرب، وهو رديء"[5].

---

(١) المصدر نفسه ٣٨٩/٤.

(٢) سيبويه، الكتاب ٣٦٣/٤.

(٣) المصدر نفسه ٣٧٨/٤.

(٤) المصدر نفسه ٤٤٣/٤.

(٥) المصدر نفسه ٤٤٣/٤.

٨- غموض بعض العبارات التي تحتاج إلى جهد في فك رموزها فهو يقول في تعريف المجهور مثلاً:" حرفٌ أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت، فهذه العبارة مثلاً تحتاج إلى تأمل وتحليل، وربما يعود كثرة شروحات كتاب سيبويه إلى بعض الغموض الذي كان يكتنف أبواب الكتاب وفصوله.

الخاتمـــــــــة

بعد أنْ قمت بدراسة وجوه من الدرس الصوتي في كتاب سيبويه ومناقشتها من خلال علم الأصوات الحديث، توصلت إلى مجموعة من النتائج:

١- هناك بعض الأصوات التي أدخلها الأعاجم في أصوات اللغة وسماها سيبويه (الحروف الفروع غير المستحسنة)، حيث تولدت هذه الأصوات نتيجة عدم قدرتهم على نطق بعض الأصوات مثل الطاء التي كالتاء.

٢- يرتب سيبويه المخارج بدءاً بالحلق وانتهاء بالشفة في حين يبدأ معظم المحدثين بالشفة وينتهون بالحنجرة، ويعود السبب في اعتقادي إلى أن الهواء أول ما يتحول إلى صوت يكون في أحرف الحلق.

٣- اختلف سيبويه مع لمحدثين في بعض صفات الأصوات مثل عدّه صوت الضاد رخواً في حين عدّه المحدثون شديداً، واختلف أيضاً في صوت الجيم حيث عدّه شديداً، في حين عدّه المحدثون مركباً.

٤- لم يذكر سيبويه إلا حرف العين من الأحرف المتوسطة، في حين اعتبرها معظم علماء العربية القدماء ثمانية جمعت في (لم يروعنا)، حيث عدّ الحروف السبعة الباقية شديدة يجري فيها الصوت لعلّة يذكرها.

٥- تُعد همزة "بين بين" التي ذكرها سيبويه من وجهة ننظر حديثة ليست بهمزة وإنما هي سقوط للهمزة واتصال الحركتين قبلها وبعدها بوجود وقيفة تفصل بينهما.

٦- هناك إبدال ينتج عن طريق قانون الأصوات الحنكية، حيث تقترب بعض الأصوات كالكاف بفضل تأثير الكسرة إلى مخرج الكسرة فنتج أصوات مخارجها بين الكاف والكسرة مثل الشين والسين.

٧- يعد الإبدال مماثلة جزئية حيث يقرب الصوت من الصوت من غير إدغام يكون هناك.

٨- هناك أصوات لا تدغم في غيرها لأنها تحمل صفات تميزها عن غيرها، فبإدغمها بغيرها تذهب هذه الصفة، ومن هذه الأصوات المتفشية، والمكررة، واللينة، والهاوية.

٩- يعد صوت الهمزة صوتاً ممتنعاً عن الإدغام بأنواعها كافة، فلا يدغم هذا الصوت بنفسه ولا يدغم في مقاربة، ولا يدغم مقاربة فيه؛ لأن هذا الصوت لا يخفف بالإدغام، وإنما السبيل إلى تخفيفه يتم بالإبدال أو الحذف أو التسهيل(همزة بين بين).

١٠- الغالب في أصوات طرف اللسان ووالثنايا الإدغام لأنها قريبة في مخارجها.

١١- ليس هناك ما يسمى بالإعلال بالنقل من وجهة نظر صوتية حديثة وإنما هو إعلال بالحذف حيث تحذف شبه الحركة ونعوض عنها بإطالة الحركة.

١٢- يمكن أن تحدث المخالفة الصوتية (Dissimilation) في الصوائت علاوة على الصوامت، حيث عالجها سيبويه تحت مصطلح اجتماع الواوات والياءات.

١٣- لا يتم الوقف على مقطع قصير مفتوح البتة، والأصل في الوقف الوقوف على مقطع مغلق بصامت إلا أنه يجوز في مواضع قليلة الوقوف على مقطع طويل مفتوح لغايات الترنم.

١٤- تحدث الإمالة في الصوائت الطويلة والقصيرة، وتعود أسباب الإمالة إلى سببين: أولهما صوتي، حيث يكون المؤثر الصوتي أحد ثلاثة مؤثرات، إما صوت الكسرة أو الياء، أو الإمالة للإمالة. وثانيهما بنائي، حيث يكون في تقليباته الياء مثل ما كان أصله واواً وفي تقليباته ياء، أو ما خرج إلى الياء لأنه غير ثلاثي، أو ما كان أصله ياءً.

١٥- الأصل في الحروف عدم الإمالة لأنها لا تقوم بذاتها ولا بد من كلام بعده يتمم معناها، وإذا أليت فإنها حين ذلك تسد مسدّ جملة أو تنتقل إلى معنى بذاتها.

١٦- لا تمال الصوائت القصيرة(الفتحة والضمة) إلا بوجود الراء المكسورة التي تُعدّ صوتاً مكرراً مما يجعل الكسرة أكثر قدرة على التأثير؛ لذلك لم يتناول سيبويه هذه الإمالة إلى في باب إمالة الراء.

١٧- يقترب سيبويه في منهجه من المنهج الوصفي التفسيري، حيث يصف الظاهرة الصوتية ويفسرها ويعللها، ويتطرق إلى اللهجات العربية، إلا أنه يمزج بين المنهج الوصفي والمعياري، حيث يُصدر الأحكام في بعض الأحيان.

المراجـــــــع العربيــــــة:

١- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلـــو المصريـــة، القـــاهرة، الطبعـــة الخامسة، ١٩٧٩م.

٢- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصريـــة، القـــاهرة، الطبعـــة السادسة، ١٩٧٨م.

٣- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة السادســة، ١٩٧٨م.

٤- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م.

٥- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م.

٦- أحمد أحمد بدوي، سيبويه حياته وكتابه، مكتبة نهضة مصـــــر بالفجالـــة، الطبعـــة الثانية(بدون تاريخ).

٧- أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار اللبنانية المصرية، القـــاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٨- أحمد علم الدين جندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.

٩- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعـــة الثالثـــة، ١٩٨٥م.

١٠- برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، محاضرة ألقاها في الجامعة المصرية، ١٩٢٩م.

١١-البغدادي، خزانة الأدب ولب لسان العرب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـــ.

١٢- البغدادي، شرح شواهد الشافية، تحقيق محمد نور وصاحبيه، بيروت، ١٩٧٥م.

١٣- أبو البقاء العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن، تحقيق الأستاذ إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.

١٤- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٩.

١٥- جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية وذيّله بمعجم صوتي فرنسي عربي صالح القرمادي، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ١٩٦٦م.

١٦- ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، جمعية إحياء مآثر العلماء العرب، مصر، ١٢٩٤هـ.

١٧- ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، نشر برجستراسر، ١٩٣٢م.

١٨- ابن الجزري، مفتاح علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٩- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مطبعة التوفيق، دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٤٥هـ، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٠- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية(بدون تاريخ).

٢١- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٢٢- ابن جني، اللمع في العربية، تحقيق الدكتور حسين محمد أحمد شرف، عالم الكتب، بيروت – الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

٢٣- ابن جني، المحتسب في تبيين شواذ القراءات، تحقيق علي نجدي ناصف وصاحبيه، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

٢٤- ابن جني، المنصف لكتاب التصريف، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة بابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م.

٢٥- ابن الحاجب النحوي، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق موسى العلايلي، مطبعة العاني، بغداد، (بدون تاريخ).

٢٦- الحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الطبعة الثالثة بالأوفست، ١٩٦٧م.

٢٧- - حسام النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.

٢٨- الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

٢٩- أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ.

٣٠- خالد بن عبد الله الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، دار إحياء الكتب العربية، عيسى بابي الحلبي وشركاه، القاهرة(بدون تاريخ).

٣١- ابن خالويه، القراءات الشاذة، عني بنشره براجشتراسر، دار الهجرة، ١٩٣٤.

٣٢- خليل عطية، أبو زيد الأنصاري وكتابه الهمز، تحقيق خليل عطية، البصرة، ١٩٩٠م.

٣٣- ابن دريد، جمهرة اللغة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، (بدون تاريخ).

٣٤- خليل عطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٣م.

٣٥- الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، القاهرة، ١٤٠٧هـ.

٣٦- رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، القاهرة، ١٩٦٧م.
٣٧- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
٣٨- الزبيدي، تاج العروس، بيروت، ١٩٦٦م.
٣٩- الزجاجي، الجمل في النحو، تحقيق الدكتور علي الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الأمل، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
٤٠- زكي علي العوضي، الوقف ومظاهره في العربية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ١٩٩٩م.
٤١- الزمخشري، المفصل في علم اللغة، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الثاني(بدون تاريخ).
٤٢- أبو زيد الأنصاري، النوادر، تحقيق الدكتور محمد عبد القادر أحمد، القاهرة، ١٩٨١م.
٤٣- ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين لفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
٤٤- ابن السكيت، الإبدال، تحقيق حسين محمد محمد أشرف، القاهرة، ١٩٧٨م.
٤٥- ابن السكيت، إصلاح المنطق، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٦م.
٤٦- سمير ستيتية، تحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير، مجلة جامعة أم القرى، العدد التاسع، لسنة ١٤١٤هـ.
٤٧- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى (بدون تاريخ).

٤٨- ابن سيدة، المخصص في اللغة، بولاق، ١٣١٦-١٣٢١هـ.

٤٩- السيرافي، شرح كتاب سيبويه، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٦.

٥٠- ابن سينا، رسالة في أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسن الطيان، ويحيى مير علم، ومراجعة الدكتور شاكر الفحام والأستاذ أحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

٥١- السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، بيروت(بدون تاريخ).

٥٣- أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأماني، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

٥٤- صاحب جعفر، الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز، مركز دراسات الخليج، البصرة، ١٩٨٨م.

٥٥- الصبان، حاشية الصبان على الأشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة(بدون تاريخ).

٥٦- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة العربية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٣.

٥٧- الصميري، التبصرة والتذكرة، تحقيق فتحي أحمد مصطفى علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٨٢م.

٥٨- ضاحي عبد الباقي، لغة تميم دراسة تاريخية وصفية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٨٥م.

٥٩- ابن الطحان، مخارج الحروف وصفاتها، تحقيق الدكتور محمد يعقوب تركستاني، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٦٠- أبو الطيب، الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق، ١٩٦١م.

٦١- أبو الطيب، مراتب النحويين، تحقيق عبد الواحد بن علي، مصر.

٦٢- الطيب البكوّش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

٦٣- عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧م.

٦٤- عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمر بن العلاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٦٥- عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٦٦- عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٦٧- عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤيا جديدة في الصرف العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

٦٨- عبد الفتاح شلبي، في الدراسات القرآنية واللغوية، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، رسالة ماجستير، دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧١م.

٦٩- عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، القاهرة، ١٩٥٢م.

٧٠- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٧١- عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٧٢- عبد القادر مرعي، ظاهرة التخلص من التقاء الساكنين، بحث منشور، مجلة أبحاث اليرموك(سلسلة الآداب واللغويات)، المجلد ١٥، العدد ١، ١٩٩٧م.

٧٣- عبد القادر مرعي، ظاهرة كراهية توالي الأمثال في العربية، بحث منشور في مؤتة للبحوث والدراسات.

٧٤- عبد القادر مرعي، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، منشورات جامعة مؤتة، ١٩٩٣م.

٧٥- عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م.

٧٦- أبو عبيد البكري، سمط اللآلئ، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م.

٧٧- ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٧٨- ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٧٩- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، الطبعة الخامسة، ١٩٦٢م.

٨٠- أبو علي القالي، الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

٨١- الفرّاء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م، وعالم الكتب، بيروت، ١٩٥٥-١٩٨٠م.

٨٢- فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٨٣- فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، رسـالة دكتـوارة، جامعة عين شمس، ١٩٨٣م.

٨٤- فوزي الشايب، الإلحاق في اللغة العربية، رسالة ماجستير، آداب عيـن شـمس، ١٩٧٨م.

٨٥- فوزي الشايب، ضمائر الغيبة، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويـت، الحوليـة الثامنة، ١٩٨٧م.

٨٦- كمال بشر، علم اللغة العام- الأصوات- مصر، ١٩٧٣م.

٨٧- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة، الطبعة الثانيـة، ١٩٨٣.

٨٨- ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.

٨٩- مالمبرج، علم الأصوات، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبـة الشـباب، القاهرة، ١٩٨٨م.

٩٠- المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت(بـدون تاريخ).

٩١- المبرد، الكامل في اللغة والأداب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضـة مصر، القاهرة، ١٩٥٦م.

٩٢- ابن مجاهد، السبعة في القراءات، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعـارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

٩٣- محمد كاظم البكاء، منهج كتاب سيبويه في الصرف والأصـوات، مجلـة كليـة الآداب، جامعة صنعاء، العدد٢١، ١٩٩٨.

٩٤- محمود سالم خريسات، الإعلال في ضوء علم اللغة المعاصر، ورسالة ماجستير، جامعة اليرموك ١٩٩٨.
٩٥- مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م.
٩٦- ابن مكي الصقلي، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، (بدون تاريخ).
٩٧- أبو منصور الجواليقي، المعرّب، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م.
٩٨- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
٩٩- نشوان الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، عالم الكتب، بيروت(بدون تاريخ).
١٠٠- نعيم علوية، بحوث لسانية، بين نحو اللسان ونحو الفكر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
١٠١- هنري فلش، العربية الفصحى، تعريب الدكتور عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية.
١٠٢- ياسر الملاح، الأصوات اللغوية، مركز الأبحاث الإسلامية مؤسسة دار الطفل العربي، القدس، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
١٠٣- ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة، (بدون تاريخ).
١٠٤- ابن يعيش، شرح الملوكي في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٧٣.
١٠٥- يوهان فك، العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠م.

المراجـــــع الأجنبيـــــة:

1- Bloom field, language 12th impression 1973, George Allen and unwin Ltd, London .

2- Mosoati: An introduction to the com. Gr of the semitic languages, 2nd edition, Wiesbaden, W.G .

3- O'leary: com. Gr, of the semitic languages, philopress 1969, Amisterdam, Holland.

4- W.H.T Gardnur, The phonetics of Arabic, 1925, oxford University press.

5- Wright, A grammar of language, Lebanon, 1974.

ملخص الرسالة باللغة العربية

تناولت هذه الرسالة وجوهاً من الدرس الصوتي في كتاب سيبويه، حيث يعدّ سيبويه الرائد الأول في الدراسات الصوتية العربية القديمة، وقد اعتمد علماء العربية القدماء الذين أتوا بعد سيبويه على دراساته وآرائه الصوتية، ولم يضيفوا إلى هذا الحقل إلاّ الشيء اليسير، ولما كان هذا الموضوع لم يدرس دراسة وافية ومستقلة عند سيبويه، فقد ارتأيت أن أبسط البحث في دراساته الصوتية مناقشاً إياها في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة.

وقد عرضت المسائل الصوتية عند سيبويه متّبعاً المنهج الوصفي التفسيري حيث عرضت القضايا الصوتية عند سيبويه ذاكراً رأيه فيها، وقمت بمناقشتها في ضوء علم الأصوات الحديث.

وأفدت في رسالتي هذه من مجموعة من المراجع والرسائل والأبحاث. فقد أفدت من الكتب القديمة مثل كتاب سيبويه ميدان هذه الرسالة، والخصائص، وسر الصناعة، والمحتسب لابن جني، وشرح الشافية للرضي الاستراباذي، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وشرح المفصل لابن يعيش، وغيرها من الكتب القديمة. وأفدت من الكتب والرسائل الحديثة التي تختص في الأصوات مثل الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس، وفي البحث الصوتي عند العرب لخليل إبراهيم العطية، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث لعبد الصبور شاهين وغيرها، أما الرسائل فقد أفدت من كثير من الرسائل أذكر منها المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر لعبد القادر مرعي، وفي الدراسات القرآنية واللغوية لعبد الفتاح شلبي، والإعلال في ضوء علم اللغة المعاصر لمحمود خريسات، والوقف ومظاهره في العربية لزكي علي

العوضي، أما الأبحاث فقد رجعت إلى مجموعة من الأبحاث أذكر منها ظاهرة كراهية توالي الأمثال في العربية، وظاهرة التخلص من التقاء الساكنين للدكتور عبد القادر مرعي، وتحليل الظواهر الصوتية في قراءة ابن كثير للدكتور سمير ستيتية وغيرها من الأبحاث.

أما بالنسبة لفصول الكتاب وأبوابه، فقد عرضت في التمهيد الأصوات العربية وما استحسن منها وما لم يستحسن وذكرت مخارج الأصوات وصفاتها.

ثم عرضت في الفصل الأول لمجموعة من المسائل الصوتية الصرفية بدأتها بالهمز وعرضت فيه تعريف الهمز وتخفيف الهمز وإبدال الهمز وحذف الهمز واللغات في الهمزتين المتعاقبتين إذا كانت كل همزة في كلمة واللغات في الهمزتين المتعاقبتين في كلمة واحدة.

ثم الإبدال حيث بدأته بتعريف الإبدال ثم إبدال الصامت من الصامت في الوصل والوقف ثم إبدال الصائت من الصامت في الوصل والوقف، ثم إبدال الصامت من الصائت في الوصل والوقف، وأرجأت إبدال الصائت من الصائت إلى فصل الصوائت.

ثم الإدغام وعرضت فيه تعريف الإدغام ثم إدغام المثلين ويتضمن وجوب الإدغام في الكلمة الواحدة وفي كلمتين منفصلتين ثم جواز الإدغام ثم تعذر الإدغام ثم شواذ الإدغام، ثم عرضت لإدغام الحروف المتقاربة في المخرج امتناعاً وجوازاً ووجوباً، وأخيراً عرضت الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا.

أما الفصل الثاني فقد درست فيه الصوائت عند سيبويه وتناولت فيه ثلاث مسائل وهي الإعلال والوقف والإمالة.

ففي الإعلال بدأت بتعريفه ثم دراسته من خلال قانوني المماثلة الصوتية والمخالفة الصوتية، ثم عرضت في نهاية هذه المسألة نماذج من الإعلال بالنقل والحذف محاولاً تفسيرها من وجهة نظر صوتية حديثة.

وفي الوقف قمت بدراسته من خلال الوقف بالإبدال والوقف بالحذف والوقف بالزيادة والوقف بالإشمام والروم، وأنهيت هذه المسألة بالوقف بتحريك ما قبل الآخر.

وفي الإمالة بدأت بتعريفها ثم أحكام إمالة الألف وعرضت فيها مجموعة من المباحث، حيث عرضت جواز إمالة الألف وامتناع الإمالة، وامتناع الإمالة مع حروف الاستعلاء، وقوانين الإمالة مع حرف الراء، حيث عرضت جواز الإمالة وامتناع الإمالة ثم إمالة الحروف، والإمالة على غير قياس، وفي المبحث الأخير عرضت لإمالة الحركات حيث ناقشت إمالة الفتحة وإمالة الضمة.

أما الفصل الثالث والأخير فقد عرضت فيه منهج سيبويه في تناول هذه القضايا.

وفي الخاتمة ذكرت النتائج التي توصلت إليها في غضون البحث، أذكر منها:

١- بالرغم من قلّة الوسائل الصوتية الموجودة في زمن سيبويه إلا أنه اقترب في غالبية الأصوات من الدراسات الصوتية الحديثة، واختلف معهم في القليل من الصفات الصوتية، فقد عدّ صوت الضاد رخواً في حين عدّه المحدثون شديداً، واختلف أيضاً في صوت الجيم حيث عدّه شديداً في حين عدّه المحدثون مركباً.

٢- يُعدّ صوت الهمزة صوتاً ممتنعاً عن الإدغام، بأنواعه كافة فلا يدغم هذا الصوت بمثيله ولا يدغم في مقاربه، ولا يدغم مقاربه فيه؛ لأن هذا الصوت لا يخفف بالإدغام وإنما السبيل إلى تخفيفه يتم بالإبدال أو الحذف أو التسهيل.

٣- تحدث الإمالة في الصوائت الطويلة والقصيرة، وتعود أسباب الإمالة إلى سببين: أولهما صوتي حيث يكون المؤثر الصوتي أحد ثلاثة مؤثرات؛ إما صوت الكسرة أو الياء أو الإمالة للإمالة، وثانيهما بنائي كأن يكون أصله ياءً، أو يكون في تقليباته الياء، أو ما خرج إلى الياء لأنه غير ثلاثي.

٤- ليس هناك ما يسمى بالإعلال بالنقل وإنما هو إعلال بالحذف حيث تحذف شبه الحركة ويعوض عنها بإطالة الحركة.

Abstract

This thesis considers aspects of phonetics in SIBAWAYH's book "AL-kitab". Arab scholar's, who came later, depended on SIBAWAYH's studies in phonetics. Little is added to his studies. Since it is not independently and comprehensively studied by SIBAYAYH, I have discussed his phonic studies regarding modern phonetics. SIBAWAYH's studies are presented using the explanatory descriptive method and they are also discussed concerning modern phonetics.

I have benefited from many references, theses and researches. I have utilized from old books as SIBAWAYH's "AL-Kitab"; the domain of the thesis, modern book such as " Al-aswāt Allu-gawyyah" by IBRAHIM ANEES, theses like " Al- I'lāl(vocalism)..." by mohmoud Kurisāt, and researches such statyyih's research(see the references). The introduction presents the Arabic sounds; what is favored and what is not. It also shows places and manners of areticulation.

The first chapter concerns morphological and phonetic issues. Firstly, it presents Al-Hamz including its definition as well as softening, replacing and deleting of AL-Hamz. Secondly, it explains replacement; its definition and consonant mutation from consonants in linking, pausing and vower mutotion. Thirdly, it defines syneresis. It presents syneresis of similars:- necessity,

permissibility or impossibility of syneresis in one or two separate words as well as anomaly in syneresis. Then it shows syneresis of close letters.

The second chapter studies consonants (SIBAWAYH) including vocalism, pausing and inclination, vocalism is defined and studied with regard assimilation and dissimilation. Then, patterns of vocalism by transfer and deletion are shown. I tried to explain them from a modern phonetic of view. Pausing is studied paying attention to replacement, deletion and augmentation as well as other things.

Inclination is defined showing the rules of inclining (al-alif) and (ar-rā):- permissibility and unfeasibility. Also, it discusses the inclination of (Al-Fathah) and (Ad-damma). The third chapter presents SIBAWAYH's method in these issues.

At the end, the results are presented. Some of them are:-

1- Despite the shortage of aids, SIBAWAYH approached from modern phonetic studies. There is a difference in some phonetic charalteristics. For instance, he considered(Ad-dad) sound as lax while it is now considered as intense.

2- Al-Hamz is indeclinable from syneresis in all its kinds. This sound is softened by replacement or deletion or easing.

3- inclination occurs in short and long consants. It has two causes; phonetic and constructive.

4- There is no vocalism by transfer but by deletion.

محتويـــــات الرسالـــــــة